خزعل الماجدي

متون سومر

الكتاب الأول

التاريخ ◆ الميثولوجيا ◆ اللاهوت ◆ الطقوس





متون سومر

الكتاب الأول

التاريخ ◆ الميثولوجيا ◆ اللاهوت ◆ الطقوس



خزعل الماجدي

متون سومر

الكتاب الأول

التاريخ ◆ الميثولوجيا ◆ اللاهوت ◆ الطقوس

الأهلية



الأهليـــة للنشـــر والتـــوزيع
المملكة الأردنية الهاشمية - عمـان / وسط البلد
خلف مطعم القدس ؛ ص . ب ٧٧٧٢
هـاتف ٤٦٣٨٦٨٨ - فاكـس ٤٦٥٧٤٤٥

منشورات الأهلية لعـام ١٩٩٨
خزعـل المـاجدي / متـون سـومر
الطبعة العربية الأولى

تصميم الغـلاف [signature] ®
التنضيـد : مؤسسة ياقوت للخدمات المطبعية

طبـــع في لبنـــان
على مطابع شركة الطبع والنشر اللبنانية

إلى

علـيّ

ولدي

دموزي الذي يحمل الخصب والجمال

عساه يسمع صوت سومر نابضاً في قلبه الغضّ

مقدمة

تزداد ، مع تقادم الزمن ، قناعة الباحثين والمؤرخين بأن كلّ ما ورثناه من نواميس حضارية وثقافية وفنية وروحية يعود في أصوله الى البذور السومرية التي هي أقدم بذور حضارة الإنسان وثقافاته في مطلع ما يسمى بـ (العصور التاريخية) .

كانت المتون الأولى للإنسان في حقول الدين والشرائع والملاحم والآداب والفنون والأساطير والرياضيات والطب والفلك والكيمياء ، متوناً سومرية ، ولا خلاف على ذلك اليوم بين مؤرخي الحضارات القديمة .

لقد امتلك كل حقل من هذه الحقول ، مع ظهور سومر ، جهازاً معرفياً واصطلاحياً وحفل بنصوص غزيرة كانت الأساس الذي بنيت عليه منطلقات هذه الحقول عند الامم الوارثة أو المجاورة لسومر .

وكانت حضارات وعقائد ما قبل التاريخ إرهاصات أولى من أجل تكوين ثقافة شديدة التماسك والوضوح وذات نظام حضاري وروحي وثقافي وديني دقيقٍ ومفصل . . . وكانت سومر المهد الذي تشكلتْ فيه ملامح هذه الثقافة .

لقد حاولنا في هذا الكتاب دراسة أربعة حقول أو متون أساسية من متون الثقافة السومرية هي (التاريخ ، المثولوجيا ، اللاهوت ، الطقوس) ، وسعينا لكشف أعماق هذه المتون فلم نكتف بالسرد التقليدي للنصوص التي تقع في هذه المتون بل عمدنا إلى التحليل والمقارنة سعياً للوصول الى نتائج جديدة .

حاولنا في البداية وصف الحضارة السومرية وأهميتها ، ثم وقفنا أمام التاريخ السومري في محاولة جدّية لتقسيمه إلى حقب وأزمان متجانسة على أساس الطبيعة السياسية والإجتماعية لكل فترة مرّ بها هذا التاريخ .

سيتّعرف القراء من خلال هذا الكتاب على المثولوجيا السومرية من منطلق بحثي جديد ومن طريقة جديدة في التصنيف والسرد والمعالجة ، فقد حاولنا ترتيب شجرة أنساب دقيقة للآلهة السومرية ودخلنا منها لمعالجة اساطير ورموز وقصص الأدب الديني

السومري . . ولذلك بدا الأمر متسلساً مفصلاً واضحاً وتجنبنا ما تطرحه الكتب التي تبحث في هذا الأمر من فوضى وتداخلات لا نهاية لها .

وكانت لنا وقفةٌ جديدة مع اللاهوت والعقائد الدينية السومرية فقد عرضنا لأهم هذه المعتقدات الروحية والفكرية والتي شكلت نقاط انطلاق في نسيج العقيدة الدينية السومرية ، فعرضنا لماهية الآلهة عندهم وفكرة الألوهية وعلاقة الآلهة ببعضها وبالإنسان والطبيعة ، ثم عرضنا بعض أوجه الفقه السومري والقوانين والعادات الدينية التي تنظم الحياة الاجتماعية عندهم ثم تفصلنا في دراسة المؤسسة الدينية السومرية وأنظمتها الكهنوتية والمعبدية . وبعد ذلك وصفنا بعض أوجه العقيدة الدينية من خلال الحكماء السبعة والقوة الالهية وعقائد الموت وأفكار الجنة والنار والحساب والعقاب والثواب . وأفكار الأرواحية والتشبيهية وفكرة العود الأبدي . . وتتبعنا جذور الغنوصية والهرمسية إلى الأصل السومري لها .

أما الطقوس والشعائر السومرية فقد عالجناها بالتفصيل وقد أعاننا تبويبها إلى طقوس (يومية ، مناسبات ، دورية ، سريّة) لظهور طريقة عرضٍ جديدة جعلتنا نطرح أغلب ما عرف عن هذه الطقوس ونجمع ما يشترك فيها قرب بعضه .

وإذا كان كتابنا هذا قد عرض هذه المتون الحضارية الأربعة لسومر ، فإن كتابنا القادم سيعرض لأربعة متون أخرى وهي (اللغة ، الآداب ، الفنون ، العلوم) وبذلك نكون قد أتينا على وصف وتحليل معظم جوانب الحضارة السومرية . ورغم أن الكتابين يكملان بعضهما لكن هذا لا يمنع من استقلالية كلّ كتاب بمادته .

وأخيراً . . نودُّ أن نعتذر سلفاً عن ما سهوناه أو عبرنا عليه أو لخصّناه بعجالة ، فبحار سومر عميقة وغزيرة ونتمنى أن نكون قد قدمنا منها ما يروي بعض العطش الروحيّ للقارئ الباحث عن الينابيع الأولى لحضارة الإنسان على وجه هذه الأرض .

خزعل الماجدي

دكتوراه تاريخ قديم

التراث الفكري والعلمي

١٩٩٧/٧/٨

الفصل الأول

المعجزة السومرية

(مدخل إلى الحضارة السومرية والتاريخ السومري)





القسم الأول

الحضارة السومرية

أرى أن التاريخ البشري، على مستوى الإنجاز الحضاري المادي والثقافي، قد أمدنا بثلاث معجزات نوعية كبرى، كانت كلّ معجزة منها الأساس الراسخ لحقبة بشرية طويلة ظهرت فيها حضارات عديدة.

المعجزة الأولى هي المعجزة السومرية، وأستطع أن أسميها معجزة التأسيس أو معجزة الأصول، فقد وضعت الحضارة السومرية الأسس الأولى الراسخة والنوعية والمتينة المادية والثقافية والروحية التي سارت عليها البشرية بعدها.. مثل الكتابة والتشريع والدين والعلوم والآداب والصناعات والحرف والفنون والقيم الأخلاقية والطب والعمارة والري والفكر وغيرها وقد أطلق السومريون أنفسهم على نواميس الحضارة هذه مصطلح ال (مي) الذي أحصى منها الباحثون أكثر من مائة ناموس حضاري.

ولم تكن نواميس الحضارة وأصولها موجودةً قبل السومريون إلاّ بالشكل البدائي لبعضها، والذي لم يكن قد تبلور أو وصل الى حدّ الإنجاز النوعي المؤثر.

مع السومريين انعطف التاريخ وظهرت العصور التاريخية التي ضجت فيما بعد بالحضارات والمدنيات المختلفة للجنس البشري الذي يعيش على وجه الأرض. ونرى أن جميع ما ظهر في هذه الحضارات التي تلت السومرية حتّى الحضارة اليونانية ماهو إلاّ

تنويعات وإعادات وصياغات قومية جديدة حصلت هنا وهناك كان جوهرها المنجز السومري مع تطويره وانضاج بذوره التي بذرها في منطقة الأصول .

أمّا المعجزة الثانية فهي المعجزة اليونانية التي هي معجزة الإكتشاف وبناء التفاصيل، وإعادة النظر نوعياً بكل مفردات التأسيس السومري مباشرة أو عبر ما وصلها من حضارات متطورة أخرى، واكتشاف وتوسيع حقول المعرفة البشرية القديمة والجديدة، فهي معجزة نوعية بالقياس إلى ما قبلها من حضارات ومنجزات .

أما المعجزة الثالثة فهي المعجزة الغربية التي بدأت عملياً مع عصر النهضة الأوربية وما زالت إلى اليوم تتصاعد ذرواتها في أوربا وأميركا . . ويمكننا أن تطلق عليها معجزة الإختراع، فقد طغت عليها الجوانب التقنية، ووضعت الأساس العلمي لكل حقول الحياة وجعلت إمكانيات درسها ونموها وتطويرها مفتوحة الآفاق . . وهي بذلك تكون قد حررت العقل البشري من قيود كثيرة ووضعت بالمقابل ضوابط قياسية للبحث في حقول المعرفة البشرية وتطوير آفاقها .

هذه المعجزات البشرية الثلاث لا تنفصل عن بعضها ولا ينفرد قومُ معيّنون بانجازها كاملةً، بل نرى أن كل الجنس البشري وأعراقه وقومياته ساهمت بطريقة أو بأخرى بتكوينها وتهيئة مادتها الأساسية، لكن لحظة الإنعطاف النوعي كانت بلا شك من نصيب قومٍ معينين .

لقد كانت المعجزة السومرية لحظة نوعية لكل منجزات الإنسان منذ العصور الحجرية، وخصوصاً ذلك التسارع الحضاري الذي بدأ باكتشاف الزراعة في الألف التاسع أو الثامن قبل الميلاد . . . ثم انفجر نوعياً في سومر عند اكتشاف الكتابة في منتصف الألف الرابع قبل الميلاد، وأنفتحت معه آفاق عظيمة كانت أساس كل الحضارات بعد سومر . لقد ساهم قبل سومر في إنضاج هذه المعجزة أقوام كثيرون نجهل اسماءهم الحقيقية ولكنهم كانوا يعملون بدأب في منطقة أطلق عليها أرنولد توينبي اسم (الأويكومين) وتساءل في أكثر من مكان في كتابة تاريخ البشرية : «أين اخترعت الزراعة وتربية الماشية والتعدين . في الايكومين، للمرة الأول ؟» ولكنه توصل إلى جواب واضح بعد مناقشة طويلة إلى أن هذه المنطقة كانت بالدرجة الأساس في الجزيرة الفراتية (ميزوبوتاميا) وسورية ولبنان وفلسطين

وجزءاً على الأقل من جنوب آسيا الصغرى وغرب ايران وتركمانستان (توينبي ١٩٨١ : ٥٦).

كانت هذه الأقوام في شمال العراق وما حوله بؤرة الأويكومين الزراعي الذي ساهمت فيه شعوب متجاورة وهيأت بمنجزاتها الزراعية الاجواء لظهور حضارات أو ثقافات عديدة وصلت آخرها الى سومر.

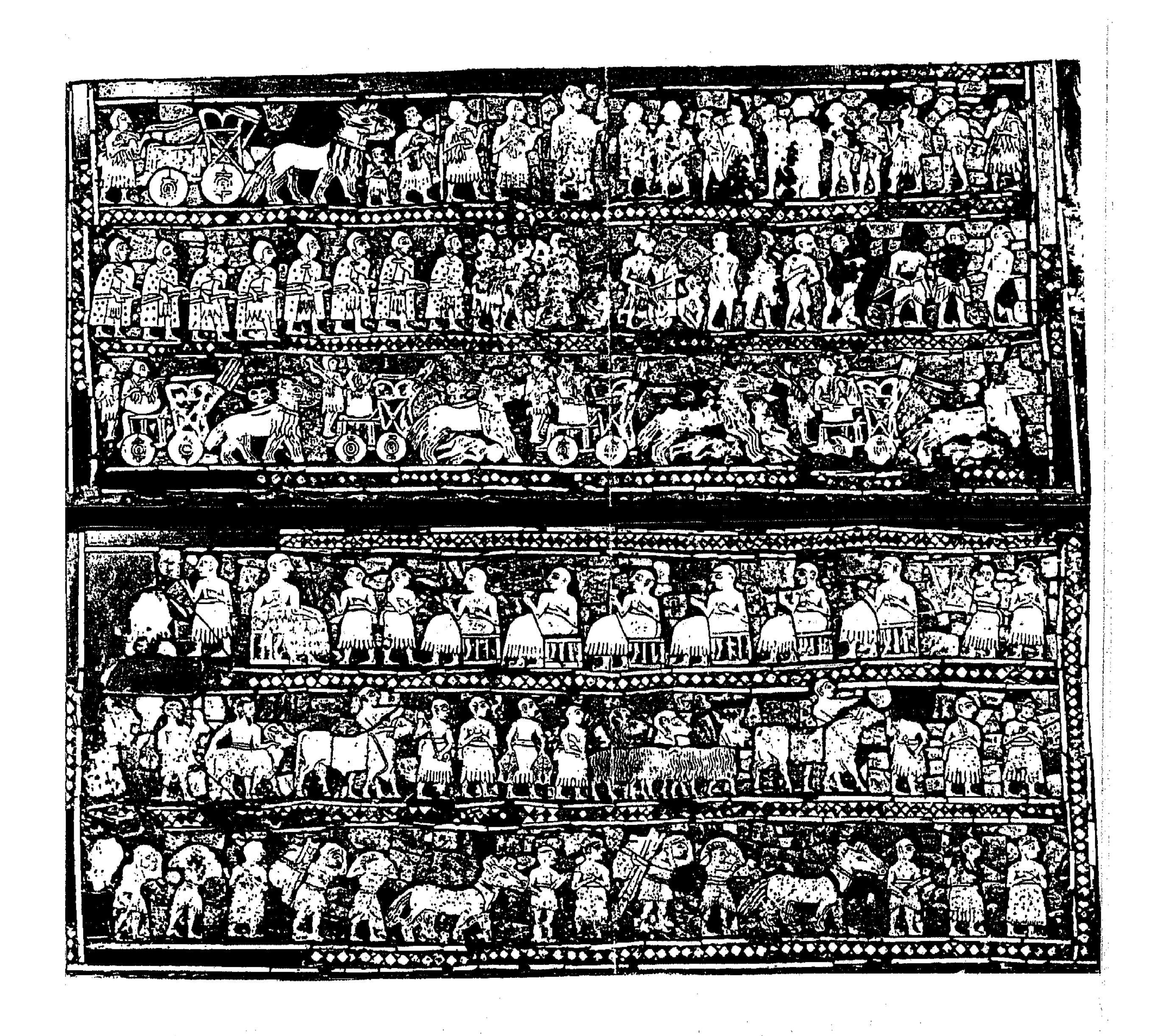
أما المعجزة اليونانية فلم يكن بالإمكان تحققها لولا ظهور من حضارات بشرية بعد سومر كالحضارات المصرية والبابلية والآشورية والعيلامية والفارسية والهندية والصينية والكريتية والحورية والحيثية والكنعانية والفينيقية والآرامية والحضارات اليمنية وغيرها .. حتى أنفجرت لحظة يونانية أعطت شيئاً جديداً أو صياغة جديدة للمنجزات التي سبقتها وأضافت لها روحاً نوعياً.

أما المعجزة الغربية التي بدأت تتبلور بدايتها في عصر النهضة الأوربي فقد قامت على هضم منجزات الحضارات الشرقية التي استمرت كالهندية والصينية والفارسية وعلى ما ورثته الحضارة الرومانية من اليونانية، وعلى هذبه وصقله الدين المسيحي للأقوام الأوربية الأولى البربرية، وقبل كل هذا على المنجز النوعي والكبير للحضارة العربية الاسلامية التي كانت جسراً عظيماً بين المعجزتين اليونانية والغربية.

إن وجهة النظر الحيادية التي أقدمها هنا لمشهد المنجزات البشرية تأخذ بنظر الاعتبار المنجزات المادية والروحية بشكل خلاق ومبدع ولا تتكئ على منجز روحي أو ديني لوحده أو على منجز مادي لوحده، بل تأخذ الثقافي والمادي والروحي والعقلي والعلمي والديني في جهاز أو نسق (SYSTEM) حضاري يعمل بانسجام وتناغم وايقاع وتساوق في كل قطاعاته، وتبدو نبضاته الحضارية وكأنها تحصيل حاصل كل هذا الانسجام والإتساق في قطاعاته.

كان الشعب السومري شعب الكتابة والمدن والمعايير والشرائع والطب والديمقراطية (مجلس النواب ومجلس الشيوخ، مثل مجالس الآلهة)، ورغم أن بيئة كانت قاسية مدمرة يعج بها المناخ الحار والجاف والتربة التي تتصاعد فيها الملوحة بسرعة، والأرض الخالية من المعادن والأشجار والأحجار، لكن (يد الله عليها) كما يقول صموئيلّ نوح كريمر.

كان الإنسان هو العامل الحاسم ،كانت عبقريته في صبره ودأبه على تفحص هذا



شكل (١)
الراية السومرية
(راية أور)
راية الحرب والسلام
في زمن أور الثالثة

الكون بثبات وبصيرة ودون يأس، حتى فتح له باب التاريخ فدخل كأول شعب مكلل بالغار إلى حلبة التاريخ المضاءة التي كانت تراقبها الآلهة وتطلق على هذا الشعب (ذوي الرؤوس السود) لا لأنه الوحيد الذي كان شعر رؤوس افراده أسود، بل لأن السواد هنا كان يعني التميز والخصوبة والعبقرية، مثل الأرض التي كانت يعيش عليها (أرض السواد).

كان الشعب السومري، اكثر من غيره، اختلافا عن ما حوله من شعوب كانت، رغم دأبها تعيش منهج الاستهلاك والاسترخاء بعيون مغمضة أمام الكون . . ولذلك بعد أن فجرت الأيدي الأرض وبنت بهندسة خلاّقة نظاّم الريٍّ تفجر العقل وتوقد وتوتر الروح الإنساني واضاء ظلام الأرض وأحرّاشها.

إن من ينظر إلى خارطة سومر والمدن السومرية الأولى التي تمتد من جنوب غربي بغداد حيث (سبار) إلى أقصى جنوب الناصرية حيث (أريدو) ويرى بدقة كيف أن حدود الفرات (القديمة والجديدة) من خاصرة غرب بغداد حتى منطقة الفهود، وحدود دجلة من مروره ببغداد حتى الكوت (كوثا) حيث يمتد منها نهر الغراف باتجاه المدن السومرية (أوما) و(لكش) وباتجاه الفهود أيضاً تاركاً (أي الغرّاف) إلى الشرق منه، بينه وبين دحلة، أهوراً كبرى تتصل بالخليج العربي.

إن هذه الحدود المائية التي تشبه الشكل المعّين الضيق تحصُر بينها سهلاً رسوبياً خصيباً يحتاج إلى تنظيمٍ إروائي لكي يعطي كل ثماره .

من هذا الشق المعّين، الذي يبدو وكأنه فرج الأرض أورحمها، ولدت أو لحضارة بشرية وظهرت على جوانب هذا المكان وداخله المدن السومرية المتلاحقة التي حيّرت الآثاريين في كنوزها المادية وفي ما تركته من كنوزٍ معرفية مكتوبة على ألواح الطين.

كانت روح المغامرة التي سيطرت على هذا الشعب هائلة، فأنكبَّ السومريون على الأرض التي بين أيديهم وحولّوها من أرض غفلٍ إلى جنة عدن . . وبقيت هذه الجنة في أذهان مدوني التوراة على أنها الجنة السماويةّ .

أول شرارات الخلق هي السيطرة على الماء واكتشاف الري، لم يكن هناك مطرٌ فاخترعوا الري . . ولم يكن هناك خشبٌ فاستعلموا البردي والقصب . . ولم يكن هناك

معادن فصنعوا من الطين المحروق القدور الأواني والجرار والطابوق . . وألواح الكتابة .

قالب الآجر، دولاب الفخار، عجلة العربة، المحراث، السفينة الشراعية، القوس، صب النحاس والبرونز، والبرشمة والطلاء بالنحاس واللحام، ونحت الحجر والنقش بالحفر والترصيع والرسم وكتابة الشعر والغناء وترتيل الملاحم . . . كل هذه كانت مشاغلهم اليومية .



شكل (٢)
نموذج برونزي لعربة سومرية
تعود إلى ٢٦٠٠ ق.م عثر عليها في تل أحرب

لم يكن شعباً خرافياً، ولم يخلط الواقع بالخوف لينتج الخرافة، كان واقعياً متزن العقل وئيداً بصيراً ينطق بالحكمة البسيطة (المدينة التي لا يكون لها كلاب يحرسها الثعلب)، (ليس القلب هو الذي يقود الى العداوة ، وإنما هوا للسان)، (تدخل الذبابة في الفم المفتوح)، (اذا بنيت بيتاً كزعيم تعيش كعبد، وإذا بنيت كعبد تعيش كزعيم)، (بيد مع يد يبنى البيت، بمعدة مع معدة ، يأتي خرابه)، .

لم يوهم هذا الشعب نفسه أو أفراده بالخلود . . جسدُ الانسان غير خالد ولا خلود الآ بالعمل والذكر الطيب . . ليست الآلهة كائنات بل قوى خلف ستار المرئي (كريمر : ب.ت).

شعبٌ تقول كل ألواحه بالطموح والنجاح والشرف، كانت قيمه الاخلاقية مثل القوانين والأعراف يلتزم بها الجميع بصمت وهدوء وكان أغلب كهنته وملوكه مثلاً أعلى لهذه القيم . . إن من يقرأ سيرة الملك الامير (گوديا) حاكم لكش يذهل من تقواه وعدالته وحبة للبناء (گوديا معناها النبي) فهل كان نبياً بالفعل ؟ .

كان (گوديا) يحب الحمار لأنه يعمل وهو صامت دون كلل وكان يتشبه به . . وكان أوركاجينا أول مصلح اجتماعي كبير في هذه الأرض .

كانت الاخلاق جزءً من العبادة أو فلنقل جزءً من شروط وجودالانسان على الأرض حياً ومتوازناً .

كانت أرضه أهوراً موحشةً تطفو عليها مستوطنات متفرقة ويائسةٌ تمتلأ بالأحراش . . لكنّ عرق السومريين هو الذي ارتفع بها للنجوم بنى السومريون ما يقرب من ستة عشر مدينة كبيرة في السهل الرسوبي الجنوبي للعراق، سوّروها فيما بعد، وفي وسط كل مدينة بنوا معبداً ذا مصطبة عالية . . تطورت إلى برج مدرج ضخم اسمه الزقورة . . وكان هذا أهم اسهام في العمارة الدينية التي تلتها الاهرامات ثم الكنائس ثم المساجد ثم الملوية (زقورة المسلمين الفريدة).

والمدارس . . التي يختلف المؤرخون على قدمها وكثرتها في الحضارات المختلفة لأنها مؤشر تمدن أساسي ظهرت أول ما ظهرت في أوروك السومرية حوالي ٣٠٠٠ ق.م، ونفاجأ أن «عدد الكتبة الذين كانوا يمارسون مهنة الكتابة كان يبلغ الألوف، وأن أولئك

الكتبة على أصناف ودرجات منهم الكتبة الصغار المبتدؤن، والكتبة المتقدمون، والكتبة الملكيون، وكتبة المعابد، وكتبة من ذوي التخصص العالي في بعض نواحِ خاصة بالشؤون الإدارية. وكتبة أصبحوا من كبار موظفي الحكومة. وفي حقيقة الأمر هناك من الأسباب المعقولة ما يحمل المرء على الأعتقاد بأن عدداً من المدارس الكبيرة ذات الأهمية التي كانت تعد الكتبة، كانت مزدهرة في جميع أرجاء البلاد،، (كريمر ١٩٥٧ :٤٤).

كان برلمانهم مكوناً من مجلس أعلى من الكبار (مجلس الشيوخ)، ومجلس عموم من الرجال هو (مجلس النوابّ)، وكان الحاكم (الانسي) يخضع لقراراتهم، وبظهور الحروب اصبح وجود الملك بدلاً عن (الانسي) ضرورياً وكان الملك ينتخب، لكنه فيما بعد أصبح يرث الملكية . . ومع ذلك ففي كل رأس سنة يرتجف قلب الملك هلعاً من عدم رضا الآلهة والكهنة والشعب عن أعماله . . وقد لا تتجدد ملوكيته بل يخلع ويوضع غيره .



شكل (٣)
حلي سومرية من الذهب عثر عليها في اور

كان المجتمع السومري مكوناً من المزارعين وأصحاب الماشية والملاحين وصيادي الأسماك والتجار والكتّاب والأطباء والمهندسين والبنائين والنجارين والحدادين والصاغة والفخارين ورجال الدين والمغنين وأصحاب الحانات وصانعي الخمور . . فكيف تسنى لمجتمع في الألفين الرابع والثالث قبل الميلاد أن يتنوع بهذه الطريقة؟

لقد ظهرت كلمة (حرية) لأول مرة في تاريخ البشرية عند السومريين وتحديداً مع اصلاحات أوركاجينا وكان اسمها (أمارجي) التي تعني العودة إلى الأم أو الرحم . . فما أحلى هذا الفهم الشعري للحرية . . على أنها في الواقع وعلى الأرض أشد صلابة من تسميتها ، فالشرائع والقوانين منذ أوكاجينا ومروراً بأورنّمو وبيلا لاما ولبت عشتار بذرة الشرائع البابلية واليونانية والرومانية ، وأول ما يتبادر إلى الذهن لدى درسها وتمحيصها إنها تختلف كلياً عن شريعة الثأر، شريعة - العين بالعين والسن بالسن - التي سنها حمورابي واقتبسها عنه العبرانيون . ففي قوانين اورنّمو نزعة أنسانية غايتها الأصلاح لا الانتقام . لذلك حلت فيها الغرامة النقدية محل العقوبات الجسدية» (حتي ب.ت :٩٨).



شكل (٤)

تمثال نصفي لملكة او اميرة سومرية

وكانت بداية علم الفلك مع (إنانا)التي وصفت بأنها نجمة العشاء والصباح (الزهرة) ومع (نانا) إله القمر ومع (أوتو) إله الشمس . . ثم جاءتنا الألواح من سومر لتصف لنا اكثر من (٢٥) نجمة . . وكان الآلهة يسكنون الكواكب والنجوم وتسمى على اسمائهم . . وربط (گوديا) الأحلام بالنجوم . أما الزمن فانقسم عندهم إلى أيام وأسابيع وأشهر قمرية وسنوات عادية وكبيسة . . وكان (السار) دورة فلكية كبرى تتغير معها المصائر ، وكان الزمن يقاس بساعة مائية (كليبسدرا) وهي على هيئة إسطوانة أو منشور، وربما كانت ساعة الظل أوساعة العصا (المزولة)، ساعة شعبية يعرفها الرعاة .

اخترعوا النظام الرياضي الستيني الذي كان يتضمن النظام العشري، وبعد أن ساد الأخير في الحساب والجبر أصبح النظام الستيني وما زال أساس الهندسة والمثلثات والدوائر . . ثم أساس علم الفلك .

أول دساتير الصيدلة (الاقرباذين) ، أول الأطباء، أطباء النفس والعيون والفم، والجراحون والممرضون والأطباء البيطرون، والنحاتون، ومصممو الأزياء . . التنورات ذات الأهداب، ملابس الرجال ، ملابس الملوك والمحاربين، التيجان، الشالات التي تغطي كتفاً وتترك الآخر عارياً (ما يذكر بملابس اليونان والرومان)، أغطية الرؤوس الخرزية، آلات الموسيقى الايقاعية والوترية والهوائية . . وقد لا يصدق إذا قلنا السلم الموسيقي السومري (ألواح النوتات) .

كانت الأختام المسطحة والاسطوانية مثل برقيات الحضارة إلى الأمم المجاورة والبعيدة، وكانت في سومر مثل البريد السريع التنقل والذي يحمل الفن والكتابة والرموز وغيرها . . بعضها تحول إلى وثائق عامة وخاصة بل وتعاويذ حامية من الأشرار .

كانت مصانعهم تستعمل النحاس والبرونز والأخشاب والسكاكين والمناشير والأسلحة والقدور والمسامير والدبابيس والحلقات والمرايا والجلود وإطارات العجلات والمقاليع والأحذية والصنادل، استعملوا مسحوق الذهب لزخرفة بعض المصنوعات واستعملوا الذهب لأغلى تماثيلهم رفعةً، صنعوا السلال وكانت آلاف الأطنان منها تنسج سنوياً في أور فقط، وكانت احتفالات جزّ الصوف تبدو مثل ورشة عمل للبدء بالغزل والنسيج وصناعة الملابس، الأنوال العمودية والأفقية والقصارون الذين يزيلون الالوان بمحاليل قلوية وملابس الكتان .

العربات ذات العجلتين والسفن الكبيرة والمراكب والمشاحيف والقفف والسفن الشراعية. أما الري ونظام القنوات والحواجز والسدود والخزانات فلم يكن لها نظير، وكان هناك ما يرافقها من آلات التسوية وقضبان المقاييس والرسم وإعداد الخرائط.



شكل (٥)
كبش أمام شجرة مزهرة (من الذهب واللازورد) من أور

وضعت تقاويم المزارع في كتيبات طينية اسمها (في الأزمان القديمة أرشد فلاح إبنه)، وكانت أنواع المحاريث والمباذر وأدوات الحصاد والسقي تتكاثر.

وضعوا مقاييس الطول (اصبح، ذراع، قصبة، حبل ، فرسخ).

وضعوا مقاييس المساحة (سار، ايكو ، بور ، بستان، حقل).

وضعو مقاييس المكيال (گن، سلا، گور ، گورلوگال)

وضعوا مقاييس الوزن (قمحة، شيقل، من ، تلنت) .

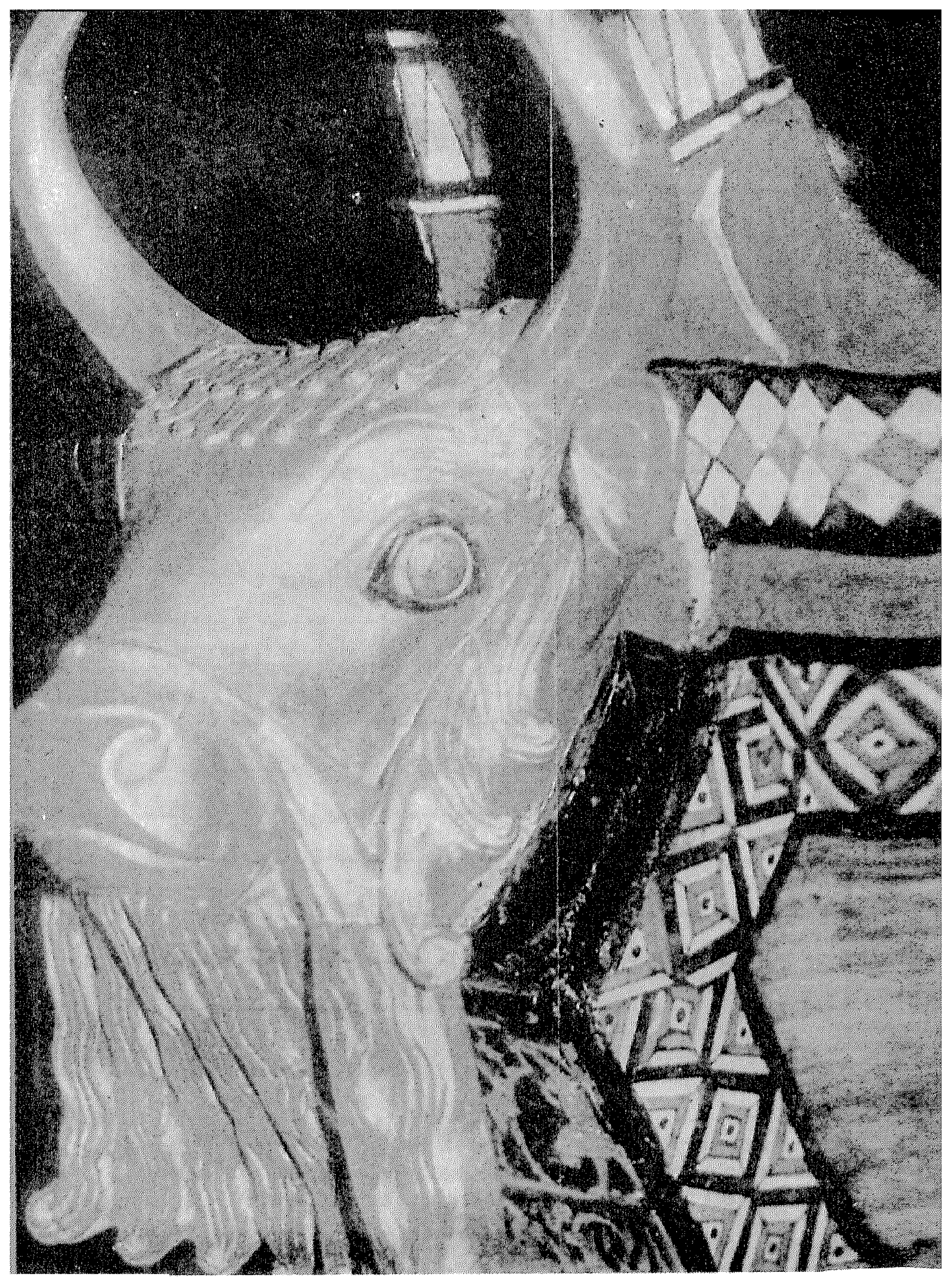
أما النقود فخاتمٌ فضي بوزن قياسي معين هو دينارهم وهناك ما هو أعلى منه أو أقل منه وزناً.

وضعوا شعراً في الغزل سيبقى، بعد آلاف السنين، من أعظم ما أنتجه الروح الانساني، ووضعوا شعراً مذهلاً من المراثي والمدائح والصلوات والتراتيل والأمثال والحكم . . وصنعوا أساطيراً هي بذرة كل أساطير العالم . . أما ملاحهم التي ضاع أغلبها فقد بقي منها ما يدل على عصر البطولة الإنساني بأكمله .

هذا الشعب الذي شغل التاريخ لأكثر من (١٥٠٠) سنة وقدّم نواميس الحضارة لمن حوله ومعه من الشعوب، طعنته شعوب معه وحوله كانت تتطلع إلى منجزاته بذهول وعجز، وتكررت الطعنات حتى سقط في بداية الألف الثاني قبل الميلاد وبدأ صوته بالخفوت، كان اسمه (شعب أحراش القصب - كي . إن ، جي - كينجي) ثم اسموه السامريون (سومر).

هذا الشعب طوى اسمه النسيان منذ ذلك الوقت ولما يقرب من أربعة آلاف سنة . . لكن رهبان المعرفة من الحفارين والآثاريين بعد منتصف القرن التاسع عشر جلوا عن ذهبه الصدأ والغبار وهالهم ما رأوه :

لقد رأوا شعباً من ذوي الرؤوس السود المليئة بالحكمة والمعرفة يسد ثغرة مطلع التاريخ، وهو يعمل بمعاوله، ويرمي بالواح كتابته إلى أطراف الأرض . . وبذلك فسر لنا ذلك كيف جرى التاريخ وكيف تكون في أدق وأحرج مراحله .



شكل (٦)
رأس الثور الذهبي الذي يزيّن القيثارة السومرية

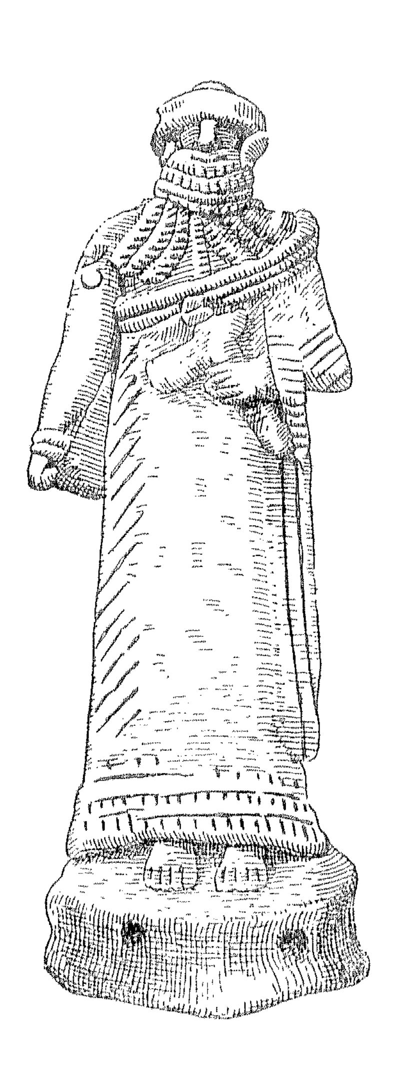
لم يكن اكتشافهم لهذا الشعب مقصوداً بل كان صدفةً ، حيث ظهرت لغة غريبة على الآثاريين ليست بابلية أو آشورية أو آرامية أو فارسيّةً، ولا علاقة لها باللغات القديمة أو الجديدة.

ويوم توصل (أوبرت) عام ١٨٦٩ إلى أكتشافه الخطير بأن هذه اللغة هي لغة قوم هم (السومريين) وأنها تشير إلى الحضارة التي أسست مفتتح التاريخ وعلى أساسها قامت حضارات وادي الرافدين . . صرخ بوجهه اليهودي (جوزيف هاليفي) مرعوباً بأن لا شعب غير الشعب السامي قد بنى حضارات العراق، وأن اللغة السومرية هذه كانت مجرد اختراع مصطنع قام به الساميون أنفسهم لأغراض سرّية وكهنوتية .

ولكن سبيل الاكتشافات الذي بدأ من گرسو (تلّو) ثم نفّر ثم بقية المدن السومرية كان مهولاً . . وكان مدعاة للتفكير بجدية بوجود حضارة سومرية كبرى تأسس بها التاريخ.

كانت سومر قد اختفت من التاريخ منذ حوالي (٢٠٠٠ ق . م) وتوارى اسمها مثل مدنها تحت تراب وأبنية الغزاة والساميين ومن بعدهم . . حتى أن اسمهم (سومر) لم يذكر مطلقاً في التاريخ، وساد اسم بابل على جنوب العراق، وحتى كتبة التوراة تلاعبوا عن قصد أو ذوت ذاكرة حيلهم فسموا أرض سومر بسهل (شنعار) .

وما كادت أربعة آلاف من سنوات النسيان تكتمل حتى عاد هذا الإسم برّاقاً قوياً وكشفت خارطة شعبه وخطوط مؤثراته، ثم عُرف بعده بشيء من الدهشة، أن كل ما أتت به الحضارات كان فيه خيط من سومر .



شكل (٧)
محارب سومري



شكل (٨)
مناظر أسطورية وجدت مرسومة على آلة موسيقية
من أور الثالثة توضّح طرب ورقص الحيوانات

القسم الثاني

التاريخ السومري

لا تستوي معرفتنا بالتراث السومري أو بأي مظهر من مظاهر الحضارة السومرية دون معرفة دقيقة بالتاريخ السومري، هذا التاريخ الذي ما زال قابلاً لإعادة النظر فيه والذي ما زال يثير جدلاً عريضاً بين المؤرخين.

لقد اعتاد المؤرخون الغربيون والعرب على تقسيم التاريخ السومري إلى مرحلتين هما القديمة قبل مجيء الاكديين والحديثة وهي مرحلة سلالة اور الثالثة .

ولكنّنا وجدنا أن هذا التقسيم لا يعطي للقارئ صورة دقيقة عن تاريخ سومر، ولذلك اتبعنا منهجاً جديداً في تقسيم التاريخ السومري إلى خمس مراحل على أساس التطور الحضاري ثم السياسي للشعب السومري وحضارته وهذه المراحل هي :

١ . مرحلة الأصول : وتبدأ من زمن غير معروف على وجه الدقّة ولكنّها تنتهي إلى ٣٥٠٠ ق . م وسنناقش فيها نظريات أصل السو مريين.

٢ . مرحلة الظهور (٣٥٠٠ - ٣٠٠٠) ق . م حيث بناء نواميس الحضارة السومرية وبدء الإشعاع الحضاري لسومر .

٣ . مرحلة دول مدن السومرية (فجر السلالات السومرية) (٣٠٠٠-٢٤٠٠) ق . م حيث ظهور النظام السياسي ممثلاً بدول المدن السومرية وكثافة انتشار المنجزات الحضارية السومرية إلى الاصقاع القريبة والبعيدة، وتنتهي هذه المرحلة بمحاولة لوكال زاكيزي تكوين دولة سومرية واحدة .

٤ . مرحلة الدولة السومرية (مرحلة لوكال زاكيزي) (٢٤٠٠ - ٢٣٧١ق . م). التي استمرت في حدود ربع قرن أو أكثر بقليل (٢٩ سنة) ثم قضى عليها سرجون الاكدي وكوّن الدولة ثم الامبراطورية الأكدية وأتى بعده الغزاة الكوتيون لوادي الرافدين .

٥ . مرحلة الامبراطورية السومرية (سلالة أور الثالثة) (٢١١٢ - ٢٠٠٤) ق . م التي استمرت أكثر من قرن بقليل ثم سقطت على يد العيلاميين والاموريين .

١. مرحلة الأصول (؟ - ٣٥٠٠) ق.م

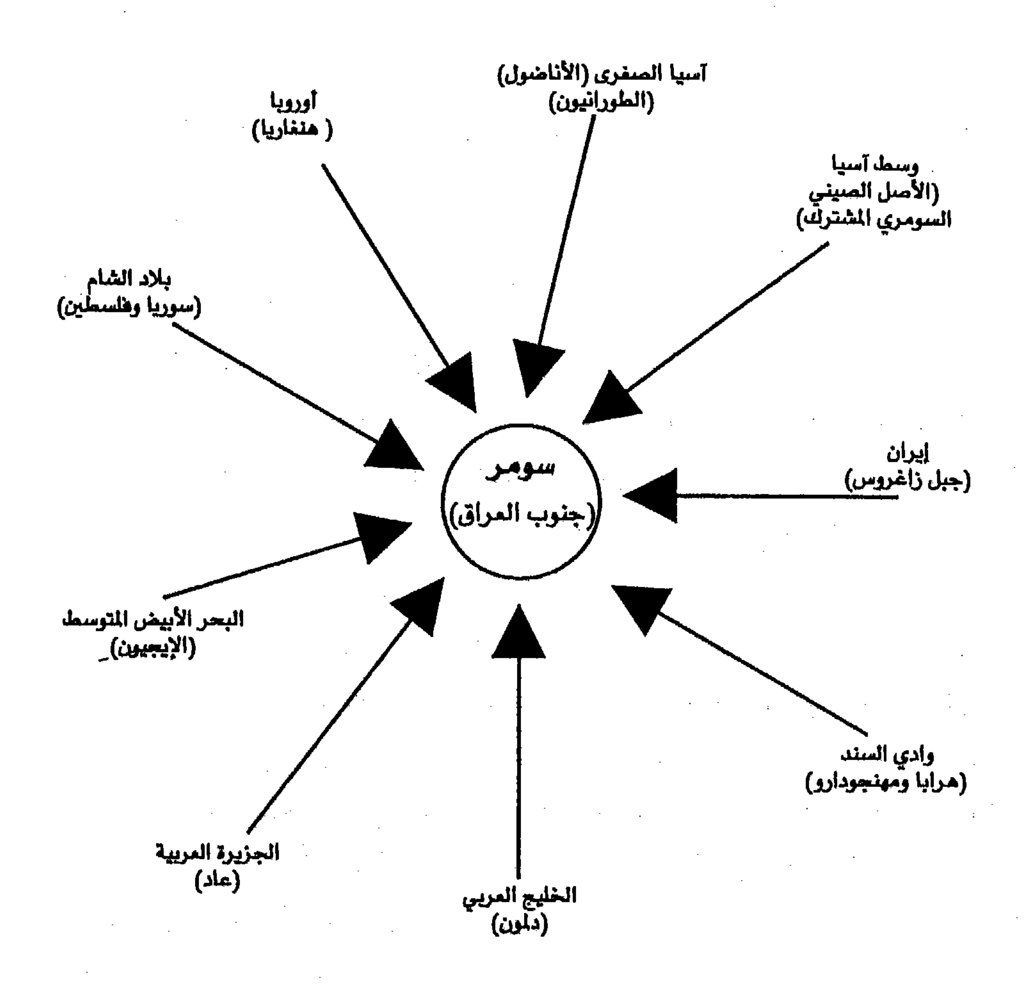
لا أحد يعرف من هم الأجداد القدامى للسومريين، ولا أحد يعرف على وجه الدقة أصل السومريين، رغم أنه لا أحد يعرف أيضاً أصل الكثير من الأقوام المزامنة للسومريين أو التي ظهرت قبلها بقرون أو بآلاف السنوات، الاّ أنه بسبب الأهمية الحضارية للسومريين وحصول انعطاف التاريخ على يدهم من مراحل ما قبل التاريخ إلى العصور التاريخية . . ولاسباب اخرى معروفة وضعت نظريات عديدة نرى أنه من الضروري المرور على أغلبها، ولو بعجالة ، للتعرف على وجهات نظر العلماء في هذا المجال .

هنالك ما يقرب من العشر نظريات أو أفتراضات تبحث في أصل السومريين وهي مرتبة حسب الجهات التي تشير لأصل السومريين ابتداءً من الشمال إلى الشرق فالجنوب والغرب (ما عدا النظرية الأخيرة المحلية أو العراقية) (انظر المخطط ١) .

١- الأصل الأناضولي (آسيا الصغرى) :

إعتماداً على نوع اللغة السومرية الملصقة والمتكونة من مقاطع غير قابلة للتصريف مثل اللغات الآرية أو السامية، ولها جذور لا تتغير ووحدتها القواعدية الأساسية هي

المركب اللفظي وليس الكلمة المفردة، وقد قام بعض الباحثين بمقارنتها بالكثير من اللغات الملصقة الأخرى مثل التركية والهنغارية وبعض اللغات القوقاسية وخصوصاً اللغة الطورانية القديمة، حيث قام رولنسن في وقت مبكر باثارة مثل هذا الرأي ثم تبعه أوبرت



مخطط (١)
نظريات أصل السومريين من خارج وادي الرافدين

وكان أمر اكتشاف اللغة السومرية ما زال في بدايته ، وقد تحدث صموليل نوح كريمر عن احتمال كون اللغة السومرية تنتمي إلى نمط الطورانية ، الا أن طه باقر الذي لمح إلى ذلك أيضاً في مقدمته حسم هذا الموضوع برأي علمي عندما قال « ومع أن اسلوب الإلصاق مستعمل في جملة لغات بشرية ملصقة قديمة وحديثة مثل اللغة العيلامية ولغات عائلة (الاورال - الطاي) كالمغولية والتركية والمجرية ولغات أخرى مثل البولينيزية والباسكية وبعض اللغات القوقاسية مثل الجورجية. بيد أنه يمكن القول أن اللغة السومرية لا تمت بصلة قربى إلى أيٍّ من هذه اللغات الملصقة ، ولعل أقرب فرضية لتعليل تفرد اللغة السومرية أنها من عائلة لغوية أنقرضت في أزمان بعيدة عن عصور ما قبل التاريخ ولم يبق منها سوى اللغة السومرية التي تكلم بها السومريون في حضارة وادي الرافدين ، وكانت أقدم اللغات المدونة في هذه الحضارة (باقر ١٩٧٣ : ٦٠).

٢. الأصل الوسط آسيوي (الاصل الصيني السومري المشترك) :

يرى بعض الباحثين أن السومريين قدموا من هضاب ومرتفعات أواسط آسيا ، وانهم سلكوا طريقاً باتجاه ايران جنوباً حتى استقروا في جنوب العراق. ودليلهم على المسلك الايراني هذا تشابه فخار العبيد الملون في العراق وايران (وهذا بالطبع لا يدل علي ما ذهبوا اليه بل يدل على انتشار فخار العبيد باتجاه ايران).

وقد ذهب الباحثان (بالي ولت) إلى مذهب أبعد فقد استدلا من خلال بحثهما الدقيق في الكتابتين المسمارية الصينية والسومرية في كتابهما (الصينيون والسومريون) إلى أن هناك تشابهاً صارخاً بين المراحل الصورية الأولى من الكتابة الصورية المسماوية (التي اخترعها السومريون) والمراحل الأولى من الكتابة الصينية القديمة (الكو . ون) ووضعا معجماً صينياً سومرياً مقارناً للكثير من الكلمات المشتركة في معانيها وأصواتها ، واستنتجوا أن اسلاف الصينين والسومريين جاءوا من اصول جبلية في وسط آسيا منحدرين باتجاهين ، أحدهما ذهب إلى الصين والآخر اخترق ايران واستقر في جنوب العراق. وكان كل منهما يحتفظ باصول الكتابة المشتركة البدائية لأسلافهما مع تصويتاتها المشتركة (انظر Bali, Litt 1913: introduction).

٣ . الاصل الايراني وجبال زاغروس :

لاحظ بعض الباحثين أن السومريين يستعملون في كتابتهم ولغتهم رمزاً واحداً لمدلولين هما الجبل والوطن (البلد) . . وهو كور (Kur) . ورأو أن في ذلك ما يدل على أنهم يعنون بأن وطنهم هو الجبل، ووضعوا احتمالاً لأقرب الجبال المحاذية لجنوب وادي الرافدين وهي جبال زاغروس ، وقد عزز هذا الرأي أن السومريين لم يبنوا معابدهم على أرض مستوية مثل البيوت والقصور بل على أرض مرتفعة ووضعوا مصطبات بنيت عليها هذه المعابد، ثم بنوا المعابد على شكل زقوات تشبه في شكلها الجبال العالية، وجعلهم هذا يربطون بين المعبد كمكان مقدس وبين الوطن كمكان قمدس قدموا منه وأن هذا المكان هو الجبال الايرانية شرق سومر .

وازداد تعزيز هذا الرأي ما وجد في الأختام السومرية الاسطوانية من رسوم الأشجار وحيوانات جبلية مثل (السرو والارز والوعل والماعز الجبليين من ذوي القرون الطويلة) .

ثم ازداد هذا الرأي رسوخاً مع اكتشاف التشابه بين فخار العبيد في سومر مع فخار سوسة، ولكن ظهور فخار أريدو السابق عليهما والذي شكل مصدرهما خفف من هذه الحجّة، ثم أن الزقورات كانت تنفيذاً لتصوير مثولوجي لاهوتي عن جبل الكون الاول الذي ظهرت الآلهة على قمته حسب اللاهوت السومري، وانه لا يمكن الاعتماد على مفردة أو مفردتين للدلالة على أصل شعب له عشرات الآلاف من المفردات في لغته وكتابته .

٤ . الأصل السندي (هارابّا ومهنجو دارو) :

بعد أن اعطت الاكتشافات المثيرة في حوض نهر السند (مناطق هرابّا Harappa وموهنجودارو Mohenjo - Daro) صورةً جديدة لاصول الحضارات القديمة في الهند، وجد بعض العلماء أن هناك تشابهاً كبيراً بين الآثار السومرية والهندية الثقافية والمادية والأختام التي تعود إلى حوالي (٣٠٠٠ - ٢٧٠٠ ق . م) ومما زاد في ذلك العثور على مدن سومرية مثل (أور، كيش وتل أسمر) على أختام تحمل صفات الأختام المعروفة في وادي السند من حيث الشكل والاسلوب وصور المنحوتات المحفورة عليها كالثور ذي السنام فوق الرقبة والفيل والكركون والتمساح (أنظر علي ١٩٨٩ : ٢٧) .

والنظرية التي تقول بوجود علاقة عرقية حقيقية بين السومريين وبين أقوام هارابّا ذات جاذبية خاصة لاولئك الذين يحاولون أن يجدوا صلة لغوية بين اللغة السومرية واللغة الدرافيدية، وهناك دلائل قوية على شكل طرز فنية واشياء مادية خاصة بحضارة وجدت في المواقع الاخرى ولعلاقات تجارية في الألف الثالث بين السومريين وأقوام وادي الهند أو بلوخستان (انظر ساكز ١٩٧٩ : ٥٣).

٥ . الأصل الخليجي (دلمون)

من اساطير الكاهن البابلي اليوناني (برعوشا) ومن قائمة ملوك ومدن ما قبل الطوفان هناك ما يشير إلى أن الرجل السمكة أوانيس Oannes الذي خرج من الخليج وجلب معه مقومات الحضارة. وهذا يتفق مع الأفكار السومرية حول إله الحكمة إنكي (إيا) والذي شكل الإله المحلي لمدينة اريدو وهي أقدم مرئية كانت تقع على ضفاف الخليج العربي ثم استوطنت المدن الاربعة الاخرى بنزوحٍ من البحر من الجنوب الشرقي فصاعداً حتى الخليج العربي (انظر ساكز ١٩٧٩ : ٥٢).

أما النظرية التي تحمّس لها جيوفري بيبي على أساس أن ما عثر عليه في دلمون (البحرين) من آثار سومرية ومن آلاف القبور تشير بوضوح إلى أن دلمون كانت الموطن الذي نزح منه السومريون عبر الخليج العربي مروراً بجزيرة فيلكا ثم إلى جنوب وادي الرافدين، ويعتمد في ذلك أيضاً على أن السومريين كانوا يذكرون دلمون في أساطيرهم على أنها الجنّة الخالدة وعلى أن الخالدين من البشر يسكنون فيها (زيوسدرا أو أوتونابشتم في ملحمة كلكامش) وأنها تذكر بالعصر الذهبي الذي عاشوا فيه (انظر بيبي ١٩٨٥).

ويتوسع مناصرو هذه النظرية أكثر من ذلك عندما يقررون أن حضارة ما جان (مكان) في عُمان وحضارة التاروت في الجزيرة العربية وحضارات أم النار والباربار في دول الامارات وقطر تشكل الخلفية الخليجية لحضارة دلمون وأن هذه الحضارات مجتمعة كانت أصل السومريين وموطنهم الأول قبل أن يظهروا في وادي الرافدين.

٦ . الأصل الجزيري (عاد)

تعتبر نظرية الأصل الجزيري التي جاء بها الدكتور بهاء الدين الوردي **(الوردي ١٩٨٣)** من أكثر النظريات إثارة ودهشة، ففي كتابه (حول رموز القرآن الكريم) يذهب الوردي إلى

أن قوم عاد هم السومريون، وقد سعى بإجتهاد واضح لاثبات ذلك ولكيفية نزوحهم من الجزيرة العربية معتمداً على تحليل اللغة والكتابة السومرية، وقد اعتبر الوردي (الذي تأثر إلى حد كبير بالمستشرق رينو أستاذه) أن (عاد) هم موجة سامية كاملة خرجت من الجزيرة العربية قبل الألف الرابع قبل الميلاد وتفرقت في الشمال العربي كله، ففي العراق صار العاديون سومريين، وفي الشام صاروا الحيثين وفي مصر صاروا الفراعنة وهكذا، ولا تعتمد هذه النظرية على أدلة أثرية كافية بل تحاول من خلال احتمالات تاويلية للغة والكتابة بسومرية وربطها بالعربية الوصول إلى حل مشكلات كثيرة، ولذلكً يبقى التخفظ عليها قائماً واساسياً (الماجدي ١٩٩٢أ : ٥٢) و (الماجدي ١٩٩٢ب).

٧ . الأصل المتوسطي (الايجيون) :

ضعفت كثيراً نظرية احتمال كون السومريين من أقوام البحر الأبيض المتسوط والتي اعتمدت بالدرجة الأساس على تحديد صنف الجماجم التى عثر عليها في المقابر السومرية من أنها تمثل جنس البحر المتوسط الناتىء الفك الغليظ العظام والكبير الأسنان نوعاً ما . (انظر كون ١٩٤٩ : ٩٣). وذهب البعض إلى أن أغلب مؤخرة الجماجم السومرية مستقيمة، وهو ما يمثله جنس البحر المتوسط بالإضافة إلى المؤثرات الثقافية المشتركة المبكرة لبعض الجزر الايجية .

ولكن هذه النظرية لا تصمد أمام حقائق بايولوجية أو آثارية اخرى، أهمها تزايد اكتشاف جماجم سومرية كثيرة مكورة المؤخرة وغيرها .

٨. الأصل الشامي (سوريا وفلسطين) :

يتخذ مناصرو هذه النظرية من فخار الوركاء السومري دليلاً على أن له ما يشبهه في شكله والوانه الحمراء والرمادية والتي عثر عليها في شمال سورية وفلسطين، فرسموا طريقاً منحدراً من تلك المناطق اختطه أجداد السومريين ثم استوطنوا منطقة سومر .

وتضعف هذه الحجة أمام الأصل العبيدي والوركائي للفخاريات الشامية وليس العكس .

٩ . الأصل الاوربي (الهنكاري) :

قام الدكتور بندنك من جامعة بوينس ايرس باصدار كتاب (الاعجوبة السومرية The sumerian wonder) عام ١٩٧٤ ، حاول أن يثبت من خلاله أن السومريين جاءوا من هنكاريا «وأغرب ما في هذا الكتاب قائمة تحتوي على عشرات من المفردات السومرية التي أوجد لها المولف بطريقة أو بأخرى، ما يوازيها في الهنغارية معناً ولفظاً، وقد خلص المؤلف في نهاية الأمر إلى رسم خريطة توضيحية لهجرة السومريين من الأراضي الهنغارية- الرومانية إلى بلاد الأناضول وصولاً إلى مناطق الفرات العليا ، ومن ثم النزول باتجاه جنوب وادي الرفدين نحو ما يعرف ببلاد سومر، (على ١٩٨٩ : ٢٧).

ويبدو تهافت هذه النظرية واضحاً حيث عكس الدكتور بندنك الأمر ، فبدلاً من الإشارة إلى انتشار الحضارة والكتابة واللغة السومرية إلى أصقاع بعيدة في اوربا ودخول مفردتها إلى اللغات الاوربية القديمة، عكس الأمر دون مراعاة البعد التاريخي للموضوع.

١٠ . الأصل العراقي (الرافديني المحلي) :

أرجأنا الحديث عن هذه النظرية إلى آخر هذا العرض، وذلك لنبين، أولاً ، أن الباحثين لم يتركوا جهة من جهات الأرض إلاّ وجعلوها أصلاً للسومريين، وثانياً ، لنبين أن كل نظرية من النظريات التسع السابقة إعتمدت على عامل واحد أو عاملين كأساس لها مثل اللغة أو الثقافة او البابولوجيا دون الأخذ بالاعتبار القضية السومرية باكملها، وكقضية شاملة متصلة بماضٍ قبلها ومستقبل بعدها .

ونحن نرى أن نظرية الأصل العراقي للسومريين تحلّ الكثير من المشكلات التي طرحتها النظريات الأخرى، رغم أن بعضها ما زال عالقاً.

السؤال الذي نطرحه أولاً هو: أي الاماكن او البلدان كان اكثر تطوراً من بلاد الرافدين في الأرض كلها قبل ظهور السومريين في جنوب وادي الرافدين حتى نقول بأن السومريين قدموا من خارجه وجلبوا معهم نواميس الحضارة ومنها الكتابة ؟

والجواب الحتمي هو لم يكن هناك اكثر تطوراً من وادي الرافدين على الاطلا ، لأن العراق ومنذ عصر الميزوليت ثم النيوليت ثم الكالكوليت كان يتطور بطريقة متصاعدة متسارعة ويجعل جميع الاماكن التي حوله تلهث وراء تطوره . . ولذلك جاء تطور

السومريين متمماً للتطورات التي سبقته. فقد تطور وادي الرافدين في التعدين والزراعة والري وإنشاء المدن والمعابر وظهور الحرف . . فما الذي يمنع أن تنمو هذه النواميس الحضارية وتتطور ويكون ذلك على أيدي اناس أُطلق عليهم بعد ذلك إسم : السومريين .

يقول المؤرخ (جورج رو) بأن الأدب السومري يقدّم لنا صورةً لشعب مُجد مثقف، وجد متدين، غير أنه لا يعطينا معلومات عن أصله. وتدور حوادث القصص والأساطير السومرية في وسط غني بالأنهار والبحيرات وبالبردي والنحيل – وهذه خلفية نموذجية لمنطقة جنوب العراق – وتعطي انطباعاً قوياً بأن السومريين قد عاشوا دائماً في ربوع هذه المنطقة. وليس هناك ما يؤكد وجود أي موطن سالف للسومريين يختلف عن وادي الرافدين، ، (رو ١٩٨٤ : ١٢١).

بعد الثورة النيوليتية الهائلة في شمال وادي الرفدين وعلى سفوح جباله وظهور القرى والعبادات المنتظمة وسبل التحضر، وصلت كانت هذه الثورة إلى ذروتها في حضارة أو ثقافة سامراء في الألف الخامس قبل الميلاد. وقد هذه الحضارة تعتمد في اقتصادها على الزراعة . . والزراعة بدورها تعتمد على الأمطار المتذبذبة السقوط. ولم يكن هناك سبيل امام السامرائيين إلاّ الاعتماد على الأنهار وتنظيم ريها . . وكان لا بد أن يرافق ذلك انحدارهم إلى الجنوب مع مسيرة دجلة فبدأو بالنزوح تدريجياً.

كان الإسم القديم لمنطقة سامراء في الألف الأول قبل الميلاد (سرمراته) وذكر أيضاً (سيمراوم) و (سيمراء) . . اما الرأي الذي يقول أنه في العصر العباسي اشتق من عبارة (سُرّ من رأى) فهو خرافة ولا شك. ويدل على أن هذه المنطقة وما حولها كان لها علاقة باسم (سومر) بدليل ذكر (سور سومر) عند احد المورخين الرومان ووجود منطقة (سومار) إلى الشرق من سامراء بإتجاه ايران .

إن هذا كله يشير إلى أن سامراء النيوليتينة كانت الموطن الاصلي للسومريين وقد حاول الدكتور فوزي رشيد اثبات ذلك في أكثر من مناسبة .

ولا نستبعد مطلقاً أن انتشار السامرائيين النيوليثين كانوا في الأرض المحصورة بين (سامراء) على دجلة و(حديثة) على الفرات. وأن انحدارهما ، كلٌ على نهره، بدأ في منتصف الألف الخامس قبل الميلاد مع بدء الثورة الكالكويتية واستخدام المعادن. وقد تكون جبال حمرين مصدراً اساسياً في هذه الهجرة .

ويبدو مع الزمن، في حدود الألف الخامس قبل الميلاد ، ظهر في المناطق التي حول نهر دجلة في اراضي جنوب وادي الرافدين الخصبة اقوام اطلق عليهم اسم (الدجلويون الاوائل) وهم ابناء حضارة سامراء . أمّا الذين تتبعوا نهر الفرات في اراضي جنوب وادي الرافدين الخصيبة فاطلق عليهم اسم (الفراتيون الأوائل) . وكان لكل من هؤلاء لغة تختلفُ إلى حد ما عن الأخرى وباندامجهما في مدن السهل الرسوبي ظهر ما نسميهم بـ (العبيدون) الذين يمكن أن نطلق عليهم السومريون الأوائل حيث شكلوا الأجداد المباشرين للسومريين . ويمكن تتبع ما أسلفناه في (المخطط رقم (٢))

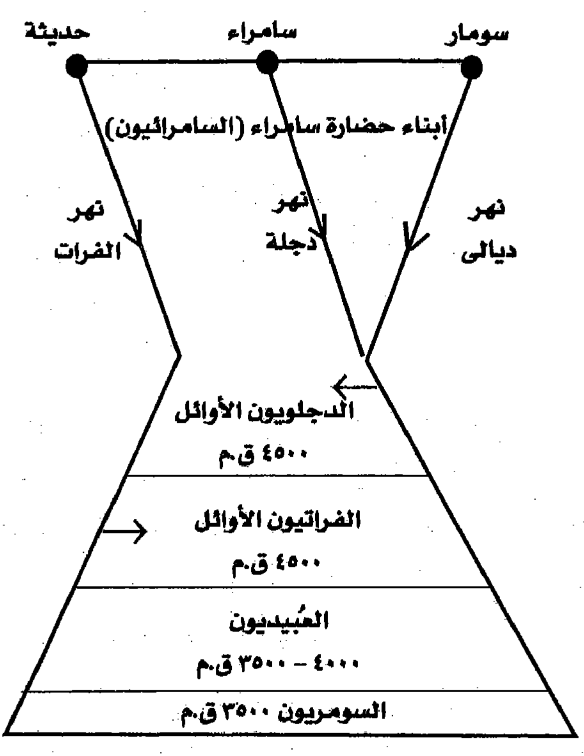
وبذلك نرى أن القسم الجنوبي من وادي الرافدين كانت تسكنه ثلاثة أنواع من الأقوام المتجانسة (بين الألف السادس والخامس) ق . م . وهي :

١ - الدجلويون الأوائل (proto - Tigridians) وهم الأقوام الذين سكنوا حول النصف الجنوبي من نهر دجلة واستقروا في النصف الأعلى من السهل الرسوبي، وقد بحث الباحثون في ما تبقى من اسمائهم لغتهم فوجدوا ان هناك اسماء بعض الآلهة مثل «داگان وزابابا ورب الشمس أمبا AMBA وعشتار وأداد ، وبأن المنطقة قد سكنت من قبل العناصر المتكلمة باللغات السامية باقوام تختلف عن الفراتين الاوائل، اطلقوا عليهم اسم سكان دجلة الأوائل » (الأحمد ١٩٧٨ : ٢٣١) .

٢ . الفراتيون الأوائل Proto - Euphratic : وهم النازحون الشماليون الذين اسسوا مدنهم على نهر الفرات وشكلوا اغلب سكان النصف السفلي من جنوب العراق . وقد قام لاندز بيركر بدراسة بعض مفرداتهم التي شملت أسماء مدن معروفة وأسماء حرف وصناعات ضرورية وأساسية للمجتمع الزراعي السومري فيما بعد . وقد أطلق هو هذه التسمية على هؤلاء الأقوام، وشخص ما يقرب من (٣٥) مفردة لهم، ثم أضاف لها (غلب) (٢٣) مفردة أخرى .

٣ . العبيديون : وهم في رأينا الخليط الحضاري من الدجلويين والفراتيين الأوائل وجميع الفلاحين والحرفيين الذين نزحوا من شمال وادي الرافدين واستوطنوا سهله الجنوبي الرسوبي وابدعوا في مجالات زراعة الري وصناعة الفخار الخاص بهم واستعمال المعادن وبناء المدن . ونرى أن من أوائل المناطق التي ظهر فيها العبيدون كاصحاب حضارة جديدة هي منطقة أريدو ثم تل العبيد ثم الوركاء . . الخ . وكان زمن ظهورهم ينحصر بين

(٤٠٠٠ - ٣٥٠٠) ق.م. وهم في رأينا (السومريون الأوائل) أو أجداد السومريين القريبون. وقد نشر العبيدون ثقافتهم وحضارتهم إلى شمال العراق والاناضول وسوريا والمتوسط وبلاد عيلام والجزيرة العربية والخليج وكانت إنجازات نوعية هامة على جميع المستويات، وهكذا فعل مثلهم أسلافهم السومريون الذين أكملوا نشر الحضارة الرافدينية وكل ما في الأمر، أن بدء ظهور الكتابة جاء بعد أفول العبيديين بقليل. ومع بزوغ السومريين، (بسبب الكتابة)، أدار هؤلاء القوم التاريخ من مراحل ما قبل التاريخ إلى أول المراحل التاريخية وهنا تكمن أهميتهم وفرادتهم.



مخطط (٢)

مخطط مقترح للأصل الرافديني الشمالي (العراقي) ولكيفية تشكّل أجداد السومريين في الجنوب الرافديني

٢ . مرحلة الظهور (٣٥٠٠ - ٣٠٠٠) ق.م

مع ظهور ثقافة أو حضارة اوروك (الوركاء) (والتي تقع على بعد ٣٠ كم جنوب شرقي السماوة) بدأ ظهور السومريين يتضح في العراق ، ومع هذا العصر بدأت الحضارة في جنوب العراق تنعطف نوعياً خصوصاً وأن حضارة العبيد كانت قد انحلت تماماً ، فقد بدأ الفخار بأنواعه الثلاثة (الأحمر والرمادي والعادي) بالظهور أولاً كدلالة على تغيير مزاج وذوق الناس الذين يستعملون هذه الأدوات الفخارية في حياتهم . وبدأت معابد المصطبات بالظهور والإنتشار . وفي حدود ٣٢٠٠ ق . م ظهرت أول أشكال الكتابة التصويرية في معابد أوروك وسميت مرحلة الكتابة هذه بالمرحل الصورية(pictographic) حيث أصبح بالإمكان التعبير عن كلمة بعلامة واحدة ، فمثلاً العلامة :

(GU) (كو)

تمثل صورة رأس الثور وتعني كلمة ثور (انظر رشيد١٩٧٢ : ٢٠) .

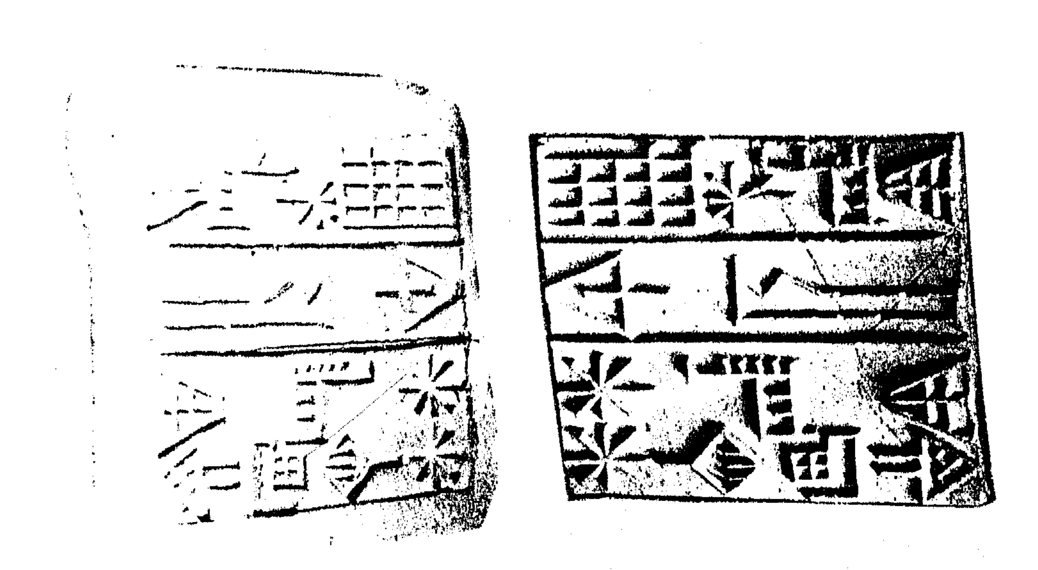
وكانت الحياة الإجتماعية والإقتصادية تشير إلى تبدلات نوعية كبيرة . وانتشر فن النحت ، ونقشت الألواح من الحجر ، وصنعت الأختام الإسطوانية وكان فن العمارة راقياً جداً فقد زينت واجهات المعابد بنقوش مصنوعة . . منها معبد (آن) في اوروك ، ومعبد العقير . او زينت بالفسيفساء المتكون من مسامير ملونة من الفخار أو الحجر .

وبعد ثقافة أوروك السومريةالأولي بدأت ثقافةجمدت نصر السومرية الثانيةالتي تصاعدت فيهاالانجازات السومرية ، وتقدمت فنون الحضارة السومرية وتأسست أغلب نواميسها ، ويذكر أنه قدعثر فيها على مسلة صيد الاسود والاءناءالنذري ورأس القناة الرخامي وتمثال إمرأة عارية ومجموعة من الأختام المسطحة والإسطوانية والأسلحة والفسيفساء وتطورت الصناعات المعدنية كثيراً .

أما الكتابة فقد انتقلت من طورها الصوري الى الطور الرمزي (Ideographic)حيث أصبح يمكن التعبير عن الاشياء والأفكار المتعلقة بها أو التي يمكن أن توحي بها ، فصورا المحراث يمكن أن تعبر عن الفلاح ايضاً ، وصورة الفم ومعه صورة الماء تعبير عن الفعل (شرب) فاذا كان معه قطعة خبز تعبر عن الفعل (أكل) . . وهكذا .

وتطورت الكتابة المسمارية بعد ذلك إلى الطور الصوتي (Phonetic) حيث أصبح

الاهتمام بالعلامات المسمارية، دون معانيها التي تعبر عنها الصورة في الأصل، لتكتب بواسطة الأصوات فمثلاً كلمة (السهم) ترسم بعلامة معينة تلفظ بـ (تي) ، ولكن لفظ (تي) يعني في نفس الوقت كلمة (حياة) . . لذلك أصبحت كلمة حياة وسهم تكتبان بنفس العلامة دون أن يكون بينهما علاقة.



شكل (٩)
كتابة سومرية مسمارية

أما المرحلة الرابعة فهي المرحلة أو الكتابة المقطعية (Agglutinative) التي مهدت لها المرحلة السابقة، حيث أصبح الاعتماد كلياً على الألفاظ الصوتية دون المعاني . فبدأ دمج العلامات ليدل على كلمات مادية ومعنوية جديدة، واصبح مع هذه المرحلة كتابة الاسماء سهلاً، فمثلاً اذا كان اسم الشخص (كيتي ki- ti) فيتم رسم علامة ki التي تدل على المكان أو الأرض، ثم بعدها علامة Ti التي تدل على السهم أو الحياة دون أن يعني

بالضرورة معنى اسم الشخص (مكان أو أرض الحياة) مثلاً . . وهكذا ، وقد انتشر الخط المسماري في مرحلته الصورية في جميع بلاد سومر ، بل ويظن أنه قد أنتشر إلى خارج سومر بإتجاه الشرق نحو الصين ، ومن الشكل الصوري للكتابة المسمارية السومرية ظهرت الكتابة الصينية القديمة المسماة (كو-رون) (انظر Bali, litt, 1913) .

وكذلك نرى أنه من انتشار الحضارة السومرية والسومريين وكتابتهم في المرحلة الصورية غرباً بإتجاه البحر المتوسط ومصر نشأت الكتابة الهيروغليفية المصرية القديمة وانتشرت معها نواميس حضارية سومرية كثيرة (انظر waddell 1930) .

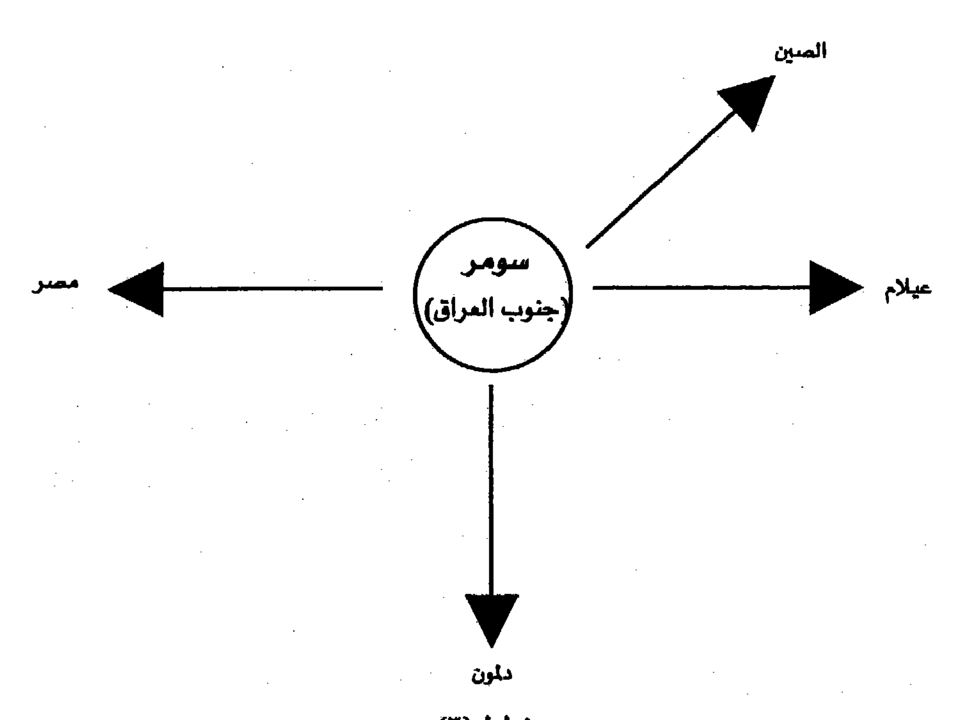


شكل (١٠)

الأعلى: مخلوقات خرافية سومرية الوسط والاسفل: قبضة السكين التي عثر عليها في تل الأراك في مصر (قبل ٣٠٠٠ ق.م) وهي تشير الى تأثيرات سومرية واضحة (المخلوقات الخرافية، الزوارق ، الحيوانات المتصارعة، الشخوص .. الخ).

وانتشر الخط المسماري السومري ومعه اللغة السومرية إلى منطقة (عيلام) جنوب ايران . . وبدت منطقة عيلام وكأنها امتدادٌ لأرض سومر ، لا يفصل بينهما سوى مياه الأهوار (انظر Hinz 1972) . حيث ظهرت آواخر العصر الشبيه بالتاريخي حوالي ٣٠٠٠ ق . م الكتابة العيلامية الاولى (Proto - Elamit) وفي مثل هذه المرحلة بدأت الحضارة والكتابة السومرية بالانتشار بإتجاه الخليج العربي ووصلت إلى دلمون (البحرين) وقد عثر على آثار تشير إلى ذلك (بيبي ١٩٨٥) .

أي أن الاشعاع السومري في فترة الظهور قبل بداية الألف الرابع قبل الميلاد إتجه أربع اتجاهات مهمة وأثر فيها ومهد لقيام حضارات فيها (انظر المخطط رقم (٣)) وسيساهم تقديرنا لهذا الامر ، على ضوء الموجودات الآثارية بحل مشكلة الأصول التي ناقشناها في الفقرة السابقة حيث أن الأمر حصل معكوسا ، وقد بدأ بهذا الانتشار في هذه الإتجاهات الأربعة .



مخطط (٣)

يوضح انتشار الثقافة والكتابة السومرية خارج وادي الرافدين ما بين ٣٥٠٠ - ٣٠٠٠ ق.م

إن الانتشار الواسع والكبير للكتابة المسمارية حصل مع ظهور الاكديين واستعمالهم الكتابة المسمارية لتدوين لغتهم التي حملوها معهم مكتوبة بالمسماري الى اطراف الامبراطورية الاكدية ، وبذلك صار استعمال الخط المسماري عالمياً منذ ذلك الوقت .

شهدت مرحلة الظهور السومري تأسيس المدن السومرية الكبرى ، وظهرت في هذه المدن حكومات وأنظمة سياسية ودينية ومتطورة . وتخبرنا قائمة الملوك السومريين قبل الطوفان ، الذي يخمن الباحثون انه حدث في حدود (٣٠٠٠ ق . م) وربما قبل ذلك بكثير ، أن ثمانيه ملوك حكموا في فترة ما قبل الطوفان التي قد تقع ضمن فترة الظهور السومري ، حيث نزلت الملوكية من السماء الى المدينة السومرية (أريدو) التي كانت تسمى (نون كي) ثم توالى انتقال الملوكية إلى المدن السومرية الخمس حكم فيها ثمانية ملوك لمدة ربع مليون سنة (في مقاييس ذلك الوقت من السنين) ثم حدث الطوفان ، وهذه المدن وملوكها كما يلي :

١- اريدو :حكم فيها الولم، الكار .

٢- بادتبيرا : حكم فيها انمنلو انا، انمنكال انّا، دموزي الراعي .

٣- لاراك: حكم فيها انسيبازي .

٤- سبار : حكم فيها انميندر انّا.

٥- شروباك: حكم فيها اوبار توتو .

وقد ارتبطت بهؤلاء والملوك أحداث وأفكار اسطورية ونسبت لبعضهم المعجزات والخوارق .

٣ مرحلة دول المدن السومرية (عصر السلالات السومرية)

٣٠٠٠ - ٢٣٥٠ ق.م

إذا اتبعنا ثبت الملوك السومريين بعد الطوفان ، وما أظهرته الحفريات الآثارية لهذه المرحله نستطيع أن نقدر أن التاريخ المعروف لبدءمرحلة دول المدن والسلالات السومرية تقريباً ٣٠٠٠ ق . م، ويحدد بعض العلماءبدء هذه المرحلة في ٢٨٠٠ ق . م أو ٢٩٠٠ ق . م (أنظر باقر ١٩٧٣ : ٢٥٢) أي أن هذه المرحلة استمرت ما بين خمسة أو أربعة قرون فهي تقترب من زمن المرحلة السابقة (مرحلة الظهور)، ولكنها تمتاز عنها سياسياً وحضارياً وثقافياً في تقدمها الهائل وانتشارها الكبير ، وكأن سومر تحولت في هذه المرحلة إلى مصباح مضيء أنار الأرضَ كلها بعلومه وفنونه وآدابه وأديانه ونواميسه الحضارية المتعددة التي انتشرت إلى المناطق المجاورة لها في كل الإتجهات ، ليس عن طريق الحروب أو الغزوات بل عن طريق التجارة والهجرات السلمية الحضارية . . حيث امتازت سومر، وهي بلد الحضارة الأولى ، أنها في نفس الوقت بلد السلام والأمن ، حيث لم تكن الحروب الجماعية معروفةً في عصرها إلاّ بعد أن فاجأتها أقوام أخرى غير متحضرة بلغة الحرب والموت، أما سومر فكانت أم نواميس الحضارة البشرية التي انطلقت من جنوب العراق إلى الدنيا بأسرها .

امتاز النظام السياسي السومري في هذه المرحلة بما يسمى بدولة المدينة(city state) حيث تحتفظ كل مدينة باستقلالها السياسي وبحاكمها ومعابدها وآلهتها ، رغم أن هذه المدن جميعها تسودها معتقدات دينية عامة وعلاقات سياسية واجتماعية وحضارية عامة . وقد ظهرت في هذه المرحلة حضارة المدن السومرية العظيمة التي كان لها الفضلُ في تصعيد المنجزات الحضارية السومرية بأكملها . وسنذكر أهم سلالات المدن السومرية وأهم حكامها :

١ . سلالات كيش الأربعة : الأولى عدد ملوكها (٢٣) ملك وآخر ملوكها (أكا) الذي حاربه كلكامش خامس ملوك اوروك ، والثانية عدد ملوكها (٨) ملوك منهم (داداسك) و(ماما كال) . والثالثة حكمتها ملكة واحدة هي (كوبابا) ، أما الرابعة فقد حكمها (٧) ملوك أولهم (بوزرسين) .

٢ . سلالات أوروك الثلاثة : الأولى عدد ملوكها (١٢) ملكاً ، وقد ظهر منهم ابطال سومر الذين ذكرتهم ملاحمها المعروفة وهم (أنمركار) و (لوگال بندا) و(گلگامش) . أما الثانية فعدد ملوكها (٣) ، أما الثالثة فقد حكمها ملك واحد قوي وطموح هو (لوگا زاگيري) الذي حاول أن ينشيء دولة سومرية موحدة لكل المدن السومرية ولكن سرجون الأكدي قضى عليه ، ونفذ مشروعه بل وأنشأ امبراطورية أكدية تعدت وادي الرافدين .

٣ . سلالتا أور : كانت المقبرة الملكية في أور تشير إلى سلالة ملكية مبكرة في أور ، ولكن أور حكمت في هذه المرحلة من قبل سلالتين الأولى حكم فيها (٥) ملوك أولهم مسانيبدا وآخرهم بالولو .

٤ . سلالة لگش : ظهرت في لگش سلالتان الأولى في هذه المرحلة وقد انصرفت للعمران والبناء وأهم ملوكها (أورنانشة) و (أنتمينا) والمصلح العظيم (أوركاجينا) الذي كان آخر ملوكها أما السلالة الثانية فستتحدث عنها بعد الغزو الگوتي لوادي الرافدين .

٥ . سلالة أومّا : حكم فيها (٦) ملوك أولهم أيابورز .

٦ . سلالة أكشاك : حكم فيها (٥) ملوك أولهم أونزي .

٧ . سلالة أوان : حكم فيها (٣) ملوك .

٨ . سلالة أدب : حكم فيها ملك واحد هو لوگال آني مندو .

٩ . سلالة ماري : حكم فيها (٦) ملوك منهم لوگال تارزي .

١٠ . سلالة حمازي : حكم فيها ملك واحد هو (هادانيش) أو (انيش) .

كانت هذه هي المدن السومرية الأساسية التي حكم فيها ملوك سومريون ، لكن هناك مدناً أخرى في سومر تحضى بنفس أهمية هذه المدن مثل نيبور (نفّر) وهي أكبر مدينة دينية سومرية وتكاد تكون العاصمة الدينية المقدسة لبلاد سومر كلها ، حيث عبد فيها أكبر آلهة سومر (أنليل) ، ومدينة أريدو على ساحل الخليج ، ومدينة سبار (أبو حبّة) التي عبد فيها إله الشمس اوتو ، ومدينة أشنونا (تل اسمر) ومدينة خفاجي (تل اجرب) ومدينة ايسن ، ومدينة نينا (سرغل) ومدن أخرى . كل هذه المدن لم يظهر فيها ملوك

وسلالات ملكية ولكنها كانت لا تقل أهمية عن مدن السلالات الحاكمة . وتمتاز هذه المرحلة حضارياً بابتكار نظام دولة المدنية السياسي بعد أن ظهرت المدن في وادي الرافدين منذ الألف الخامس قبل الميلاد ، وهو نظام يدل على التمدن والعمران الحضري وأول شكل من أشكال الحكم المتمدن في تاريخ العالم والذي ظلّ افضل حكم سياسي لعصور طويلة ، حيث ظلّت بلاد الشام مثلاً طيلة تاريخها القديم تحت ظل هذا النطام ولم تظهر دولة مركزية في الشام ، ولكن هذا لم يمنع ظهور حضارات متنوعة ومتجددة في المدن الشامية في سوريا ولبنان وفلسطين والاردن .



شكل (١١)
إناتم الأول ملك لكش (٢٥٥٠ ق.م)

وقد أقام الاغريق بعد اكثر من ٢٥٠٠ سنة على ظهور هذا النظام السومري نظاماً شبيهاً به كان الأساسي في حضارة الاغريق .

واننا نرى على العكس من ذلك (كما سنرى في سومر) ان تحطيم هذا النظام والاتجاه الى نظام الدولة المركزية الواحدة ثم الامبراطورية الشاسعة قد بدد الكثير من امكانية ظهور منجزات متنوعة جديدة ، فقد قضت هذه المركزية على التنوع الذي كانت تزخر به دويلات المدن .

لقد انحسر النظام القبلي والعشائري في سومر تماماً وحلّ محلّه في المدينة السومرية النظام البرلماني حيث يقول كريمر «إن أول برلمان سياسي معروف في تاريخ الإنسان المدون قد التأمَ في جلسة خطيرة في حدود ٣٠٠٠ ق . م . وقد كان مثل برلماننا مؤلفاً من مجلسين : مجلس الأعيان أي مجلس الشيوخ ، ومن مجلس العموم (النواب) المؤلف من المواطنين الذكور القادرين على حمل السلاح ، وكان « برلمان حرب » ، دعي للإنعقاد ليتخذ قراراً في أمر خطير يخص الحرب والسلم» (كريمر ١٩٥٧ : ٨١) .

كانت دولة المدينة مكونة من العاصمة وهي المدينة المركزية التي تتبعها مدن صغيرة وقرى وأرياف وأراضٍ زراعية ، وكان جنوب وادي الرافدين يزدحم بهذه المدن ومرفقاتها عمراناً وعمارة وحياة نَوعية متخصصة ، وكان لمعظم المدن السومرية أسوار تحيط بها .

أما الحياة الدينية لهذه المدن ولمجمل سومر فسنتناولها بالتفصيل في الفصول القادمة ، ولكننا نود القول أن الدين السومري كان أول نظام ديني عميق ابتدأت بد العصور التاريخية للإنسان ، فقد كانت أديان ما قبل التاريخ تفتقر إلى الشبكة النظامية الدقيقة التكوين والموحدة الإيقاع في العقيدة والطقوس والمثولوجيا ، وكان ظهور الدين السومري ثورة روحية عميقة في عصره لأنه كان نظاماً دينياً شاملاً ، ثم أنه احتوى ضمناً أغلب بذور وجذور الأديان التي ظهرت بعده في المراحل التاريخية للإنسان .

وظهرت في سومر تقسيمات الأرض الزراعية التي كانت عملياً كلها ملك الإله ، ولكنها مقسمة إلى ثلاثة أنواع الأولى تابعة للمعبد والثانية تابعة لعمال المعبد والثالثة تؤجر للفلاحين . أما المجتمع فقد ظهرت فيه انقسامات طبقية واضحة تقع الطبقة الحاكمة على

رأسها ومعهم الارستقراطيون والكهنة وشيوخ المدينة ، أما الطبقة الثانية فقد كانت من عامة الناس من (لأحرار) وهم الطبقية الوسطى كالفلاحين والصناع والأجراء، والطبقة الثالثة تتكون الأتباع الذين يعملون في أرض المعبد والصناعات المختلفة والذين يتبعون للأرستقراطية السومرية . والطبقة الرابعة هم العبيد الأرقاء التابعين للمعبد أو القصر وأغلبهم من العاجزين عن دفع ديونهم أوالأسرى أو المشتَرون .

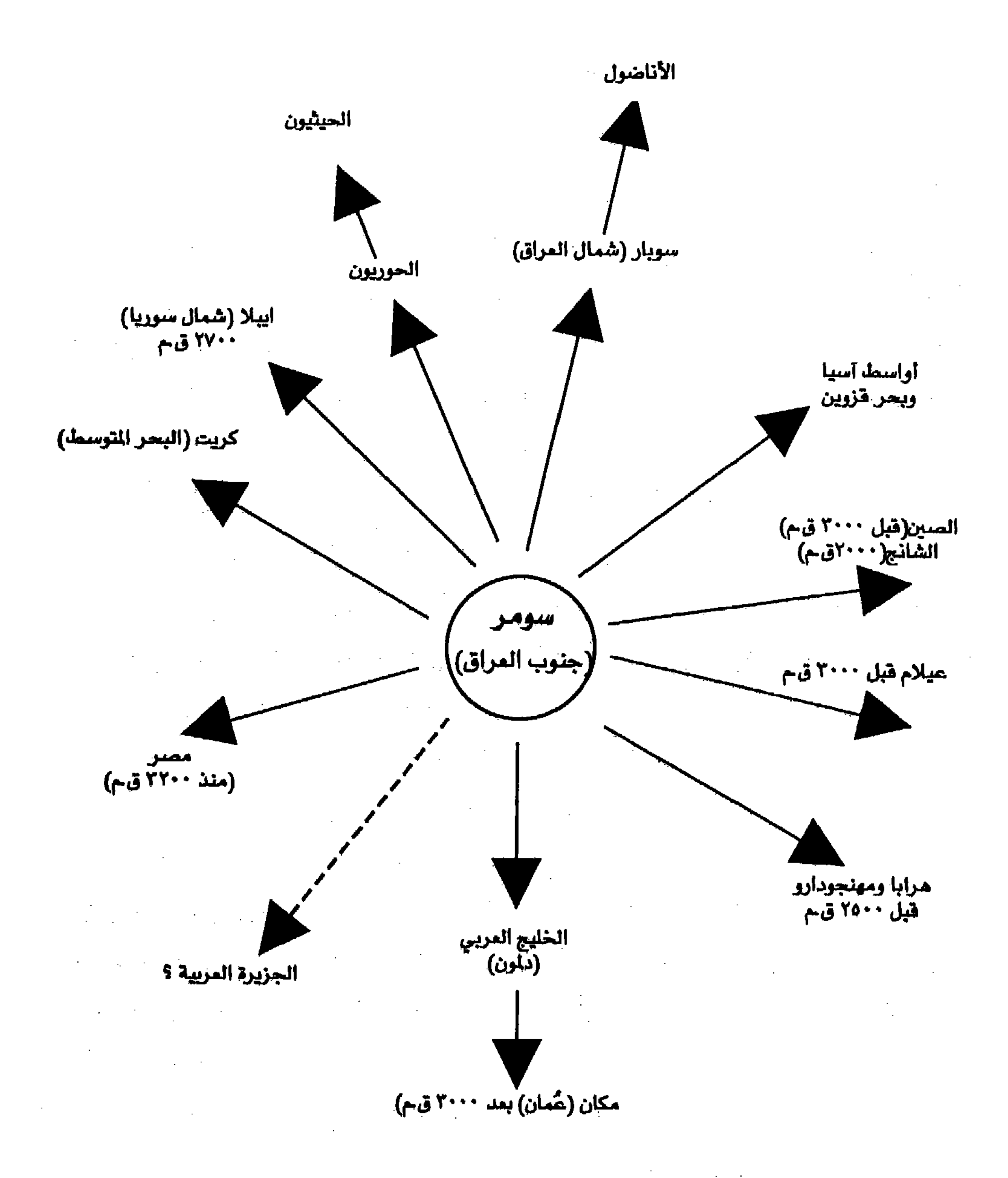
ولا نريد ان نستطرد أكثر في مجال الانجازات الحضارية فنقول أن أول المدارس النظامية وفكرة المعلم والتلميذ والواح المدرسة ظهرت في هذه المرحلة ،وأن اول الشرائع والقوانين ظهرت. وان علوم الطب والكمياء والرياضيات والفلك ظهرت ، وان أول تصورات الإنسان عن الكون وفلسفة الخلق والوجود وأول الملاحم والاساطير المدونة وقصائد الحب وقصص البطولة قد دونت .



شكل (١٢)
الكأس النذري السومري من أوروك

وكان لابد لهذا الكنز الحضاري السومري المدوّن ان ينتشر الى أصقاع الأرض المحيطة به أولاً ثم البعيدة عنه . ويبدو ان فكرة انتشار المنجزات الحضارية قبل هذه المرحلة، وفي هذه المرحلة من خلال الكتابة وغيرها هي التي أوحت لمخترعي نظريات الاصول السومرية بالبحث عن أصل السومريين خارج أرض الرافدين . لكن الحقيقة هي أن الأمر معكوس تماماً فإذاعكسنا رأس الأسهم في المخطط رقم (١) الذي هو عن نظريات أصول السومريين من خارج وادي النهرين فإننا سنحصل على المخطط الحقيقي لانتشار الثقافة السومرية إلى هذه «الأصول المزعومة ؟ » وإذا زودنا المخطط الجديد بالسنين والوثائق فستنكشف الحقيقة كاملة (انظر المخطط ٤) وسنرى أن ذلك الانتشار الحضاري السومري كان ضرورياً للسومريين أيضاً ، فالنمو العظيم للحضارة السومرية كان يحتاج من أماكن خارج وادي الرافدين إلى أمور كثيرة ,, فالذهب من ميلوخيا ووادي الهند واللازورد من برخشان Badkhshanوالاحجار الجيدة لصناعة الأواني من الجبال الايرانية في الشرق والفضة من «جبل الفضة»، ربما طوروس والنحاس من ماجان Magan ومن ساحل البحر العربي. والاخشاب من سلسلة الجبال الشرقية . . وكانت بلادسومر مرتبطة في ذلك الوقت بخطوط تجارية مع معظم العالم المعرف آنئذ، ، (بوتيرو ١٩٨٦ : ٥٨) .

أما التأثير الاكبر الذي مارسته الحضارة السومرية ففي وادي الرفدين نفسه وخصوصاً على الأقوام السامية التي بدأت تدخل العراق خلال الالفين الرابع والثالث قبل الميلاد والتي كانت علاقتها ودية مع السومريين واعتبرت جزءً من سكان وادي الرافدين لا غريبة عليه . . حتى اذا ما استوعبت هذا التراث السومري وهضمته وكان عدد هذه الاقوام يتزايد قياسياً للسومريين، قفزت الى مرحلة الحكم السياسي للعراق القديم وهو ما فعله الاكديون (الساميون) كما سنرى .



مخطط (٤)
انتشار الحضارة السومرية ومنجزاتها خارج وادي الرافدين
قبل وبعد ٣٠٠٠ ق.م. (مرحلة الظهور ودول المدن السومرية)

٤ . مرحلة الدولة السومرية (مرحلة لوكال زاكيري)

(٢٤٠٠ - ٢٣٧١) ق.م.

كان عصر دول المدن السومرية عصر حضارة وبناء وسلام سياسي ، لكنّ الجزء الاخير منه شهد توتراً سياسياً بدأ بين سلالتين متنافستين فيّ لكش وأوما . بدأ اولاً بينهما حول مياه الري والأراضي الزراعية وتحديد الحدود، وختم بينهما بظهور ملك (أوّما) القوي لوگال زاگيري الذي قضي على سلالة لكش في زمن آخر ملوكها اوروكاجينا (الذي يقرأ اسمه الآن اورو أنيمكينا) وهو مصلح اجتماعي كبير ونحنُ نعتبره أول مشّرع في سومر، ولكن العنت السياسي للوگال راگيري جعله يندفع باتجاه المدن السومرية الأخرى فحكم أوروك ثم سقطت المدن السومرية بيده واحدة بعد الأخرى، حتى لقب نفسه (ملك سومر) وتأسست بذلك مملكة أو دولة سومرية واحدة هي الأولى من نوعها في التاريخ .

وإذا أردنا التوقف قليلاً عند هذا الحدث الخطير فإننا بروح الموضوعية نقول أن ظهور دولة سومرية واحدة كان مقدمةً لزوال سومر كلها . . لأن سومر ابتكرت نظاماً سياسياً عظيماً هو (دويلات المدن) وكان الحكم فيها يعتمد على اللامركزية السياسي وهو نوع من الكونفدرالية الذي كان يلائم حياة ذلك الوقت . . ولم يعق ذلك النظام ان يكون هناك كيان سومري وحضارة سومرية عظيمة، لكن استخدام القوة والسيطرة المركزية كانا من السوابق التي ستتكرر بطريقة سيشهد فيها التاريخ زوال سومر نفسها، فقد دام حكم دولة زاگيزي السومرية الموحدة بين (٢٥ -٢٩) سنة . . وهناك ما يقال عن زاگيزي هذا بأنه توسع في دولته وحولها الى امبراطورية تعدت حدود وادي الرافدين وشملت سوريا، وهذا ما نراه مدوناً في سندیانة حجرية مكرسة لإنليل في نفر تدور حول فتوحات لوگال زاگيري :

« عندما وهبه إنليل ، ملك كل البلدان ذات السيادة، الملكية على الوطن (سومر) ، ووجه أنظار الأمة اليه ، وجعل كل البلدان تنتظره، وجعل كل فرد، من حيثما تشرق الشمس إلى حيثما تغرب الشمس، يستسلم له . بعد هذا، ضمّ اليه أقدام كل شخص من البحر الأسفل (الخليج العربي)، وعلى امتداد دجلة والفرات، وحتى البحر الاعلى (البحر الابيض المتوسط) ، لم

يُبق له انليل أي منافس من حيثما تشرق الشمس إلى حيثما تغرب، فخضعت له كل البلدان ذات السيادة لسيطرته (كالأبقار) في المراعى، وكانت الأمة تروي (حقولها) بحبور في ظل حكمه، وانحنى له كل حكام سومر التابعين وكل امراء البلدان المستقلة أمام مكتبة التحكيمي في أوروك، ، (رو: ١٩٨٤: ١٩٨)».

ورغم وجود ما يشير الى ظهور المؤثرات السومرية الثقافية في هذه الأصقاع منذ المرحلة السابقة الاّ اننا لا نستطيع أن نجزم سياسياً بظهور امبراطورية سومرية في عصر لوگال زاگيزي، رغم أننا نستطيع أن نؤكد تماماً ظهور دولة أو مملكة سومرية موحدة في عصره شملت جنوب وشمال وادي الرفدين ودامت اكثر من ربع قرن بقليل .

ويبدو أن هذه الفترة من ظهور الدولة السومرية المترامية الاطراف أثارت شهوة رجل غير سومري الاصل كان يعيش في دولة سومر هذه، وهو من اصل سامي، كان يعمل (حامل كاس) أو نادل ملك كيش (أور – زبابا) السومري . فبدأ يخطط ليكّون توتاليتاريا سياسية عراقية كالتي فعلها لوگال زاگيزي واكثر، وقد كان مما يسانده تماماً زيادة العنصر السامي على حساب السومري والوجود الكثيف لهم في المدن السومرية ذلك الرجل هو (سرجون الأكدي) الذي أطاح بلوگال زاگيزي واسس الدولة ثم الامبراطويرة الاكدية (٢٧٣١ – ٢١٥٤) وعاصمتها اكد، أي أنها دامت بحدود قرن ونصف وتوسعت خلالها وشملت الاقطار المجاور فصارت أول امبراطورية في التاريخ، ولقد نوهنا ان هاجس التوسع والسيطرة الذي بدأ به زاگيزي أدى إلى هذه النتيجة التي نرى أنها حطمت التنوع وامكانيات نمو حضارات محلية مهمة وأنعشت هاجس التوسّع وفتح البلدان والقسوة عليها، وعلى شعوبها وربما تدميرها . . وهو ما سيتصف به تاريخ الشرق الادنى القديم بأكمله . . وما سترثه اليونان مع الاسكندر وروما . . الخ .

لقد كان انتقال السلطة من السومريين إلى الأكديين سلمياً بسبب العلاقة التاريخية التي تربط الشعبين وبسبب احتضان سومر لهما لقرون طويلة وتهذيب امكانيات التطاحن بينهما « ومن الامور الحضارية التي يجدر التنويه بها موضوع انتقال السلطة السياسية الى الاكديين الساميين انتفاء الصراع القومي الذي كان يفترضه الباحثون القدماء ما بين الساميين وبين السومريين على أن منشأه أسباب قومية . اذ الواقع من الامر ان الملوك

الاكديين إذا كانوا قد اتخذوا القسوة إزاء بعض المدن السومرية فإن سبب ذلك لأنها أعلنت الثورة وليس لأن أهلها من السومريين وأنهم ساروا على السياسة نفهسا تجاه بعض المدن الاكدية إذا أظهرت العصيان (باقر ١٨٧٣ : ٣٥٥) أما الثقافة السومرية فلم تتقوض أو تذوب خلال القرنين الاكديين بل اكتسبت عناصر جديدة منشطة من الاكدين مثلما منحت هي الارض الخام التي بنت الحضارة والثقافة الاكدية نفسها عليها . . وحتى على المستوى السياسي بقي بعض حكام المدن السومرية الذين من أصل سومري يحكمون مدنهم ، ولولا هذا الامر لما استطاع السومريون بعد ان اسقط الگوتيون الامبراطورية الاكدية طرد الگوتين واستعادة وادي الرافدين بأكمله .

حكم الدولة الاكدية عشرة ملوك اشتهر منهم الخمسة الأوائل، ثم استطاع الگوتيون وهم من اقوام جبال زاغروس المتاخمة لحدود العراق الشرقية مع ايران القضاء على الدولة الاكدية وورثوا أغلب مدنها خصوصاً الشمالية منها وحكموا (١٢٥) عاماً لم تقدم خلالها أيّ ثقافة أو حضارة للعراق بل خربت مدنه ودمرت بعض جوانب حضارته، أول ملوكهم (شارلكاب) وما لبثت قليلاً في جنوب العراق حتى انسحبت إلى الشمال واتخذت مدينة (أرابخا) أي كركوك مركزاً لهم بحيث مهد مثل هذا الجو العودة لدول المدن السومرية للتطور والانتعاش، فظهرت سلالة حاكمة في الوركاء حكمها خمسة ملوك. وظهرت سلالة لگش الثانية التي بعثت الحياة في الروح السومري من جديد خصوصاً في عصر ملوكها (گوديا) . وقد حكم فيها (١٣) ملكاً سومرياً، ثم ظهر في اوروك مؤسس السلالة الخامسة لها وهو (اتو حيگال) الذي كان قوياً فقام بطرد الگويتين من وادي الرافدين كله واعاد السيادة السومرية على البلاد، ويبدو أنه قام بمحاولة تسوية من مدينتي لگش وأور التابعتين له، لكن حاكم مدينة أور واسمه (أورنّمو) انفصل عنه، ثمّ تغلب عليه واسس سلالة سومرية جديدة هي سلالة أور الثالثة التي قدر لها أن تعيد المجد السومري وتجعل في سومر إمبراطورية جديدة .



شكل (١٣)
كوديا أمير لكش



شكل (١٤)
أورنانشة أمير لكش

٥ . مرحلة الامبراطورية السومرية (سلالة اور الثالثة)
(٢١١٢ - ٢٠٠٤ ق.م)

دام حكم سلالة أور الثالثة زهاء القرن الواحد لم تكتف فيه بتوحيد المدن السومرية بل واستطاعت مدّ نفوذ سومر الى خارج وادي الرافدين مقلدّة ما فعلته الامبراطورية الاكدية، فقد شملت فتوحاتها أغلب الشرق الأدنى فبالاضافة إلى شمال الرافدين وصلت فتوحاتها الى عيلام وسوريا ووادي الخاور والبالخ والاجزاء الشرقية من آسيا الصغرى ومناطق الخليج العربي.

وحكم في سلالة أور الثالثة خمسة ملوك هم (اور - نّمو، شولكي، أمارسين، شوسين، أبي - سين) .

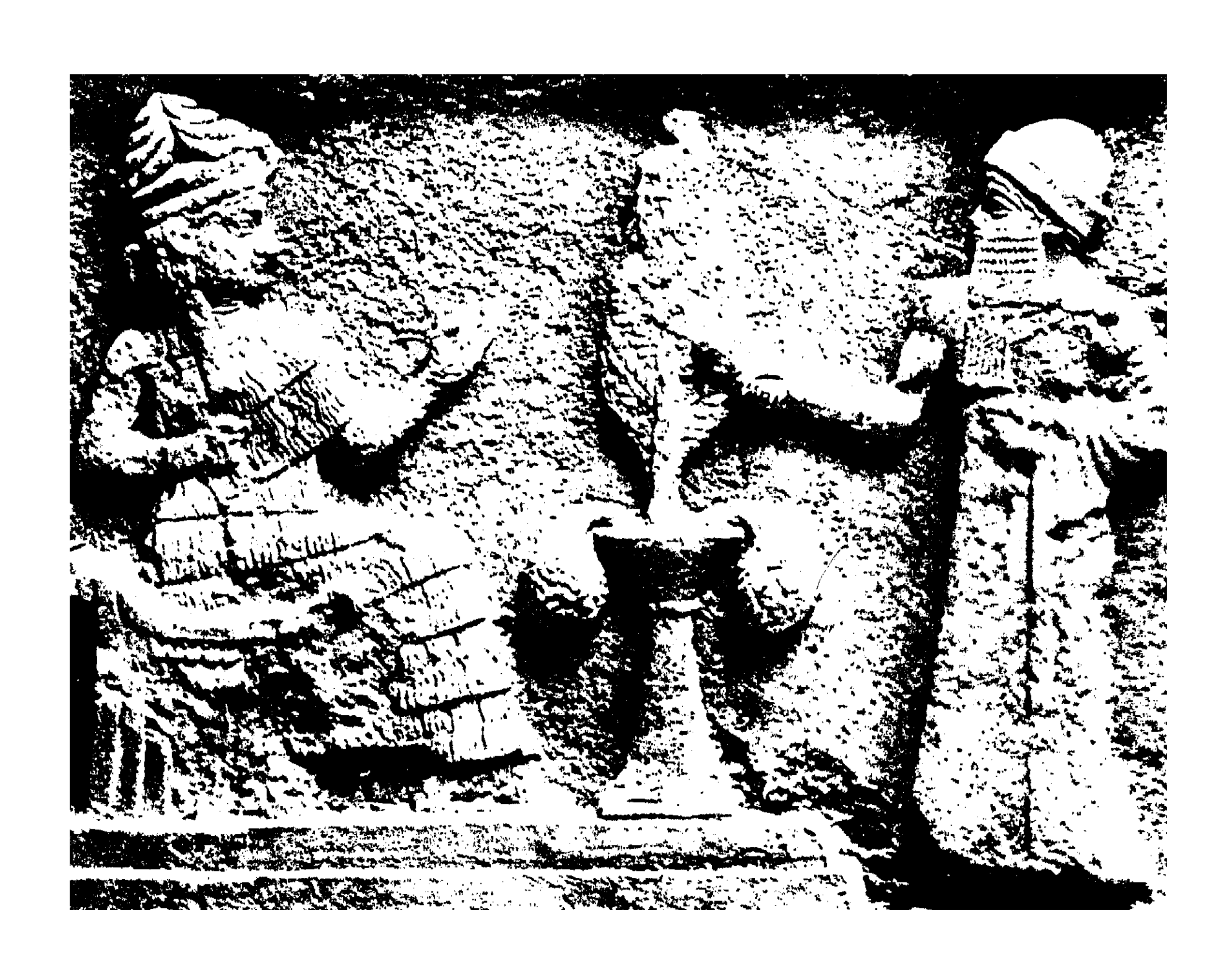
وخلال هذا القرن السومري الأخير أنجز السومريون أعظم انجازاتهم في جميع المحالات وثبتوا أركان حضارة كبيرة ستكون أساس ما بعدها، فقد انتعشت الثقافة السومرية القديمة بالمصل الاكدي الذي أضاف لها الكثير وبذلك نشأت ثقافة سومرية جديدة اصبحت أكثر قدرة على منح العالم القديم (الذي بدأ ينهض ويؤسس دوله وحضاراته) رؤية عالمية نشطة وقوية.

لقد كان الملك السومري أورنّمو (٢١١٣ - ٢٠٩٦ق.م.) هو أكثر ملوك سلالة أور شهرةً وعظمةً، فقد كان مهتماً بالبناء والعمران في كل سومر، وتعتبر زقوة أور التي بُنيت لإله القمر (نانا) من أشهر وأروع انجازاته العمرانية. كذلك يعتبر من أقدم المشرعين في التاريخ فقد وصلت شريعته المدونة باللغة السومرية، والتي تعكس إحساسه الإنساني بالعدل وسنّة لقوانين الغرامات المالية بدلاً من القصاص الجسدي (العين بالعين) وهو ما سنته لاحقاً شريعة حمورابي.

ويعتقد أن السبب العميق لسقوط الامبراطورية السومرية هو سبب اقتصادي، فقد أصبح من العسير على بلد بدأت الملوحة تصعد في أرضه الخصبة ويقل انتاجه الزراعي، ان يقوم بمدٍّ الغذاء والحياة الهائلة لأصقاعه البعيدة.. وان يلتفت لادراتها بصورة صحيحة.

أما الأسباب السياسية والعسكرية فقد كانت مباشرة وعنيفة ف، قد كان من الواضح ان قلب سومر في جنوب العراق أصبح بين فكين شرسين الأول أتى من الشرق حيث هجم

العيلاميون على المدن السومرية وخربوها. والثاني أتى من الغرب حيث هجم الأموريون (وهم ساميون جدد) على سومر وأمسكو الحكم في مدنهم ثم استطاعوا طرد العلاميين من وادي الرافدين واصبحوا هم ملوك السلالات والممالك الجديدة ثم وحدت العراق احدى السلالات الآمورية وهي سلالة بابل الأولى.



شكل (١٥)

الملك أورنّو امام الإلهة ننگال زوجه الإله القمر في أور، متحف فيلادلفيا

هكذا زال الكيان السياسي للسومريين الى الأبد، ولكن حضورهم الثقافي كان الأساس الذي بنيت عليه حضارات العراق القديم كلها، كما أن اللغة السومرية ظلت تستخدم كلغة دين وعلم لفترات لاحقة.

كانت الامبراطورية السومرية في أواخر حكم اباطرتها قد بدأت بالتفكك فقد انفصلت عنها عيلام، ثم انفصلت المدن السورية، أما مدن وادي الرافدين فقد تشكلت مثل رقع موزائيكية من الممالك الكبيرة والصغيرة، ففي جنوب وادي الرافدين ظهر صراع حاد بين مملكتي إيسن ولارسا لاحتلال مركز اور وحكم بلاد سومر واكد. اما في الشمال وادي الرفدين فقد ظهر صراع حاد بين مملكتي أشنونا وآشور للسيطرة علي الطرق التجارية الكبيرة وعاد العراق بالتدريج مفككاً الى دول مدن جديدة ساميّة هذه المرة حتى ظهرت سلالة بابل الاولى التي اعادت الوحدة له تحت حكم ساميّ قوي.

إن التاريخ السومري يظهر لنا متدرج التطور، فمن الأصول الزراعية البعيدة لفلاحي الشمال العراقي الى الظهور الواضح والزعامات والكهانات في منتصف الألف الرابع قبل الميلاد الى ظهور دول المدن السومرية الى ظهور دولة سومرية واحدة إلى ظهور الامبراطورية السومرية، وهو تاريخ يستحق التأمل وإعادة الفحص دائماً بسبب من كونه أول تاريخ مكتوب في العالم لأول حضارة تدرجت سياسياً من حكومة المجلس إلى المدينة إلى الدولة إلى الامبراطورية.

الفصل الثاني

المثولوجيا السومرية

(دراسة في الأساطير والآلهة السومرية)



يتكون كلّ دين ظهر على وجه الأرض من مكونات رئيسية كبرى ومن مكونات ثانوية ملحقة بها ، والمكونات الأساسية لكلّ دين هي (المعتقد ، الأسطورة ، الطقس) . أما المكونات الثانوية فتتضمن (الأخلاق والشرائع) (انظر السواح ١٩٩٤ : ٤٧) .

ونري أن أهمية كل عنصر من هذه العناصر الأساسية أو الثانوية تتغير طبقاً إلى نوع الدين وطبيعته فالأديان البدائية تضع الطقس في أولوياتها ، والأديان الجوهرية (أديان الشرق الأقصى) تضع المعتقد ثم الطقس في أولوياتها ، والأديان الإلهية (أديان الشرق الأدنى وحوض المتوسط) تصنع الأسطورة في أولوياتها مصدراً للمعتقد والطقس (انظر الماجدي ١٩٩٦ : ٧٨) .

وتلعب الأساطير السومرية دوراً أساسياً في الدين السومري فهي منهل عقائده وطقوسه ولذلك آثرنا تفصيل الحديث عنها أولاً ، ثم أن هذه الأساطير بنظامها الكوزمولوجي واللاهوتي المحكم وشجرة آلهتها الوارفة كانت جوهر كل مثولوجيات الأديان التي جاءت بعدها .

سنحاول أن نجعل من هذا الفصل درساً روحياً وفكرياً لا سرداً اسطورياً تقليدياً ، لذلك سنرسم كوزمولوجيا اسطورية سومرية من خلال هذه المثولوجيا لتكون قاعدة أساسية لفهم الأساطيروحركة الآلهة ، كذلك سننظم (لأول مرة كما نعتقد) شجرة أنساب مفصلّة للآلهة السومرية ونتفصل في شرح البانثيون (مجمع الآلهة) السومري وننظر في تصنيفات الآلهة وتبويبهم ، وسيتم خلال ذلك سرد الأساطير السومرية بطريقة تلائم هذا التصنيف وتقع ضمنه .

المثولوجيا ، قبل كل شيء، هي علم دراسة الأساطير ، والأسطورة هي حكاية مقدسة أو هي بتعريف أوسع ,, حكاية تقليدية ثابتة ومقدسة ومربوطة بنظام ديني معين ومتناقلة بين الأجيال ولا تشير إلى زمن محدّد ، بل إلى حقيقة أزلية من خلال حدث جرى، وهي ذات موضوعات شمولية كبرى محورها الآلهة، لا مؤلف لها بل هي نتاج خيال جمعي ، ، (الماجدي ١٩٩٧ : ٢٨) .

ويرى مرسيا الياد « أن الاسطورة تروي تاريخاً مقدساً، تروي حدثاً جرى في الزمن البدئي ، الزمن الخيالي، هو زمن (البدايات) ، بعبارة اخرى تحكي لنا الاسطورة كيف جاءت حقيقة ما إلى الوجود، بفضل مآثر اجترحتها الكائنات العليا، لا فرق بين ان تكون هذه الحقيقة كلية كالكون Cosmos مثلاً، أو جزئية كأن تكون جزيرة أو نوعاً من نبات أو مسلكاً يسلكه الانسان أو مؤسسة، إذن هي دائماً سردٌ لحكاية «خلق» : تحكي لنا كيف كان إنتاج شيء، كيف بدأ وجوده ولا تتحدث الاسطورة الا عّما قد حدث فعلاً، عما قد ظهر في كلّ امتلائه. أما أشخاص الأساطير فـ«كائنات عليا» (الياد ١٩٩١ : ١٠) .

تصنيف الأساطير السومرية

رغم وفرة عدد لا بأس به من المصادر والكتب الاجنبية والعربية التي تتحدث عن الأساطير السومرية، الاّ أن عدداً قليلاً منها يتخصص بها كلياً، وأغلبها يقع في التعميم فيخلطها مع الأساطير البابلية والآشورية .

لقد وجدنا انه من الضرورى، بل ومن العملي بمكان، فصل وعزل هذه الاساطير لوحدها والحديث عنها بالكثير من الدقة والتروي والعمق .

ما زال كتاب صموئيل نوح كريمر (الاساطير السومرية) هو المرجع الأساس في هذا الموضوع، الاّ ان هذا الكتاب، رغم اهميته، صدر منذ زمن بعيد وظهرت بعده نصوص مسمارية كثيرة تعنى بالاسطورة السومرية، ثم أن علم الاساطير (المثولوجيا) تطور تطوراً كبيراً ومنحنا آليات عمل وتحليل لم تكن واردة في زمن صدور ذلك الكتاب .

رغم ذلك نعود الى كريمر الذي قال قبل حوالي ثلاثين سنة «انه بات متوفراً لدينا الآن حوالي عشرين اسطورة وتسع وقصص ملحمية وما يزيد على مائة ترتيلة وصلاة

ونحو عشرين قصيوة غنائية وحوالي عشرين قصيدة اخرى من نوع المراثي - تزيد في مجموعها على عشرين الف بيت من الشعر السومري» (كريمر ١٩٨٦ : ٥٥) .

وبرغم الكثير من الطرق التي عرضت فيها الأساطير السومرية الاّ اننا وضعنا تصنيفاً يتناسب مع ما هو متوفر منها ويأخذ بنظر الاعتبار الطريقة العلمية في تصنيف الاساطير وهي كما يلي :

١ . أساطير الخليقة (التكوين) Myth of Gensis

أ- الاساطير النشكونية (الكوزموغونيا Cosmogony)

ب - أساطير نشوء الآلهة (الثيوغونيا Thoegony)

ج- اساطير نشوء الإنسان (الانثربوغونيا Anthropogony) .

٢ . أساطير تنظيم الكون Myths of Organization

أ- الأساطير المرتبطة بالإله انليل

١ . أسطورة خلق الناس

٢ . رحلة (نانا) إلى نفّر

٣ . إيميش وانتين

٤ . لاهار وإشنان

ب- الأساطير المرتبطة بالإله إنكي

١ . إنكي وتنظيم سومر

٢ . إنكي واريدو والرحلة إلى نفر

٣ . أساطير تدمير الكون Myths of Destruction

أ- الطوفان (اسطور الدمار القادم من العالم الأعلى)

ب- التنين (اسطورة الدمار القادم من العالم الأسفل)

١ . التنين كور والآلهة (إنكي وننورتا وأنانا)

٢ . التنين أساج والاله ننورتا

٤ . أساطير إنانا Myths of Inanna

١ . إنانا والآلهة (آن ، انليل ، انكي)

٢ . إنانا ودموزي

٣ . إنانا وملوك سومر (كلكامش ، شولجي ، شوسين ، ايدن داجان ، ايشمي داجان)

٤ . إنانا والانسان (شوكالتيودا ، بيلولو)

٥ . إنانا والعالم الآخر

أ . إنانا وجبل إيبيخ

ب . إنانا وكور

ج . هبوط إنانا إلى العالم الأسفل

تمتاز الأساطير السومرية بقدمها وعراقتها وأصالتها قياسياً إلى كل مثولوجيات الامم الأخرى، فقد كانت ولا شك في بدايتها قبل ٣٠٠٠ ق . م شفاهية وغير مدونة ، ثم بدأ السومريين تدوينها، ويرى كريمر أن أقدم الأساطير السومرية المدونة وصل الينا مكتوباً باللغة السومرية على إسطوانة من الطين مقسّمة إلى عشرين حقلاً وتعود إلى حدود ٢٤٠٠ ق . م وهي اسطورة تتعلق بالاله انليل والالهة ننخرساج (انظر Kramer 1963: 168)

ولم يكن الشاعر السومري الذي كتب الاساطير (أو القصائد الشعرية) عارفاً بالوزن والقافية (كما في العصر الأكدي ثم البابلي الآشوري) لذلك جاءت قصائد، وأساطيره أشبه ما نسميه اليوم بـ(قصيدة النثر) ولكنها كانت مشروطة بتقنيات تعوض عن الوزن والقافية وهذه التقنيات هي (التكرار والمقابلة والوصف والتشبيه) .

ويرى كريمر أن السومريين استخدموا التشبيه على نطاق واسع ويبدو أنه كان التقنية الشعرية الرئيسية ، وقد اعدت دراسة لأكثر من عشرين نموذجاً تمثل جميع الأجناس الادبية ورغم ظهور المقارنات التي كانوا يفضلونها والتي لم تكن بالخيالية ولا بالعميقة ، الاّ أنها

تعكس درجة من رهافة الحس ذات صلة بالعالم الطبيعي والحيواني كصلتها بعالم الانسان ومصنوعاته (انظر كريمر ١٩٦٨ : ٦٥).

وتحفل الاساطير السومرية بمبدأ التشبيه الانساني (Athropormohpism)حيث تشبه الآلهة بالبشر تماماً في كل سلوكها وشكلها وولادتها واحياناً موتها (وهو نادر لأن الآلهة تتصف بالخلود) واحياناً لا نشعر مطلقاً أننا امام إله أو آلهة بل أمام إنسان عادي أو ملك أو حكيم .

ونختلف تماماً عن الاستاذ صموئيل نوح كريمر الذي يرى أن معظم الاساطير السومرية اساطير سببية Etiological Myths اي أنها تحاول أن تفسر الاحداث الكونية وتخلق لها قصصاً مناسبة ونرى أنها أساطير منوعة فيها التأمل والسببية وهي صدى لعصرها وللطبيعة التي نشأت فيها ، وفيها ما هو رمزي وفيها كيفية تنظيم الكون وتطوره وليس أسباب وجوده فقط .

ولم تكن الأساطير السومرية شعائر مقروءة في الممارسات الدينية ، وليس هناك ما يشير الى أن هذه الأساطير كتبت لتمثل أو لتكون جزءاً من الدراما الطقوسية بل كانت أشبه بالنصوص المقدسة يرى فيها السومري إرثاً لما رأوه الاجداد وعرفوه عن بدايات الأشياء أو عن تاريخها المقدس كما يقول مرسيا الياد ، ولذلك ايضاً لم تكن تعامل كنصوص أدبية فيها قوة وغنى التعبير . بل كنصوص حقيقية لا خيال ولا شطح فيها .

وأنه لما يثير الانتباه حقاً ما لاحظه كريمر من أن الاساطير السومرية كانت على صلة بالمدارس ودور العلم السومرية (اي دُبّا E- dubba) او بيوت الالواح اكثر من صلتها بالمعابد . وكانت مادة للتعليم والاستنساخ ولم تكن مادة للوعظ والكهانة فقط ، فقد عثر في مدينة نفّر (وهي العاصمة الدينية المقدسة لسومر) على الأساطير والتراتيل والمرثيات في التل المعروف بـ (حي الكتاب Seribal quarter) ولم يعثر عليها في معابد نفر الشهيرة .

القسم الأول

أساطير الخليقة والنشوء (التكوين) السومرية

Myths of Gensis (creation)

لا شك أن جوهر الاسطورة وبؤرتها الحقيقية تكمن في أساطير الخليقة والنشوء، لأنها تشير إلى الأول دائماً (الكون والعالم الأول)، الآلهة الأولى، الانسان الأول . ولذلك تؤجج هذه الأساطير الشوق إلى معرفة الأصول، وهو شوقٌ أصيلٌ في الروح الإنساني ونزعةٌ من نزعاته القوية . ونجد في مثل هذه الأساطير ما يمسّ أعماقنا القصّية أو المستوى الضمني Emplicate Order الذي تحدث عنه (ديفيد بوم) سواء كان في الكون المحكي عنه في الاسطورة أو الكون العميق الذي في داخلنا كمتلقين للإسطورة .

سيطر البحث عن أصول اللغة والمجتمع والفن والأجناس والدين وغيرها على علماء الإنسانيات في القرن التاسع عشر، مثلما سيطر على علماء الطبيعة لمعرفة أصل الأرض والفلك، ولمعرفة أصل الكون والبايولوجيا ولمعرفة أصل الحياة (انظر الياد ١٩٩٤ : ٢٧).

إن أساطير نشوء الكون وظهور سلسلة الآلهة من أقدمها واكبرها إلى أصغرها واحدثها أو كيفية خلق الإنسان . . لم تكن تسير وفق أقاصيص اعتباطية ورؤى وأخيلة كيفية، برغم أنه كان يخضع لتداول أجيال متعاقبة، إنها مشيدٌ ببنية محكمة خفية تحملُ

ابعاداً فيزيائية وبايولوجية صحيحة . . وهذا يدل على أن الإنسان لم يكن يرّمز قصدياً للظواهر والموجودات برموز الهية، بل لم يكن الشيء ينفصل عن رمزه مطلقاً «ويرجع هذا إلى إحساسه بوحدة الحياة وقدسيتها . . أما شعوره بوحدة الحياة فيرجع إلى تصوره أن حياته الزمنية تعكس تماماً نظام الكون، أو هي ونظام الكون شيء واحد يدور في فلك من الصراع بين القوى الإيجابية والقوى السلبية وقد ترتب على هذا شعوره بقدسية الحياة ابتداءً من أدنى مظاهرها إلى أعلى مظاهره» (ابراهيم ١٩٧٩ : ٧٧) .

وقد سبق لنا أن صنفنا أساطير التكوين الى ثلاثة أنواع، الأولى يخص الكون والطبيعة خلقاً، والثانية تخص الآلهة وكيف توالدت عن بعضها وسنمر بما نراه مناسباً من صفات وأساطير كل اله، والثالثة تخص الإنسان الذي تعددت طرق خلقه من قبل الآلهة السومرية كما سنرى.

أ. الأساطير التكوينية (نشوء الكون : الكوزموغونيا)
Cosmogony

لم يعثر إلى الآن على اسطورة كوزموغونية سومرية خاصة (مثل اسطورة الخليقة البابلية)، ولكن هذا لا يعني عدم وجودها، فربما ستجود بها أرض سومر ذات يوم، وكذلك لا يعني عدم وجود تصورات ميثوبية حول هذا الموضوع، فهناك العديد من مقدمات بعض القصص والأساطير والأغاني والأناشيد والتراتيل التي تعطينا تصوراً تكوينياً واضحاً عند السومريين ومنها قصة (كلكامش وانكيدو) ومقدمة اسطورة (الماشية والحنطة) وأسطورة (خلق الفأس) وبعض التراتيل والإشارات هنا وهناك .

تسمي الأساطير السومرية أول أيام الخليقة (أوريا Uria) ففي ذلك اليوم بدأ الانتقال من مرحلة العماء (Chaos) إلى مرحلة الكون (Cosmos) وقد تمّ ذلك من خلال الانثى الكونية المائية الأولى نمّو Nammu وهي إلهةٌ هيولية تحركت فيها إرادة الخلق وتصارعت الحركة مع السكون ونتج عن ذلك تكون الكون (أن - كي) ويعني (السماء - الأرض) وهو جبل كوني يعوم وسط مياه نمّو، وبذلك تكوّن ايضاً (المكان الأول).

إن نمّو كانت غمراً من المياه وهي أم الوجود كله، البحر الذي لا حدّ لقدمه والذي

يشتمل على كل الانظمة والحكمة والالوهية الصافية، أنه الجامع للغمر وللآلهة . ويذكّر هذا بفاتحة التكوين العبري- وكان الله يرّف على وجه الغمر - ولذلك تعتبر نمّو هي أم جميع الاشياء والنواميس وتسمى (أما - تو - آن - كي) أي الام التي ولدت السماء والارض، وتسمي أيضاً (أما - باليل- و - تو - دنكر) أي الأم الاولي التي ولدت الآلهة (انظر الحوراني ١٩٧٨ : ١٣٣) .

إن الزمن الأول (أوريا) والمكان الأول (آن - كي) يشكلان في ذهن كل شعب من الشعوب نقطتين عميقتين في الوجدان، وتسبغ عليهما صفة القدسية الكاملة ، ويتحولان إلى جذرٍ للزمان المقدس، وجذرٍ للمكان المقدس.

إن الزمان المقدس «هو زمان ميطيقي ، بدئي ، لا يتواجد مع ماضٍ تاريخي، زمان أصلي بمعنى أنه انبثق «فجأة» لم يكن مسبوقاً بزمان آخر ، لأنه ما من زمانٍ يمكن أن يوجد قبل ظهور الحقيقة التي ترويها الاسطورة» (إلياد ١٩٨٧ : ٧٠).

إن الزمان الأول الذي انبثق عن الكوزموغونيا السومرية اصبح الزمان المثالي لكل الازمنة الأخرى، وأحيط بالقداسة بل أصبح هو جزءاً من (المقّدس)، وبذلك كانت تتم استعادته سنوياً مع اعياد رأس السنة السومرية، فأيام الاعياد هذه ايام مقدسة تقطع مسرى الأيام الدنيوية العادية لبقية العام.

بعبارة أخرى « يكون في العيد إسترجاع لأول ظهور من الزمان المقدس كما حصل في الأصل، «في ذلك الزمان» . ذلك لأن الزمان المقدس الذي يجري فيه العيد لم يكن له وجود قبل «البوادر» الالهية التي يجري إحياء ، ذكراها في العيد ، (إلياد ١٩٨٧ : ٦٨).

أما المكان الأول (أن - كي) فكان يضم الأرض والسماء في حالة اندماج وإتصال وتصف الأدبيات الرافدينية هذا الجبل بأن نهايته في السماء وقاعدته المحيطة به هي الأرض، وأن الآلهة تجتمع على قمته .

ويتحول المكان الأول في الأساطير وفي الوجدان الجمعي إلى (مركز العالم) أو (سُرة العالم) ولذلك يولد العالم من هذا المركز، وينتج عن ذلك أن هذا المكان المثالي المقدس يصبح النموذج الاصلي أو البدئي لكل ما سيفعله الانسان على مستوى المكان (السكن أو البناء أو التطويب لمكان). «إن الاقامة في أرض تكرر فعل نشوء الكون. بعد أن

بيّنا ما للمركز من قيمة كوسموغونية، صار بوسعنا الآن أن نفهم بصورة أفضل لماذا يكرر كلُّ بناء يشيده الإنسان خلق العالم إنطلاقاً من نقطة مركزية (السّرة) علّى صورة العالم الذي ينمو ابتداءً من مركز ويمتد نحو الجهات الاصلية الاربع» (الياد ١٩٨٧ : ٤٥).

وتحدثنا الكثير من ثقافات العالم عن جبال اسطورية أو واقعية تقع في مركز العالم مثل جبل ميرو في الهند، وهرابر زايتي في ايران، وجبل جريزيم في فلسطين، و(جبل البلاد) في وادي الرافدين وهو جبل اسطوري يفسر لنا لماذا كان السومريون يرسمون بنفس العلامة الكتابية الجبل والبلاد باعتباره الجبل الكوني وليس لأن اصولهم جبلية!

كان (دوكو) يعني بالسومرية (الجبل المقدس) والمقصود بذلك مكان تجمع الآلهة في المنطقة الجبلية الشرقية لبلاد وادي الرفدين (ترد في اسطورة لاهار واشنان). وكان يقصد بالإسم (دوكو) في نصوص العصر البابلي الحديث المكان الذي كان يقيم فيه الإله مردوخ في معبده الرئيس في بابل ليقرر من هناك مصاذر البشر (انظر اذزارد ١٩٨٧ : ٩٥).

وسيصبح المعبد لاحقاً تقليداً لشكل هذا الجبل الكوني، حتى أن اسم المعبد في الكثير من المدن السومرية كان يسمى (دور- أن - كي) أي (صلة ما بين السماء والارض) أو إرباط السماء والارض)، فكلمة (دور) السومرية تبدو وكأنها اعادة دورية للجبل الكوني (أن - كي) في هيئة المعبد وكذلك الزقورة.

١. المرحلة الكوزموغونية الأولى :

وإذا ذهبنا أعمق في التحليل المثولوجي لحادثة الخليقة السومرية فلا بد لنا أن نحلل شخصية الإلهة السومرية الأم الأولى (نمو أو نامو) تحليلاً يتناسب مع قدسية (التكوين) الذي هو في رأينا جوهر أي مثولوجيا.

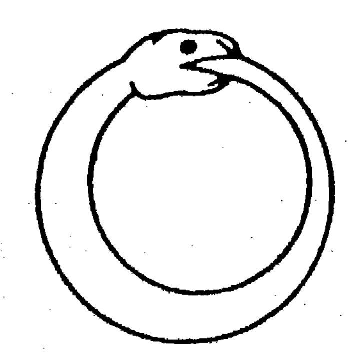
أنحدرت الطبيعة الانثوية للالهة (نمّو) من عصور بعيدة ربما تعود إلى العصر الحجري الحديث (النيوليت) عندما سادت الالهة الام ذلك العصر كله طيلة أكثر من ثلاثة آلاف سنة شمال وادي الرفدين. وانحدرت الطبيعة الفيزيائية (المائية) لها من المحيط المائي الذي وجد السومريون نفسهم فيه خصوصاً الأهوار ومياه الخليج العربي ومياه دجلة والفرات وفروعهما.

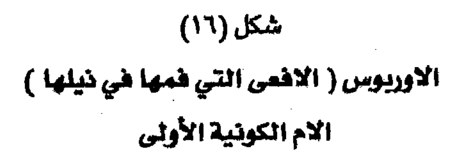
وهي اذ تقابل الآلهة الام البابلية (تيامت) فإنها تختلف عنها اختلافاً جذرياً لأن

تيامت تمثل المياه المالحة ويقابلها أبسو زوجها الذي يمثل المياه العذبة، لكننا لا نرى مثل هذا التمايز في (نمو) فهي اذن تمثل المياه بصورتها المطلقة أو بصورتها المزدوجة (المالحة والعذبة) أي مياه البحار والانهار. ورغم أن الألهة (نمو) لا تذكر كثيراً في الأساطير ولا تعرف لها اسطورة خاصة بها، الآ أن دورها كان عظيماً فقد ظهرت منها كل الآلهة والسومرية، ولما جاء دور خلق الانسان ظهرت الالهة (نمو) كمساهمة في خلق الإنسان فهي اذن خلفت الآلهة والانسان معاً.

نمو، اذن الاصل الحي الذي ظهر منه الوجود كله (العالم، الآلهة، الانسان) وكانت (نمو) تدل على الإكتمال المطلق وعلى كل مادة الكون، فهي غنيةٌ بنفسها ولا تعنيها المخلوقات، لقد كانت الشعوب ترمز لاكتمال الأنثى المائية الاولى بالاوروبوس « وكانت عذراء لأنها ابتدأت الكون، فيما بعد، من خصبها الذاتي دون معونة من مبدأ ذكري مشارك لها في أزلها، فتولدت عنها الموجودات كما يتولد النور من مصدر الاحتراق، وإليها تعود الموجودات في نهاية الأزمان لتعنى فيها وتبقى وحدها لتلتف على نفسها، كما كانت، دائرة مكتملة، بعد أن يهدأ صخب الوجود وتسكن حركة السالب والموجب وتتصالح المتناقضات) (السواح ١٩٩٣: ١٥٨).

إننا نرى أن جدل السكون والحركة هو الذي جعل (نمو) تلد جبل الكون ولم يحصل ذلك بالفعل الجنسي الذي يراه طومسون حول هذا الموضوع عندما يرى أن الثنائية البدائية ليست هي ثنائية عنصرين اثنين مفردين بل هي ثنائية مكونة من نصفي قبيلة واحدة هما شخصية جنسية ذكرية وانثوية، ذلك لأن رجال النصف الأول من القبيلة تزوجوا مع نساء نصفها الثاني (انظر Thomson 1961: 69).





شكل (١٦)

الاوربوس (الافعى التي فمها في ذيلها)

الام الكونية الأولى

ويمكننا من منطلق جديد، مناقشة مبدأ الخلق الكوني (الكوزموغوني) في المثولوجيا السومرية عن طريق الكلمة (أو ما تسمي في اليونانية والمسيحية باللوغوس)، ففي اللغة السومرية هناك كلمة (نّم) التي تعني خواص الشيء وفعله وقدرته وقدره . . وقد ترجم الاكديون هذه الكلمة إلى (شمتو) أي السمة والأسم والطبيعة الكامنة فيه، ويبدو أن هذه اللفظة ما زالت حيّة في اللغة العربية حيث (نم) تعني جوهر الانسان وطبعه وكل ما ينّم عنه. وسنناقش ذلك تفصيلياً في الفصل الثالث .

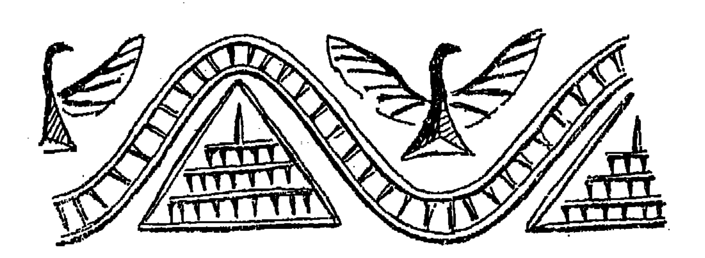
لكن الغريب أن كلمة (نم) قريبة جداً من (نمّو) وهذا يعني أن معنى (نم) كامن (نمو) أي أن (نمّو) تعني سمة واسم والطبيعة الكامنة لهذه الالهة التي بفعل اسمها وكلمتها الكامنة فيها تحرك الحلق وبدأ ، خصوصاً اننا اذا تعاملنا بالقاموس العربي مع كلمة (نمو) فإننا نجد أن فيها معنى (نام) ومعني (نمى ، نمو) وهذا يعني أن هذه الالهة التي كانت نائمة تحركت خواصها أو (نمّها) وبدأت (تنمو) وكان من هذا النمو أو الحركة أن ظهر حبل الكون (آن-كي).

إذا أخذنا بنموذج (المسكون والحركة) أو (الاوربوس وهي الأفعى الكونية المائية التي ذيلها في فمها وتكّون دائرة مغلقة) أو (الكلمة) فأننا نرى في جميع الأحوال أن (نمّو) تحركت على محورها ونتج عن حركتها انفتاح الذيل عن الرأس، والسالب والموجب، وتكوّنت كتلة جديدة بقطبين هي (الجبل الكوني) وبذلك تكون المرحلة الكوزموغونية الأولى قد انتهت وكانت حركة الاوربوس، وحركة (نمو) على محورها قد تمت برغبة محضة من الالهة السومرية الام الأولى (نمّو) دون استجابة لشيء . فهو خلقٌ ذاتي انبثق من داخل الكلمة نفسها وليس بأمرٍ منها .

٢. المرحلة الكوزموغونية الثانية

بعد أن تكون جبل الكون (بفعل انفتاح أوروبوسي) عاد اوربوس (أن -كي) وانغلق ثانيةً واصبحنا أمام أوربوس كوني (غير هيولي أو عمائي) ونرى أنه بفعل اطلاق الاسم (النم) أو الكلمة تحرك هذا المغلق الجديد وحركته هذه خلقت هذه المرة عنصرا الذكورة والانوثة، وهنا في هذه المرحلة يمكننا (وفق النصوص المسمارية) الحديث عن الخلق الجنسي الذي أمرت به (نمّو) بكلمتها (نم) لأن يسمّى الأعلى من جبل الكون السماء

ويكون ذكراً، ويُسمى الاسفل من جبل الكون والأرض وتكون انثى .



شكل (١٧)

جبل أسطوري سومري

إن حركة الأوربوس الثاني لم تكن ذاتية (كما في الأول) بل بدأت بالكلمة ونفذت بالجنس، لأن بعض الاشارات السومرية تصف السماء والأرض قبل خلقهما بأنهما لم يكن لهما اسم، وعندما أصبح لهما إسمين كانا ملتصقين وبدءا بممارسة الجنس، وكان ان ولدا الاله (انليل) الذي وضع بينهما، ولكنه كلما كان يكبر كان يبعد الأب عن الام، كان الهواء أو الفضاء الذي يمثله (إنليل) يبعد (آن) عن (كي) فينفصلان، ومطلع اسطورة (خلق الفأس) توضح لنا ذلك :

«الرب الذي يملك حقاً، هو الذي أظهر للعيان

الرب الذي لا تبدل في احكامه

(انليل) الذي يجلب البذور إلى الأرض لزراعتها

تولى برعايته فصل السماء عن الأرض

من أجل أن تنمو الكائنات التي خلقت»

(كريمر ١٩٧١ : ١٨١).

ونرى في قصيدة أخرى كيف أن السماء أصبحت ملك (آن) وأن الأرض ملك (إنليل) :

«بعد أن ابتعدت السماء عن الأرض

بعد أن انفصلت الأرض عن السماء

بعد أن عين اسم الانسان

بعد أن أصبحت السماء بحوزة (آن)

بعد أن اصبحت الأرض بحوزة (انليل)».

(كريمر ١٩٧١ : ٦٣).

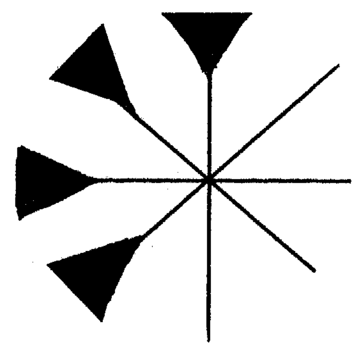
وهكذا أعطتنا هذه المرحلة الكوزموغونية الثانية ثالوثاً الهياً مهماً مكوناً من آلهة (السماء، الهواء، الارض) وهم (آن، انليل ، كي).

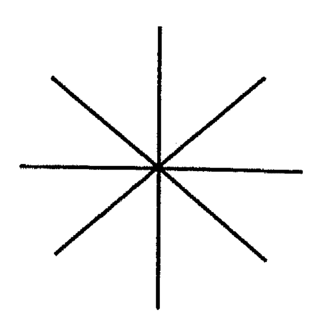
٣. المرحلة الكوزموغونية الثالثة

هناك ما يشير إلى أن الإله (إنليل) اله الهواء الذي اصبحت أمُه الأرض الالهة (كي) بحوزته ، قد اتصل بها جنسياً حيث أنه في حقيقة الأمر أبعد الأب (آن) عنها، أما هو فقد بقي ملتحماً بالأرض متصلاً بها وعلى هذا الأساس تعينت مراحل تنظيم الكون وخلق الإنسان وتأسست الحضارة (انظر كريمر ١٩٧١ : ٦٦).

أن هذا الأمر غير الموثّق عندنا بنصّ سومري واضح ، يوحي لنا أن الابن أبعد إباه وتزوج أمه (وهو ما يذكر بعقدة أو ديب الفرويدية) وقد نجد الصدى الواسع لهذه الاسطورة في التراث الرافديني في اسطورة بابلية صغيرة هي اسطورة (دُنّو) حيث الأرض تضاجع ابنها (أماكندو) فيقتل اباه ويتزوج الهة البحر، ثم يأتي ابنه لخار ليقتل أباه ويتزوج امه وهكذا . (انظر Grayson 1969: 517).

وهذا يشبه أيضاً الى حد ما مسلسل قتل الآلهة في اسطورة الخليقة البابلية . إن ما يدعونا الى التأمل الحذر في الحادثة السابقة هو محل الاله (إنكي) . فهل ظهر الإله (إنكي) من تزاوج (إنليل) مع (كي) ؟ وهو ما نشك به ونستبعده تماماً، لأن الإله انكي هو ابن إله السماء (أن) والذي حبلت به وودلته الارض (كي) وهو الذي بنى نواميس الحضارة على الأرض، أما الإله (إنليل) فكان يرعي سلطات أبيه في السماء وأشرف على تنظيم الكون (وليس الأرض) كما سنرى، ولكي نعزز قولنا هذا بنص سومري لا بد من ذكر نص القصيدة التي تذكر ولادة مظاهر الحياة المرتبطة بالاله إنكي وهي كما يلي :



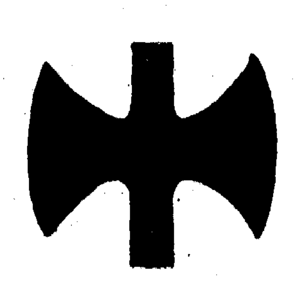


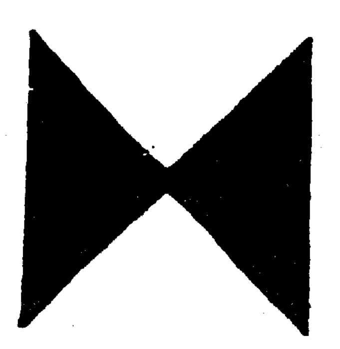
شكل (١٨)

رموز الإله آن

١- الجهات الثمانية (رمز الالوهية) الألف الخامس ق.م

٢- العلامة الكتابية دنكر (الإله، الإلوهية، الاف الرابع ق.م)



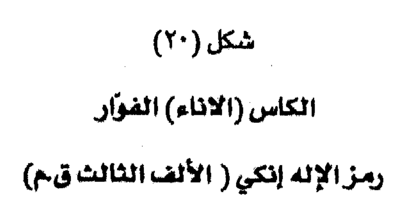


شكل (١٩)

رموز الإله إنليل

١- المثلثان المتقابلان (الألف الخامس ق.م)

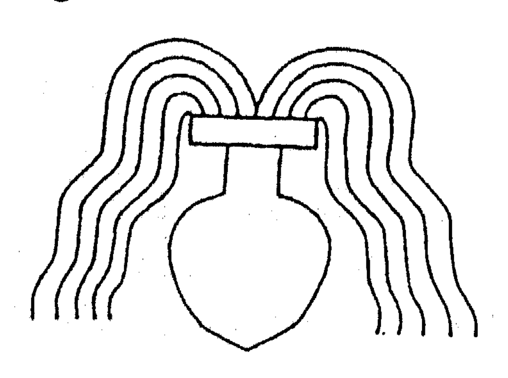
٢- الفأس المزدوج (الألف الخامس) ق.م



شكل (٢٠)

الكاس (الاناء) الفوّار

رمز الإله إنكي (الألف الثالث ق.م)



«الأرض الفسيحةُ المسطحة لبست تألقها ،

جّملت ببهجة جسدَها

الأرض العريضة ، بالمعدن الثمين واللازورد

زينت جسدها

تبرجت بالينع والعقيق الأحمر البّراق ،

زينت السماء رأسها بأوراث الشجر

وظهرت كأنها الأميرة

الأرض المقدسة العذراء تبرجت

من أجل السماء المقدسة

السماء ، الاله الرائع الجمال ، غرس

في الأرض العريضة ركبتيه

وسكب في رحمها ، بذرة الأبطال

الاشجار والمقاصب

الأرض الطرية ، البقرة الخصيبة تشعبت

بمنيّ السماء الغنيّ ،

وبالفرح ولدت الأرض نباتات الحياة

وبغزارة حملت الارض هذا التاج الرائع

وجعلت الخمر والعسل يسيلان » ،

(الشواف ١٩٩٦ : ٢١)

هذه الصورة لمضاجعة السماء للأرض واضحة جداً ، فقد حصلت بعد أن انفصل كلاهما عن بعضهما ، أي بعد أن ولد (إنليل) ولذلك نعني أن الولادة الثانية حصلت بعد الانفصال وانتجت الإله (إنكي) وهو سيد الأرض الذي تولى بعنايته الأرض كما سنرى .

نحن الآن أمام رابوع إلهي هو (السماء، الهواء، الأرض، الماء) وهم آلهة المصائر الكبرى الذين سيطروا على الكون بأكمله .

٤. المرحلة الكوزموغونية الرابعة

لو نظرنا إلى شجرة أنساب الآلهة السومرية ضمن القسم الثاني من هذا الفصل وتأملنا ها ملياً لوجدنا أن الخليقة الآن من الناحية العملية أصبحت خاضعة الآن لنوعين من الكوزموغونيا كل واحدة يديرها إله وهما :

(أ) كوزموغونيا إنليل : الذي امتلك سلطان آن وأصبح بديلاً عنه تقريباً وتضمّ خلق عوالم الظلام والعالم الأسفل والكواكب والانواء الجوية من رعد ومطر وبرق وعواصف ، وتحيط هذه الكوزموغونيا الأرض وتغلفها وتمدها ببعض مظاهر الحياة إلاّ أن الموت والجماد يسيطران عليها . فهي تنتج الكواكب الثلاثة المهمة (القمر ، الشمس ، الزهرة) وآلهتها وتنتج الظلام والعالم الأسفل وآلهة الأنواء الجوية . وكل هذه الآلهة آلهة سلطات وتدل في انحدارها السلالي على أنها تميل إلى القوة وربما إلى الموت .

(ب) كوزموغونيا إنكي الذي يمثل الأرض والماء معاً ، وبلا أدنى شك فإنّه يمثل الحياة والإخصاب والتناسل ، وإذا لاحظنا شجرته الإلهية فسنلاحظ أنها تضم (النباتات والحيوانات والإنسان) ثم ادوات العمران والحضارة . إن عالم إنكي يضم كل ما هو حي ويدعو إلى الحياة والبقاء والتناسل وهو عالم أرضيّ محض يرى أن الأرض هي الحياة ، ولا يوجد خارجها ما يشير إلى الحياة برغم وجود الآلهة الخالدة .

ومن الآن فصاعداً (على المستوى الكوزموغوني) سنرى العلاقة الإيجابية والسلبية بين العالمين (عالم انليل) و(عالم إنكي) وسنرى أن أغلب زوجات ذكور عالم إنليل هنّ من عالم إنكي وهذا يمثل الوجه الإيجابي للعلاقة ، أما الوجه السلبي فسيكون في الصراع بين بعض الآلهة في العالمين وقد يكون اشهر الصراعات واكثرها وضوحاً ذلك الصراع بين الإله الإنكوي (دموزي) والإلهة الإنليلية (إنانا) كما سنفصل ذلك فيما بعد .

الكوزمولوجيا السومرية (علم الكون السومري)

بعد ان ترصدنا كيفية نشوء الكون والعالم عند السومريين من خلال الآلهة وأجيالها، يمكننا الآن أن نرى طبيعة هذا الكون وم يتكون وشكله وأقسامه.

يظهر لنا الكون السومري كله طافياً أو سابحاً فوق بحر هيوليّ من تالماء تمثله الالهة السومرية الام (نمّو) التي تحيط به من كل الجهات والذي لا نهاية له، أعني ماء نمّو (شكل ٢١)

أما الكون فهو عبارة عن كرة عملاقة تتكون من الأقسام التالية:

١- **العالم الأعلى (العُلى)** وهو الفضاء الذي فوق السماء حيث تسكن الآلهة السماوية فيه.

٢- **السماء (آن)** وهي سطح صلب على شكل قبة يحيط قرص الأرض الذي تحتها «أما ماذا كان يعتقد أن تكون هذه الكتلة السماوية بالضبط فإنه أمر ما زال غير مؤكد، ومن المحتمل أنها كانت قصديراً وذلك استنتاجاً من حقيقة أن التعبير السومري من القصدير هو «معدن السماء»، ، (كريمر ب.ت: ١٤٩).

ويعتقد أن في قمة السماء أو على السماء السابعة هناك الـ(أنونّا) وهو اسم يعني بالسومرية (بذرة الحياة الأميرية) ويشير الى جموع الآلهة في السماء والأرض ثم اصبح يشير الى أيّ مجموعة من الآلهة حتى المحلية منها.

٣. **الفضاء (ليل Lil)** : وهو الفراغ الموجود بين السماء والأرض وكانت كلمة ليل التي تدل على الظلمة تعني أيضاً الريح، الهواء، والنفس، الجو، الروح وتمتاز بقدرتها على الحركة والامتداد.

وكان السومريون يعتقدون أن الكواكب والنجوم مكونة من نفس مادة (ليل) أو (الجو) مع امتيازها عليها بالإضاءة والاشراق. والكواكب، في حقيقة الأمر ظهرت من الظلام فهي بناته (وهذا ما يقول به الصائبة أيضاً) وهي من الناحية النسلية بنات الاله إنليل سيد الفضاء أو الهواء.

ويبدو أن السومريين حددوا، في زمنهم، ثلاث طرق أو مسارات في هذا الفضاء هي (طريق آن، طريق انليل، طريق إنكي) وتتوزع الكواكب الثلاثة فيها (الزهرة، القمر، الشمس).

٤ . **الأرض (كي KI)** : وهي قرص مدوّر منبسط يطفو علي محيط مائي حوله وتحته ، أي يمكن تصنيف هذا المحيط المائي إلى ثلاثة :

١ . البحر الأعلى وكان المقصود به البحر الأبيض المتوسط .

٢ . البحر الأسفل وكان المقصود به الخليج العربي .

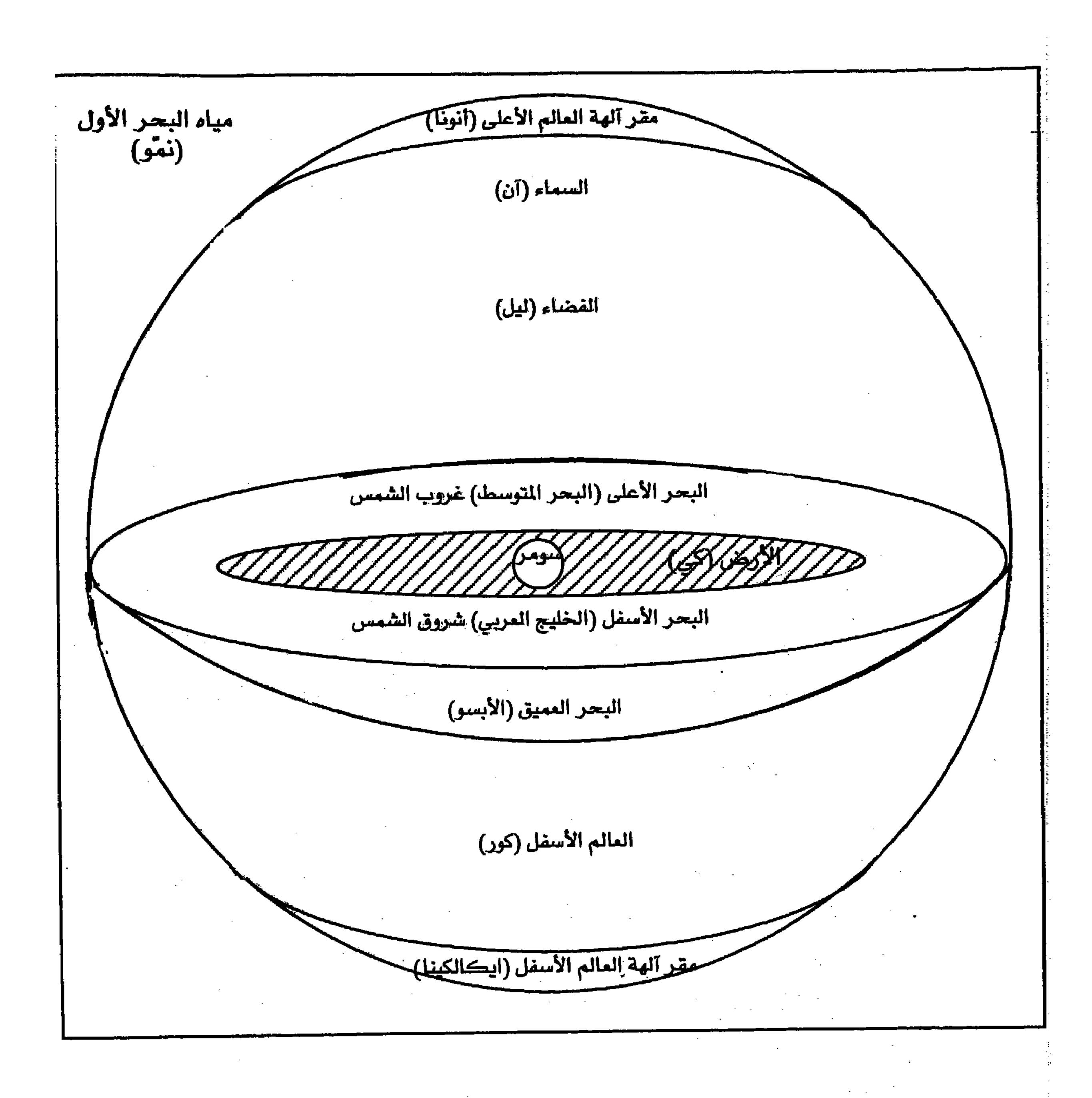
٣ . البحر العميق الذي تحت الأرض وهو (أبسو) أي مياه الأعماق التي فيها مسكن الإله (إنكي) . وهي مقر الإلهة (نمو) وهذا يعني أن الأرض تحيطها المياه من كل الجهات ما عدا الفضاء الأعلى الذي كان يفصلها عن السماء ، وتعيش على الأرض النباتات والحيوانات والإنسان . وكان مركز الأرض في نظر السومريين هو سومر ، أما مركز سومر فكان نيبور (نفّر) لانها أقدس مدينة دينية سومرية كونها مدينة انليل ، وكان مركز نفّر منطقة اسمها (أوزموا) وهي التي تشبّه بسرّة الأرض حيث هي آخر منطقة كانت السماء متصلة فيها مع الأرض .

أما سومر فمحاطة من جهاتها الأربع بمدن ودول أخرى فمن الشمال (سوبار) وهي في شمال وادي الرافدين (منطقة آشور لاحقاً) ، ومن الجنوب دلمون وهي البحرين ، ومن الشرق عيلام جنوب إيران وهي الاحواز أو عربستان ومن الغرب أمورو أو أمارتو وهي الصحراء العراقية السورية الغربية (غرب الفرات) .

٥ . **العالم الأسفل (كور أو كيگال)** وهو الفضاء الذي يقع تحت الأرض والأبسو ، وتعيش فيه آلهة العالم السفلي ، ويسمى هذا العالم بأسماء عديدة منها (أرض اللا عودة ، الأرض البعيدة ، أرض الموتى ، أرض الأحزان ، القفراء . . . الخ) وهو عالم مظلم تسيطر عليه عائلة إلهية مكونة من نرگال وأريشكيگال وأبنائهما وأحفادهما من الآلهة ، وتسكن أيضاً الشياطين وهي كائنات سلبية مفزعة ، وتسكنه أرواح الموتى من البشر .

وهناك للعالم الأسفل مدخل رئيسي مكون من سبعة أبواب تنتهي بنهر العالم الأسفل الذي اسمه (خبر) والذي يؤدي فيما بعد إلى أماكن الموتى ويتوسط قاع العالم الأسفل قصر كبير للالهين نرگال وارشكيگال ، وأحياناً يجتمع فيه الانوناكي (الذين يسمون هنا قضاة العالم الأسفل) .

إن هذا التصور المثولوجي للكون يضع الأرض في المركز ويتصورها مثل قرص



شكل (٢١)
الكوزمولوجيا السومرية
صورة الكون عند السومريين

مسطح (فيه استدارة) يطفو على المياه ، والسماء فعالم مضاء (الشمس نهاراً ، والقمر والكواكب ليلاً) . والعالم السفلي فهو مسكن الشياطين والموتى رغم أن آلهة تسيطر عليه . أما الأرض التي يسكنها البشر فتعد فاصلاً بين عالمين متناقضين الأول علوي إلهي مضاء والثاني سفلي مظلم شيطاني، وهي على هذا الأساس تحول دون اختلاطهما . ثم ان العالم الأرضي يحتوي أساساً على كائن إلهي شيطانيّ مزدوج هو الإنسان ، جسده سفلي خلق من طين عميق صلصالي ودم شيطاني ، وروحه إلهية جاءت من نفخة أوكلمة الإله الخالق (إنكي) .

وحقيقة الأمر أن هذا التصور المثولوجي للكون كان هو المصدر الأول لكل التصورات الكوزموغونية التي تلته ، بل ان التصورات العلمية الأولى التي بدأت في بابل واليونان حول الفلك والكون كانت لا تبتعد إلاّ ببعض التفاصيل عن هذا النموذج السومري للكوزمولوجيا . وسنرى في المبحث القادم كيف ان هذا النموذج بشكله هذا كان يحمل في أعماقه ايقاعاً فيزيائياً وبايولوجياً عميقاً اذا ما درسنا جيداً أنساب الآلهة وشجرتها الكبيرة .

ب. أساطير نشوء الآلهة (الثيوغونيا) THEOGONY

كان اليونان محظوظين عندما تهيأ لهم كاتب عظيم مثل (هسيود) استطاع أن ينظم بدقة في ذلك العصر شجرة أنساب الآلهة اليونانية ، إعتماداً على ما التقطه من التراث اليوناني ومن أفواه الناس حول أصول وأنساب هذه الآلهة .

إن مثل هذه الشجرة تلقي الضوء على تنظيم واضح ودقيق لتدرج وتسلسل الآلهة وظهورها في أجيال متلاحقة مطردة، وفي هذا ما يخدم اللاهوت والمثولوجيا معاً .

أن الصعوبات التي تقف أمام تنظيم شجرة نسب إليهة سومرية ضخمة تضم جميع الآلهة السومرية كثيرة، لعلّ أهمها العدد الهائل للآلهة السومرية والذي قد يصل إلى (٤٠٠٠ - ٥٠٠٠) إله، والألقاب الكثيرة لهم والتي تختلط بأسمائهم أو تكون بديلاً عنها أما الصعوبة الثالثة فهي وجود نصوص مسماوية كثيرة في هذا المجال وفي غيره تصل الى

حد التناقض أحياناً فتجعل بعض الآلهة أبناءً أو آباءً أو إخواناً لبعضهم أو تنسبهم إلى نسب بعيد ومختلف عمّا هو معروف.

الصعوبة الرابعة تكمن في استحالة حصر الآلهة الثانوية والشخصية والهة المدن والقرى الصغيرة في جداول أو أغصان أنساب دقيقة، وأخيراً الاختلاط بين اسماء الآلهة السومرية والأكدية سواء في اللغة أو في الواقع وهذا ما أشاعة، للأسف، اولئك الذين يكتبون، عادة، عن الدين السومري بعجالة وسطحية.

ولكننا هنا سنحاول أن نضع شجرة انساب إلهية سومرية مقنعة حسب ما توفره الأساطير و النصوص السومرية من علاقات وأنساب بين الآلهة.

إن شجرة أنساب الآلهة السومرية هي السبيل الوحيد لنا لدراسة أساطير نشوء الآلهة (الثيوغوتيا) وهي التي ستدلنا على أساطير الآلهة واحدة بعد الأخرى حسب نشوئها وارتقائها.

أما الطرق التي صُنِّفت بها الآلهة السومرية فمتعدّدة، وسنعمل على عرض بعضها، وجميعها أكّد على أكبر وأهم الآلهة السومرية وأهمل الآلهة الصغيرة والمندثرة.

تصنيف الآلهة السومرية

يصعب الركون الى تصنيف واحد للآلهة السومرية واعتباره مقنعاً وشاملاً ولذلك سنقدم عرضاً لأهم التصنيفات التي عرضتها المراجع الاساسية للمثولوجيا السومرية.

١. **التصنيف السومري الشائع** الذي كان يأخذ به السومريون أنفسهم والذي يعتمد على عظمة وقوة ورفعة وتأثير الآلهة السومرية ووضعها في مجاميع أو مقامات متدرجة، حيث ينقسم بانيثون (مجمع) الآلهة السومرية الى ثلاث طبقات هي:

أ) آلهة المصائر الكبرى: وهي الآلهة الكونية صاحبة الأقدار والمقدرات على الكون والإنسان، والتي لها صلاحيات مطلقة ونفوذ شامل وهذه الآلهة هي التي تهب الملوكية وتخلعها وهي مصدر السلطة بالمعنيين الديني والسياسي.

وكان مجلس آلهة المصائر الكبرى هذا مجلساً سماوياً مكانه الأعلى العظيم أو (العلى) وكانت قراراته أو كلماته نافذة لا يوقف سريانها شيء ، وكان هذا المجلس يتكون من نوعين من الآلهة هي :

١ . الآلهة الخالقة : وهي أربعة (آن ، كي (ننخرساج)، إنكي، إنليل) وهي تمثل عناصر الكون الأربعة الكبرى (السماء، الأرض، الماء ، الهواء) .

٢ . آلهة الكواكب الثلاثة الكبرى وهم ننار أو نانا (القمر)، أوتو (الشمس) ، إنانا (الزهرة) .

ويرأس مجلس آلهة المصائر هذه الاله (آن) اله السماء ويتصرف الاله آن كانه ملك الآلهة هذه ورئيسها .

ب) مجمع الآلهة العظام (الخمسون) : ويترأس مجلسهم الإله (إنليل) وهم مسؤولون عن الأرض والماء والأرض السفلى، وكان مجمعهم في البداية يسمى (الأنونا) ثم سمي (الأنوناكي) لارتباط وظائفهم بالأرض أكثر من أي شيء آخر ، وفي العصور اللاحقة أصبح اسم الأنوناكي يدل أيضاً على الآلهة السبعة القضاة على العالم السفلي .

ويدل عددهم على العدد الرمزي للاله انليل، وهم أكثر الآلهة شهرة بعد آلهة المصائر ، وهم عماد الشجرة السومرية الإلهية .

ج) مجمع الآلهة الثانونيين وهم ما تبقى من الآلهة ذات الشؤون الصغير والبسيطة والذين لا يعرف عددهم بالضبط وهم غالباً ما ينتشرون في السماء وقد عرفوا باسم (الايجيجي) أو (الايكيكي) (Igigi) وقد اثيرت خلافات واختلافات كثيرة بين مصطلحي (الأنوناكي) و(الايجيجي) ويظن أن هذا الخلط أتى بعد السومريين، حيث أن الاله أنو اتصل بالالهة انتو (وهما الهانساميان) وانتجا الايجيجي ككائنات سماوية أو ملائكة سماوية، والانوناكي ككائنات أو آلهة أو ملائكة أرضية .

٢ . **تصنيف جاكوبسن** الذي يعتمد على توزيع الآلهة السومرية على الجغرافيا

الطبيعية لأرض سومر (انظر Jacobsen 1970:21-34) ويمكن تلخيصه على الشكل التالي :

أ) **آلهة الأهوار** : وهي الأهوار الجنوبية الشرقية التي تفصل الأرض المأهولة لسومر عن الخليج العربي والتي تبدأ من الخط الممتد جنوب شرق أريدو (أبو شهرين) حتى نينا (سرغول) في القسم الجنوبي لمنطقة لگش، وتبدو هذه الآلهة كما لو أنها عائلة مائية واحدة يرعاها الاله إنكي بمزروعاتها واسماكها وطيورها وحيواناتها وهذه الآلهة هي :

١ . إنكي Enki اله مدينة أريدو وهو اله الماء الجاري والأنهار والبحيرات والأهوار، وقد عرف بحكمته العظيمة، وبطاقاته الكامنة في الماء وقدراته السحرية والطبية .

٢ . أسلّوحي Asalluhe : وهو الأصل السومري للاله البابلي مردوخ اله مدينة وهو ابن إنكي ومساعده في اعمال السحر . . ويسمى أيضاً (مبلل الناس) ويسميه الرعاة (إشكور) والفلاحون (ننورتا) .

٣ . دموزي – أبسو Dumuzi - abzu اي الإبن الأصيل لمياه الاعماق .

٤ . نانشة (نازي) Nsnshe

٥ . ننمار Ninmar

ب) **آلهة البساتين** : وهي البساتين الجنوبية المحاذية لأسفل طريق الفرات القديم من (أريش حتى أور)، وهناك ثلاث مناطق اقتصادية تأتي سوية مع آلهتها، الأولى مدن أرض هوار وعائلتها الإلهية المنحدة من الاله إنكي والتي يمكن متابعتها من أريدو وكوار في هذه المنطقة بأتجاه نينا في الشرق، والثانية مدن عائلة آلهة الرعاة المنحدرة من نانا في أور متصلة بمركز الأرض المعشبة، والثالثة المدن المنحدرة من ننازو وتتصف هذه المدن بصلتها بالعالم الآخر وبعضهم يتصل بالاشجار والخضرة، وتمتاز عموم االهة بساتين النخيل بأن آلهتهما أما من العالم الأسفل أو من عالم النبات وهم :

١ . ننازو Ninazu من آلهة العالم الأسفل، ابن ارشكيگال ونرگال وهو اله

الطب .

٢ . ننكشزيدا Ningishzida : من آلهة العالم الأسفل ، ابن ننازو ويسمى حامل العرش وهو اله الطب ورمزه ثعبانان ملتفان على عصا .

٣ . دامو Damu من آلهة العالم الأسفل، ابن ننكشزيدا وهو اله الشفاء، وكانت اسطورته تختلط باسطورة دموزي . وهؤلاء الآلهة الثلاثة من الأب إلى الحفيد كلهم من العالم الأسفل، ولكن لهم علاقة بالطب من جهة وبالاشجار من جهة أخرى، ويقف وراءهم الهان معروفان هما الالهة (إنانا) في اوروك باعتبارها الهه المخازن والاله دموزي - أما شوم غالانا Dumuzi-Amashumgalana(طاقة نمو الحياة الجديدة للنخيل) وكلاهما يقف وراء أساطير بانثيون مربي الفاكهة .

ج) **آلهة الرعاة** : وهي آلهة مجموعة مدن الفرات الأسفل مثل أور، كايش، كيابرج، لارسا، كولاب. وتنحدر آلهة هذه المدن من اله القمر (نانا) ، أما المدن الأخرى شمالاً قليلاً فهي في وسط سومر وهي اوروك، بادتبيرا، اوما، زبالم، بتكركارا التي تنحدر "آلهتها من انانا (الزهرة) وزوجها دموزي (الراعي) ونانا (القمر) واوتو (الشمس) وآن (السماء) وهم على صنفين .

الأول : آلهة الرعاة الجنوبية وهي :

١ . نانّا Nanna اله القمر زوج ننكال

٢ . ننهار Ninhar اله الرعد والامطار في الربيع وهو ابن نانا وننكال وزوج ننكارا (سيدة الزبد والقمر) والهة الألبان .

٣ . اوتو Utu اله الشمس زوج إيا (آي) وشنيراد

٤ . ننسون Ninsun وهي أم دموزي

٥ . آن An اله السماء .

الثاني : آلهة رعاة الحمير الشمالية وتشمل عائلة الإلهة ننخرساج (بيليتيلي) Ninhursag (Belitili)هي إلهة أدب وكيش ، وتمثل الهة الأرض الصخرية ، ومعها زوجها

الاله شولبي وأبناؤها مولوليل واششرجي وابنتها اكيم (أغيم) .

د. آلهة الحقول الزراعية : وهي آلهة المدن الواقعة شمال الأرض المعشبة حتى أكد وإلى الشرق من الأقسام الشمالية من لكش ومعظم هذه المدن تهتم بتوفير الحبوب الزراعية على شكل حقول، وتعود آلهة هذه المدن الى عائلة الهية واحدة هي عائلة إنليل في نفر وتشكل البانثيون الفلاحي (الزراعي) :

١ . إنليل : اله الهواء، أو اله العاصفة وهو اله المدينة السومرية المقدسة نيبور (نفر)

٢ . ننليل : زوجة إنليل، إلهة مدينة توّمال قرب نفّر

٣ . نصابا : الهة الحبوب والكتابة وكاتبة إلهة مدنية ايريك Erech القريبة من ايريش في زمن الفراتيين الأوائل .

٤ . ننورتا : اله مدينة گرسو (تلو) في لگش ويسمى (ننگرسو) وهو إله العاصفة المطرية .

٥ . باو : إله منطقة اوروكو في لگش وأصبحت ملكة ايسن تت اسم ننسينا .

٦ . مسلامتاي (نرگال) : اله كوثا ابن انليل واله العالم الاسفل .

واذا كان جاكوبسن قد وفق في تصنيف جغرافي لآلهة سومر، فإنه من ناحية أخرى لم يعطنا الصورة المتدرجة المتسلسلة لانساب الآلهة السومرية ككل والتي عبدت طيلة تاريخ سومر والذي يأخذ بنظر الاعتبار أهميتها واجيالها المتلاحقة وتشكيلاتها العائلية المتجانسة، وهو ما نظن إننا سنوفره في التصنيف القائم على شجرة انساب الالهة السومرية الذي وضعناه .

شجرة أنساب الآلهة السومرية

وهو التصنيف الذي سنفترحه وفق سلسلة الانساب آخذين جهد الامكان بما هو شائع وصحيح بين الأجداد والآباء والأبناء، ومعهم الأخوان والأخوات والزوجات والأزواج ، وسنرى بأنه يجمعهم في مجاميع متجانسة الى حدٍ ما من حيث طبيعتهم ووظائفهم (انظر شجرة أنساب الآلهة السومرية)

ويمكننا من أجل الدرس والتفصيل تقسيم شجرة الآلهة هذه إلى مجاميع متدرجة في قدمها وأهميتها وهي كما يلي :

أ) آلهة الهيولى والخليقة الأولى

(آلهة الجذور)

وهي الآلهة البدئية التي تشكل منها الكون، وهي قديمة وأزلية في الوقت نفسه لأن أجسادها تشكل مادة الكون والعالم وقد ناقشناها بالتفصيل في المبحث السابق (الكوزموغونيا السومرية) وهذه الآلهة هي :

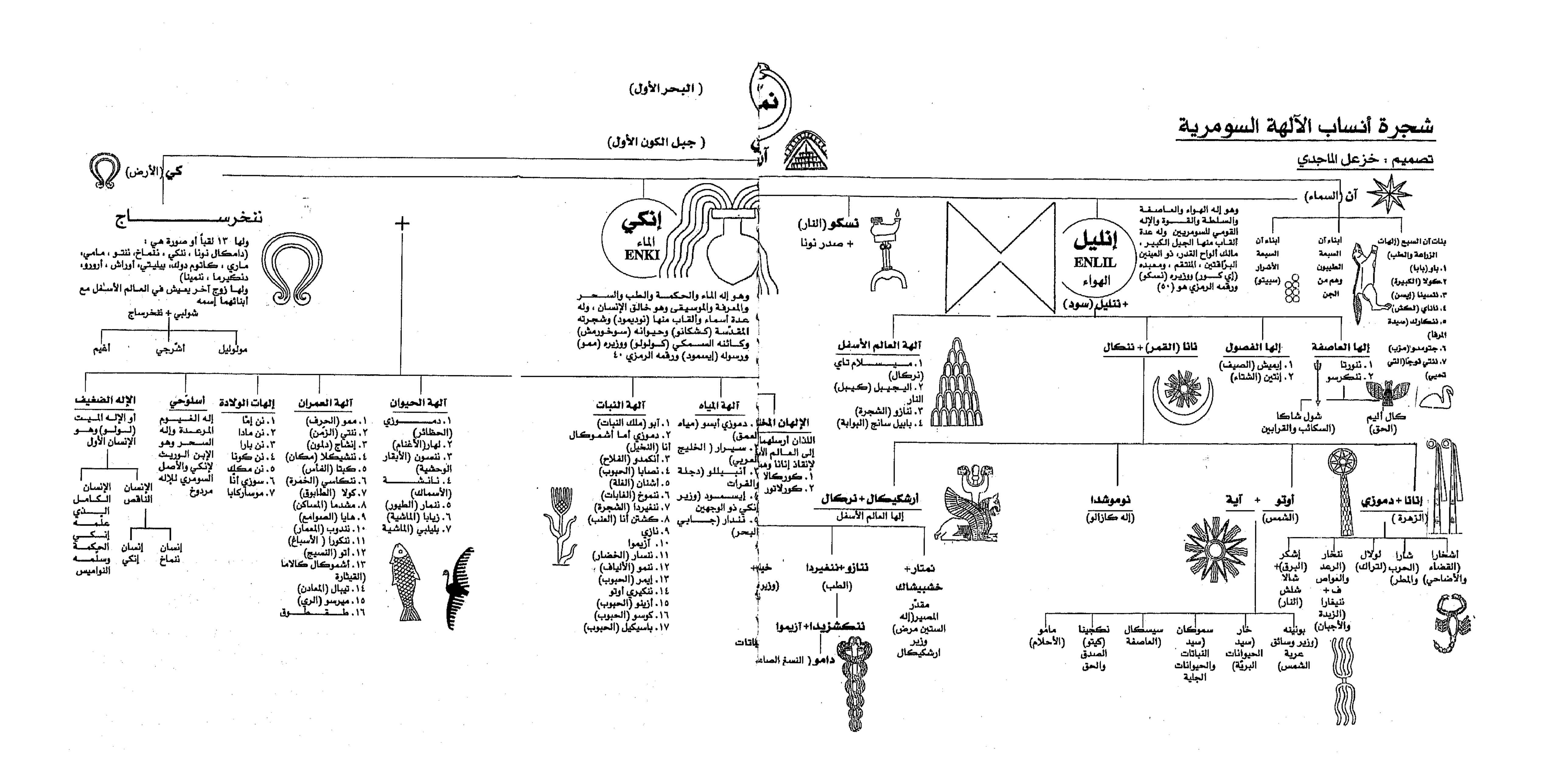
١ . الإلهة نمّو (نامو) وهي الآلهة السومرية الأم الأولى وتمثل البحر الأول الهيولي الذي خرج منه كل شيء (الآلهة والعالم).

٢ . أن – كي (An - Ki) وهو جبل الكون الأول الذي يتضمن السماءوالأرض والذي خرج من البحر الأول

ب) آلهة العناصر الأربعة

وهي الآلهة التي كّونت الكون والعالم ثم كّونت الحياة وهي آلهة المصائر الكبرى في التصنيف السومري وهي (أن ، كي، إنليل ، إنكي) وتقابل (السماء، الأرض، الهواء، الماء).

١ . آن AN: وهو اله السماء والحاكم الأعلى في البانثيون الالهي السومري والذي يقف على قمة هرمه، ورغم أن الاله القومي الأعظم للسومريين كان هو الاله إنليل الذي يليه في المرتبة، ولكن الاله آن كان يبدو عالمياً فهو اله الكون



شجرة أنساب الآلهة السومرية
تصميم : خزعل الماجدي
(البحر الأول)
(جبل الكون الأول)
كي (الأرض)
آن (السماء)
ننخرساج
ولها ١٣ لقباً أو صورة هي : (دامكال نونا ، ننكي ، ننماخ، ننتو ، مامي، ماري ، كاتوم دوك، بيليتي، أوراش ، أورورو، دنكيرما ، ننمينا)
ولها زوج آخر يعيش في العالم الأسفل مع أبنائهما إسمه
شولبي + ننخرساج
مولوليل
اشّرجي
أغيم
إنكي
الماء
ENKI
وهو إله الماء والحكمة والطب والسحر والمعرفة والموسيقى وهو خالق الإنسان ، وله عدة أسماء وألقاب منها (نوديمود) وشجرته المقدّسة (كشكانو) وحيوانه (سوخورمش) وكائنه السمكي (كولولو) ووزيره (ممو) ورسوله (إيسمود) ورقمه الرمزي ٤٠
الإله الضغيف
أو الإله الميت (لولو) وهو الإنسان الأول
الإنسان الكامل الذي علّمه إنكي الحكمة وسلّمه النواميس
الإنسان الناقص
إنسان إنكي
إنسان ننماخ
أسلوّحي
إله الغيوم المرعدة وإله السحر وهو الإبن الوريث لإنكي والأصل السومري للإله مردوخ
إلهات الولادة
١. نن إمّا
٢. نن مادا
٣. نن بارا
٤. نن كونا
٥. نن مكلك
٦. سوزي أنّا
٧. موسآركابا
آلهة العمران
١. ممو (الحرف)
٢. ننتي (الزمن)
٣. إنشاج (دلمون)
٤. ننشيكلا (مكان)
٥. كبتا (الفأس)
٦. ننكاسي (الخمرة)
٧. كولا (الطابوق)
٨. مشدما (المساكن)
٩. هايا (الصوامع)
١٠. نندوب (المعمار)
١١. ننكورا (الأصباغ)
١٢. أتو (النسيج)
١٣. أشموكال كالاما (القيثارة)
١٤. تيبال (المعادن)
١٥. ميرسو (الري)
١٦. طقطوق
آلهة الحيوان
١. دموزي (الحظائر)
٢. لهار (الأغنام)
٣. ننسون (الأبقار الوحشية)
٤. نانشة (الأسماك)
٥. ننمار (الطيور)
٦. زيابا (الماشية)
٧. بليلبي (الماشية)
آلهة النبات
١. آبو (ملك النبات)
٢. دموزي أما أشموكال أنا (النخيل)
٣. أنكمدو (الفلاح)
٤. نصابا (الحبوب)
٥. أشنان (الغلة)
٦. ننموخ (الغابات)
٧. ننغيردا (الشجرة)
٨. كشتن أنا (العنب)
٩. نازي
١٠. آزيموا
١١. ننسار (الخضار)
١٢. ننمو (الألياف)
١٣. إيمر (الحبوب)
١٤. ننكيري أوتو
١٥. أزينو (الحبوب)
١٦. كوسو (الحبوب)
١٧. باسيكيل (الحبوب)
آلهة المياه
١. دموزي أبسو (مياه العمق)
٢. سيرار (الخليج العربي)
٣. أنبيللو (دجلة والفرات
٤. إيسمود (وزير إنكي ذو الوجهين
٥. ننداز (جابي البحر)
الإلهان المخ
اللذان أرسلهما إلى العالم الأ لإنقاذ إنانا وهم
١. كوركالا
٢. كورلاتور
إنليل
ENLIL
الهواء
+ننليل (سود)
وهو إله الهواء والعاصفة والسلطة والقوة والإله القومي للسومريين وله عدة ألقاب منها الجبل الكبير ، مالك ألواح القدر، ذو العينين البرّاقتين ، المنتقم ، ومعبده (إي كور) ووزيره (نسكو) ورقمه الرمزي هو (٥٠)
نسكو (النار)
+ صدر نونا
بنات آن السبع (إلهات الزراعة والطب)
١. باو (بابا)
٢. كولا (الكبيرة)
٣. ننسينا (إيسن)
٤. ناناي (لكش)
٥. ننكارك (سيدة المرفأ)
٦. جترمدو (مزب)
٧. ننتي نوجا (التي تحيي)
ابناء آن السبعة العليبون وهم من الجن
ابناء آن السبعة الأشرار (سبيتو)
آلهة العالم الأسفل
١. ميسلام تاي (نركال)
٢. اليجيبل (كيبل النار
٣. ننازو (الشجرة)
٤. بابيل سانج (البوابة)
نانا (القمر) + ننكال
إلها الفصول
١. إيميش (الصيف)
٢. إنتين (الشتاء)
إلها العاصفة
١. ننورتا
٢. ننكرسو
شول شاكا (السكائب والقرابين)
كال أليم (الحق)
أرشكيكال + نركال
إلها العالم الأسفل
نوموشدا
(إله كازالو)
أوتو + آية
(الشمس)
إنانا + دموزي
(الزهرة)
نمتار+ خشبيشاك
مقدّر المصير (إله الستين مرض) وزير ارشكيكال
نتازو+ننغيردا
(الطب)
ننكشزيدا+ آزيموا
دامو (النسغ الصا
بونينه (وزير وسائق عربة الشمس)
خار (سيد الحيوانات البريّة)
سموكان (سيد النباتات والحيوانات الجلية)
سيسكال (العاصفة)
نكجينا (كيتو) الصدق والحق
مامو (الأحلام)
اشخارا (القضاء والأضاحي)
شارا (الحرب والمطر)
لولال (لتراك)
ننخار (الرعد والعواصف + ننيغارا (الزبدة والأجبان)
إشكر (البرق)+ شالا شلش (النار)

الأعظم، وهو على ما يبدو يمثل (الله) لان المقابل الاكدي (السامي) لعلامة آن (دنكر) كانت تلفظ (إيلو) أو (ايل) وهو الله.

ويبدو أن الإله آن احتل المرتبة الاولى عند العبيديين ثم السومريين لكن تفوق الإله إنليل عليه بسلطاته جعله منزوياً بعيدا في أقاصي السماء، ورغم ذلك فقد كان له معبد كبير في مدينة اوروك واسمه (إي - أنّا E- anna) الذي يعني بالسومرية (معبد السماء) أما زوجته فهي الإلهة آن ايضاً أو (كي) التي تعني الأرض، وله عشيقات عديدات من الالهات وهن (نن زالي) و (نن اوسلا) وكانت الالهة إنانا من عشيقاته ايضاً وأحيانا توصف كإبنة له.

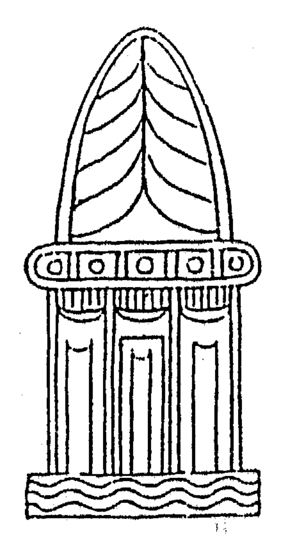
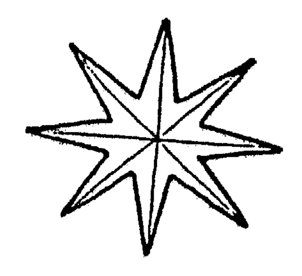
ومن زواج الإله (آن) مع الإلهة (كي) ظهر الهان عظيمان الاول هو إنليل وهو (إله الهواء) والثاني هو (إنكي) إله الماء. وللإله آن ابنٌ ناري هو الاله نسكو (إله النار) الذي صار وزيراً لاخيه الإله (إنليل).

وللإله (آن) سبع بنات مسؤولات عن الزراعة والشفاء هن(باو، ننسينا، كولا، ننكارّك، جتومدو (مزب)، ناناي، ننتي نوجّا).

إن السماء والأرض انتجت لنا العناصر الأربعة التي تكون منها الكون ثم تكونت منها الحياة (النار، الهواء، التراب، الماء) وفي هذه التركيبة الخلقية السومرية المبكرة يظهر الاسطقس الرباعي الذي عرفه اليونان بعد آلاف السنين وهو(التراب والنار والهواء والماء) والذي أقاموا عليه نظريات الابراج ثم نظريات النفس وامزجتها (الدموية والسوداوية والصفراوية و(البلغمية) وهي النظرية العلمية التي سيطرت على علوم اليونان ثم العرب واوربا في القرون الوسطى.

ويظهر (آن) هنا وكأنه الأب الذكري المتفوق الخالق لهذه العناصر الأربعة. وهو هنا يعادل (الكلمة) الخالقة السماوية.

كان الاله آن يكتب بالعلامة المسمارية التي تشير الى النجمة الثمانية الرؤوس التي تسمى بالسومرية دنكر، ويرى الدكتور فوزي رشيد أن هذه العلامة قد تطورت في الأساس عن الخطوط المتقاطعة التي تشير إلى الجهات الثمانية ✳ وهي جهات العالم أو الكون وآن يعبر عنها، وقد سادت هذه العلامة في المرحلة الصورية (٣٢٠٠ق.م) ثم تحولت بعد ٣٠٠٠ ق.م الى شكل يشبه النجمة ✳ بسبب الكتابة المسمارية (رشيد ١٩٨٥ : ٥٠).

شكل (٢٢)
رمزا الإله آن
١. اواخر الألف الثالث قبل الميلاد
٢. نهاية الألف الثاني قبل الميلاد
رسم : علي محمد آل تاجر

وأصبحت علامة آن تمثل أيّ اله، فبمجرد أن توضع أمام اي اسم حتى ولو كان إنساناً فإن ذلك يعني بأن هذا الاسم اسم اله، أيّ أن آن سبب الالوهية، ثم أصبح مانح الملوكية التي نزلت من السماء (أي من آن). ولذلك أصبح رمزه في نهاية الألف الثالث قبل الميلادة عبارة عن تاج الألوهية المقرّن الموضوع على دكة معبد (شكل ٢٢).

وهناك ملاحظة في غاية الأهمية وهي أن الاله (آن) باتصاله المستمر مع الإلهة (كي) انجب آلهة أرض جديدة ورثت (كي) واطلق عليها بصورة عامة ننخرساج ذات الأسماء الاثنى عشر ومن ضمنها (كي) والتي سنأتي عليها وبذلك تكون ننخرساج إبنة آن واختاً لانليل وإنكي وكانت الإلهة (كي) تسمى قديماً بالالهة (اوراش).

ومعنى آن بالسومرية (السماء، حيث اللمعان، الشروق) ويبدو أن الآلهة اكتسبت من صفاته هذه فكرة انها كائنات مضيئة او مشرقة أو لامعة حيث كانت تجوب السماء.

ومن نسل الإله (آن) مباشرة تنحدر مجموعة مهمة من الإلهات اللائي يعني اغلبهن بالطب وتتداخل أحيانا وظائف الشفاء عندهن مع بعضها وهن (انظر اذزارد ١٩٨٧: ٤٣، ٨٤)

١ . ننتي نوجّا : ويعني اسمها بالسومرية (السيدة التي تحيي الموتى) أو (حواء الموتى) وتذكرها نصوص فارا حوالي (٢٦٠٠) ق م وتحتل مرتبة جولا وننسينا بعد العصر البابلي القديم ، ونرى أن هذه الإلهة هي مصدر إسم حواء لأن كلمة ننتي تعني (حواء) وتعني (الضلع) في الوقت نفسه . ومن هنا نسجت الأسطورة العبرية فكرة خلق حواء من ضلع آدم .

٢ . ناناي : وهي الهة لگش

٣ . ننسينا : الهة ايسن المختصة بالشفاء زوجها بابيل سانج وابنهما دامو وتسمى طبيبة الرؤوس السود الكبيرة ، وأمها (اوراش) التي عبدت كاله في مدينة دلبات

٤ . باو (با أو) وهي الهة الطب والزراعة ويرمز لها بالأوزة ، الهة مدينة لگش .

٥ . گولا : ومعنى اسمها بالسومرية (الكبيرة) وعبرت عن الطب في العصور البابلية بشكل واضح وشعارها الكلب وهو نفس شعار نفسينا وننكازك .

٦ . ننكارّك : معنى اسمها السومرية (سيدة المرفأ) وكانت تستدعى لتسبب الاوبئة للأشرار من الناس .

٧ . جتو مدو : وهي الهة سومرية محلية لمدينة لگش ، ليس هناك ما يشير إلى علاقتها بالطب والشفاء ، وكان يطلق عليها في عهد گوديا (أم لگش) ، وظهر اسمها في مرثية أور تحت اسم (مزب) .

شكل (٢٣)
رمزا السلطة (القرن ٢٢ ق.م)
رسم : علي محمد آل تاجر

وينحدر من نسل الاله آن آلهة عظام (انوناكي) وآلهة ثانويون (ايجيجي) وفي نفس الوقت ينحدر من نسله عدد كبير من الجن والعفاريت الذين يسكنون العالم الاسفل ومن ضمنهم الآلهة الشريرة السبعة التي تدعو (سبيتو) ولا نعرف ما إذا كان هناك أصل سومري لهذه التسمية الأكدية .

ولهذا السبب أصبح الإله آن مصدراً للخير والشر بالنسبة للإنسان والكون .

وإذا كان الاله (آن) قد فقد بعض أهميته مع بداية حكم السلالات السومرية فإنه استعادها بقوة في زمن گوديا أمير لكش (٢١٤٣ - ٢١٣) ق . م ثم انتشرت معابده في الوركاء واور ونفر ولكش وسبار ودير (مدينة آن) ثم في آشور .

وكان مسكن سماوي (في السماء السابعة أو الثالثة) يحرس بابه الإلهان دموزي وننكشزيدا . وكان حيوانه الدال عليه هو (الثور السماوي) .

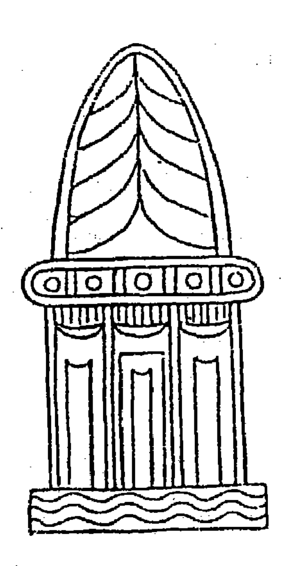
إن الرقم الرمزي او السري للإله آن هو اكمل واعلى الأرقام السومرية (٦٠) الذي كان اساس النظام الستيني الرياضي والفلكي . ويعد (آن) النموذج الأول لعبادة التوحيد Monothesim بسبب من كونه لم يكن الهاً قومياً أو محلياً بل كان الهاً كونياً عالمياً وكان يسمى (أبو الآلهة والبشر) . وكذلك يعد مانح السلطة والحكم ورموزها (شكل ٢٣) التي استحوذ عليها لاحقاً إنليل .

وهناك أساطير أكدية لاحقة ذكرت أن الإله آن من سلالة (٢١) إلهاً ومن أجداده الإله إنشار والإلهة كيشار والإله لخمو والالهة لخامو . وكان له عدة عشيقات وزوجات غير زوجته أنتو وهن (نن زالي ، نن اورسلا ، وإنانا) .

٢ . **إنليل Enlil**: كانت جذور الإله إنليل تمتد إلى الألف الخامس قبل الميلاد ، ربما في سامراء ثم في حلف فقد عثر في سامراء على علامة الفأس المزدوج باشكال مختلفة ، وكان يدل على بداية ظهور الاله الذكر ، ولكن الفأس المزدوج ظهر واضحاً في حضارة حلف ودل على إله ذكر يمثل الهواء والمطر ، وبدأ ذلك يرافق بناء المدن ونتذكر في هذا الصدد اسطورة خلق الفأس الذي قدمه إنليل هدية للبشر لبناء مدنهم .

ويشكل إنليل جذر كل الآلهة القوية في الحضارات اللاحقة مثل مردوخ البابلي وآشور الآشوري وبعل الكنعاني وزيوس اليوناني وجوبيتر الروماني بسبب من هيمنته على

الشؤون الدينية والدنيوية واستحواذه على وظائف الآلهة القريبين منه، ويعد إنليل النموذج الأول لعبادة التفريد Henothsim وهي إعلان لشأن اله قومي على حساب بقية الآلهة . . ولذلك يمتاز الإله إنليل بكثرة ألقابه وأسمائه فهو «سيد جميع البلدان، وأبو جميع الآلهة، والجبل الكبير والاله الذي يقرر المصائر والاله الذي لا رجعة لقراراته، وصاحب العينين البراقتين، والاله الذي يمتلك بين يديه ألواح القدر. وعلاوة علي ذلك فإن الملاحم الخاصة بخلق الكون أكدت على أن الإله إنليل هو الذي قام بفصل السماء عن الأرض وهو الذي خلق الفأس اداة العمل»، (رشيد ١٩٨٥: ١٥٢).



شكل (٢٤)
رمز الإله إنليل (نهاية الألف الثاني قبل الميلاد)
رسم: علي محمد آل تاجر

ومن ألقابه الأخرى المنتقم والذي يراقب سير القوانين ويعاقب المذنبين والذي يمسكهم مثل الطيور في شبكته الكبيرة.

ومدينة إنليل هي المدينة السومرية الدينية المقدسة الأولى نفّر (نيبور) التي تبعد مسافة ٧ كم عن ناحية عفك في محافظة القادسية واسم معبده (إي - كور) أي (بيت الجبل).

والرقم السري او الرمزي له هو (٥٠) ولذلك هو رئيس مجمع الانوناكي (اي آلهة الأرض الخمسين) وسيأخذ صفاته الخمسين لاحقاً الإله مردوخ (مقابله الاكدي) في ملحمة الخليقة الأكدية وقد كان هذا الإجراء الأكدي استكمالاً لنزعة التفريد التي بدأت مع إنليل .

لقب الساميون الاله إنليل بالاله (بل)أو (بعل) الذي دمج مع شخصية مردوخ وأصبح فيما بعد إشهر الآلهة الشامية بشكل خاص ممتصاً في طريقه صفات الاله الشعبي دموزي أو تموز وصفاته الإخصابية .

إن (بل) يعني (سيد) ومؤنثه (بلت) ويقابلهما في سورية (بعل) و (بعلة) وهما من أسماء الآلهة التي تركب مع اسماء أخرى، وغالباً ما يرتبط اسمهما بأسماء المدن مثل (بل حران) و(بلت نفر) وهي زوجة الاله (ننورتا) وبلت ايلي سيدة الآلهة ويستخدم هذا الاسم في وصف الإلهة الام. ومنذ العصر الكشي المتأخر أصبح يطلق اسم (بل) غالباً على (مردوخ) وكان مردوخ نفسه معروفاً عن اليونانيين باسم (بلوس) ، ويعادل بل (إين اولوجال) في اللغة السومرية ويعني سيد أو ملك ومؤنثه (نين أو نن) (انظر اذزارد ١٩٨٧ : ٧٥).

وينحدر الاله إنليل من (٤٢) جداً أي ضعف اجداد آن أشهرهم هو (اين مشّرا En-mesarra وهو إله العالم السفلي مع اولاده السبعة وابنته نارودو Narudu التي دعاها الآشوريون بالإلهة سبتي Sibitt).

إن الثيوغونيا الإنليلية تنتج أولاً أربع سلالات من الآلهة كلها لها علاقة بالجو والأنواء والظلام والنوز الأولى يترأسها ننورتا اله العاصفة، والثانية يترأسها ايميش وانتين الها الصيف والشتاء . والثالثة يترأسها نركال (اله العالم السفلي) المظلم، والرابعة يترأسها الاله ننار (اله القمر) أما الأساطير الخاصة بهذه الثيوغونيا فهما اثنان الاولى توضح زواج الاله إنليل من الفتاة (سود) التي صار اسمها ننليل، والثانية تخص إنليل وننليل وولاده إله القمر وآلهة العالم السفلي :

وقبل ان نذكر الاسطورتين نقول أن الإنليل معبد في لكش يسمى (معبد الأب) وله وزير خاص هو نسكو اله النار وهذا يدل على ارتباط النار بالهواء ثيوغونياً «وتيرأس مع آن

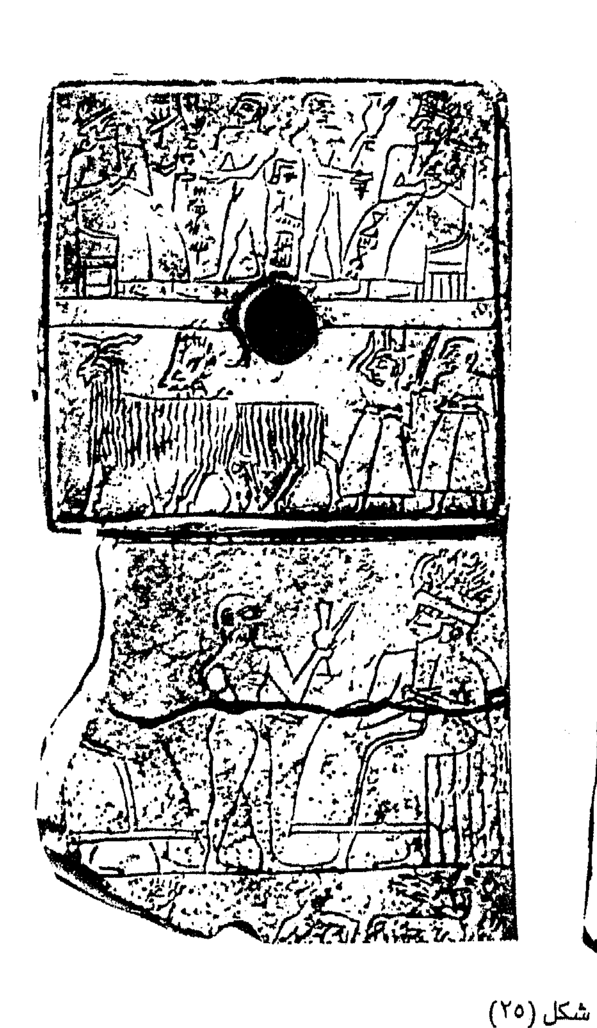
مجاميع الآلهة في بلاطه المسمى – اوبشواوكينا – ولكونه ملك كل البلدان فهو يمنح مع ابيه آنو المناصب العليا كالملك والإمارة، كلمته هي الريح التي تنفذ مقررات المجمع الالهي، فاذا قررت الآلهة تدمير مدينة ما نفخت «كلمة» إنليل كالعاصفة ودمرتها، إن «كلمته» تهز السماء وتزلزل الأرض» (بشور ١٩٨٩ : ٦٢).

وكان إنليل يستحوذ ، بالاضافة إلى رمز السلطة من آن، على رموز اخرى منها الفأس ورمز آخر هو التشييد والبناء واستحوذ على رمز أبيه الخاص بالتاج المقرن ودكة المعبد نهاية الألف الثاني ق.م (شكل ١٩، ٢٣، ٢٤، ٢٦).

ولعل من الأمور اللافتة للانتباه والسؤال هو ظهور رمز (الحمامة السماوية) شكل (٢٧) الذي كان يشير إلى الإله إنليل ايضاً أو يرافقه وقد اعتبر السومريون هذه الحمامة السماوية من رسل السماء وكانت تدعى عند السومريين (إياهو Iahu) ونرى أن هذا الإسم هو الجذر السومري الذي ظهر منه اسم الإله (يهوه) العبري فيما بعد حيث أصبح (يهوه) في السومرية دالاً على (الإله الخالق)، ويكاد هذا اللقب (أياهو) يكون أقدم اسم يرد للدلالة على الحمامة السماوية والإله الخالق فيما بعد . . وبذلك نكون قد عثرنا على الأصل السومري لإله اليهود والعبريين، وفعلاً فأن في كلمة (يهوه) ما يشير الى الهواء وهو ما يشير أيضاً إلى الإله إنليل .

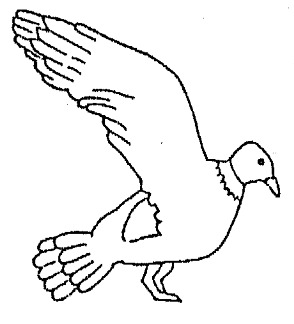
يتضح من ذلك أن الإله إنليل أختص بالغلاف الجوي الذي حول الأرض، وبالأجسام والظواهر التي تظهر فيه كالكواكب والهواء والعواصف والرعود ولأن العالم الأسفل يقع في فضاء تحت قرص الأرض لذلك أصبح من اختصاصه، حيث أنجب له ولداً اسمه (نركال) اصبحَ فيما بعد ملكاً . عليه ولذلك صار الزمن والتقويم والفلك والتنجيم ضمناً من اختصاص إنليل أو أحد ابنائه لانه يخص الفضاء الذي هو ملك له . وقد وجد رمزٌ للاله إنليل في مدينة نفر باعتباره إلهاً للطقس وكان الرمز يمثل ثوراً يقفز إلى الأمام تحت قوس هو عبارة عن حربتين ضخمتين وكأن الثور كان يمثل القوة التي تدور بها الأفلاك، لأن الحربتين كانتا تحملان رسوماً لاثنتي عشرة كرة ترمز إلى شهور السنة الاثنى عشر (انظر Van Buren 1930: 593)

وكان الإله إنليل مرتبطاً بالقوة والبطش وصوّر دائماً على أنه يميل إلى القسوة، وكان صارماً مع الإنسان فإذا خالف الانسان القوانين فإنه يعاقبه بقسوة، ولذلك فهو

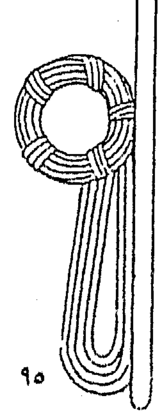




شكل (٢٥)
تمثال الإله إنليل مطلي باللون الأحمر (النصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد



شكل (٢٧)
(إياهو) رمز الحمامة السماوية
والهواء (القرن ١٨ ق.م)
رسم : علي محمد آل تاجر



شكل (٢٦)
رمز التشييد والبناء
رسم : علي محمد آل تاجر

يلاحق الخارجين على القانون ويصطادهم بشبكته الكبيرة. وكان هو والإله آنو سبباً في اسقاط الكثير من المدن وتدميرها فقد سميت جموع الكوتيين وهي تدمر الدولة الاكدية بـ (عواصف إنليل)، ورغم أن الاله سين هو الذي دمر (أور) وأنهى السومريين الا أن إنليل كان وراء ذلك وهو يعتبر ذلك سنّة طبيعية حيث لا بد من تدمير المدن بعد أن تزدهر فهو يقول لولده سين وهو بسأله عن دمار اور (لقد اعطيت الملكية . لأور، لكن ليس مضمونه، كملكية إلى الأبد، فمنذ القدم، عندما تأسست الأرض حتى (اليوم) وقد تكاثر الناس من رأى سلطة مملكة بقيت دائمة؟) (انظر الحوراني : ١٨٩) و (انظر 612 :prithchard 1969)

وتسمى نصوص ملك لكش (گوديا) في نهاية الألف الثالث ق.م بأنه (ملك الطوفان) (لوگال آمارو) . وأن الطين الذي كان يحمله الفيضان معه إلى مدينة لكش كان يسمى (طين انليل) (انظر 27 :Dhorme 1949)

ومع ذلك كان يوصف الاله إنليل في بعض النصوص بعكس صفاته المدمرة هذه فهو الاله الرحيم وصاحب العمران وهو سبب الحياة والنبات والحيوان وبذلك يتلبس إنليل أو يمتص صفات الاله (انكي)، الذي سنتحدث عنه، وهذه قصيدة توضح بعض ما ذهبنا اليه وسننتخب منها ما يوضح التناقضات في شخصية إنليل :

(«انليل» من يصل أمره إلى أبعد مكان - ومن كلمته مقدسة

الرب الذي لا يبدل كلامه، والذي يقدر المصائر إلى الأبد

الذي تبصر عينه النّفاذة الأقطار كافةً

ومن يدخل إشعاعه الوهاج في قلب الأقطار كافة

«انليل» من يتربع على المنصة البيضاء ، على المنصة الرفيعة

والذي يهذب أحكام السلطة والسيادة والإمارة

آلهة الأرض تنحني خشية امامه

وآلهة السماء تتخلل أمامه

المدينة (نفّر) مظهرها يثير الخوف والرعب

الجائر، والظالم والشرير، والنّمام

والمتكبر، وناكث العهد

كل هؤلاء لا يجيز شرهم في المدينة

والشبكة العظيمة ، أنه لا يدع الشرير والظالم يفلتان من شراكها

. . . .

لولا «إنليل» الجبل العظيم

لما شيدت مدن، ولما أُقيمت مواطن

ولما شيدت زرائب، ولا أقيمت حظائر ،

ولما رفع ملك ، ولا ولد كاهن عظيم

ولما اختير كاهن (الماخ)، ولا كاهنة رفيعة القدر بفأل الشاة

ولما غدا للعمال موجه ولا مشرف

والانهار . . ما جلبت مياه فيضاناتها الفيض

ولما وضع سمك البحر بيضه في أدغال القصب،

ولما بنت طيور السماء أعشاشها على الأرض الفسيحة

وفي السماء، لما جاءت الغيوم السائرة

ولولاه ما تمت النباتات والاعشاب، مفخرة السهل

ولما ازدهر القمح الوفير في حقل الراعي

ولما اثمرت الاشجار النابتة في غابة الجبل أثمارها . .»

(كريمر ب. ت: ١٦٠ -١٦٢)

أسطورة إنليل وسود

ننليل Ninlil زوجة الإله إنليل ، وكانت تسمى قبل زواجهما (سودSud) أي الطويلة ، وتوصف بأنها إلهة الحبوب لأن امها هي ننبار شكونو (نصابا) الهة الحبوب والكتابة وأبوها (هاي) اله الصوامع . واسطورتها الحالية تحكي قصة زواجها الشرعي من إنليل ولها قصة زواج غير شرعي منه سنضعها في الاساطير الثيوغونية لنسل إنليل .

تحكي هذه الاسطورة أن إنليل اجتاز بلاد سومر كلها، عندما كان شاباً يافعاً، للبحث عن زوجة له فلم يجد ما يرضيه، لكنه عندما يصل الى مدينة (ايريش) يرى (سود)، وهي ابنة العائلة الحاكمة في المدينة ، فتنال اعجاب إنليل فيظن انها من بنات الهوى ويغازلها لكنه يلمس فيها العفّة والبراءة. وعندما يعود إنليل إلى مدينته (نفر) يقوم بارسال رسوله نسكو (نوسكا) وهو اله النار إلى والدتها الالهة (نصابا) الهة الحبوب والكتابة وابوها (هايا أو خايا) اله الصوامع . بعد أن حمّله هدايا كبيرة ووعداً بأن يطلق عليها اسم ننليل اذا صارت زوجةً له وأن تعيش معه في قصره (كي اور) وقد استقبلت (نصابا) الرسول وعاملته بلطف وادي هو كل المراسيم اللائقة واعطى الهدايا وتحدث عن الوعود، فوافقت الام على أن يخطب إنليل سود.

عاد نسكو إلى نفر وأخبر سيده بذلك ففرح وهيأ هدية الزواج المكونة من قطعان من الحيوانات المختلفة والاجبان والأسمان والألبان والعسل والثمار المختلفة والاحجار الكريمة والحلي والأقراط والذهب والفضة وغيرها ورافقته الذهاب الى (سود) اخته (ننماخ) وحصل الزواج وجاءت اخته بها من يدها وأدخلتها عليه، وهناك في الـ (ايكور) مقره في نفر تزوجها ثم اطلق عليها عدة ألقاب هي (ننتو: السيدة التي تلد)، و(أشنان: الهة الحبوب)، وأعطاها نواميس الكتابة والقلم والألواح وعلم الحساب وتثبيت التحوم وتخطيط الأقنية والسدود، وأخيراً أعطاها لقب (ننليل: سيدة الهواء) الاكثر علواً من الجبال .

نشرت هذه الاسطورة كاملة لأول مرة عام (١٩٦٧) مؤلفة من (١٧٥) سطراً وهي تطفح بلغة الحب والجمال والأوصاف الشعرية، وتصور طقوس زواج الآلهة وهدايا الزواج ومنح الألقاب.

٣. إنكي Enki

الإله الثالث في مجموعة الآلهة الخالقة (آلهة العناصر الأربعة) هو الاله إنكي اله الماء ثم أصبح اله الماء والأرض لارتباط الماء بالأرض واستمراراً لسيادة الانقلاب الذكوري على الالهة الام (الأرض)، فقد كانت الإلهة (كي) أم انكي ثم تحولت إلى (وربما أنجبت) الإلهة ننكي (سيدة الأرض) احدى مسميات زوجته وساد هو وأصبح بسبب الماء وليونته وأصوليته العميقة في الخلق وقدرته على المناورة اذا ما صادف عثرةً أو حجراً، أصبح الاله إنكي إله الحكمة. والحيلة والذكاء والمعرفة.. ثم اله السحر والطب.. وهكذا أصبح هذا الإله سيد الحياة كلها...، صحيح أنه يختفي خلف سلطة إنليل أخيه أو سلطة آن ابيه، ولكن له سلطة الحياة النابضة والخلق والتكوين وكأنه ورث باطنياً كل سلطات الآلهة.. وهو هكذا فعلاً.

كانت مدينته (أريدو) أعرق مدن سومر في قدمها والواقعة آنذاك، على ساحل الخليج العربي، وبسبب من تتبعنا لتاريخ ظهور الآلهة الام، (التي كانت تمثل الأرض ربما (كي) أو (نّمو)، فقد بدا وكأنه إله المطر شمال العراق (سامراء - حلف) فأخذ هذا الاله شخصية الإله الاب، وما أن تحولت الحضارة باتجاه الجنوب ظهرت شخصية الاله الابن في اله الماء (إنكي) في أريدو التي هي ثاني ثقافة كالكوليتية بعد حلف (انظر الماجدي ١٩٩٧ م)

واذا كانت علاقة إنكي بالاله أبسو في الاساطير البابلية واضحة حيث هو ابن ابسو (اله المياه العميقة)، فإن هذا لا يتضح بهذه الطريقة في الاساطير السومرية لأن (أبسو) لا يظهر كإله بل يظهر كمكان لأن إسم معبد إنكي (إي أبسو) أي معبد الاعماق.. وسمي ايضاً معبد الغور (اي - انگورّا) اي معبد شجرة الكشكانو المفضلة عنده. في حين تبدو هناك علاقة مباشرة بين دموزي وأبسو حيث يظهر لنا الإله (دموزي- أبسو) الابن البار لمياه الاعماق رغم أنه الابن المباشر للإله أنكي. اما زوجته فاسمها المعلن دامغالتونا (مكينا اومكينا) زوجة الأرض والسماء وهي بالسومرية (ماخ) (الكبيرة)، وهي في حقيقتها شريكته أو المرأة المرافقة الحبيبة الدائمة له (ننخرساج) التي هي ننكي وريثة (كي) وصاحبة الالقاب الثلاثة عشر.

ويعيش إنكي في الـ(أبسو) المياه العميقة تحت قرص الأرض وتزوره أمه التي هي (نّمو) وهي الالهة السومرية الاولى.. ويحيرنا هذا الأمر لأن الأم الفعلية لإنكي هي (كي)

لكننا بمجرد أن نعرف ان الالهة نمّو هي ام كل الآلهة فهي بالضرورة أُم إنكي، بل هي الأقرب له لانهما الها الماء.

وتظهر صورة الاله انكي في مياه الاعماق وكأنه في غرفةٍ مثيرة للعجب تبدو مثل غواصة .

كان الرقم السري لإنكي هو (٤٠) وهو رقم له قداسته في الحياة والموت والنبوة والفصول وغير ذلك .

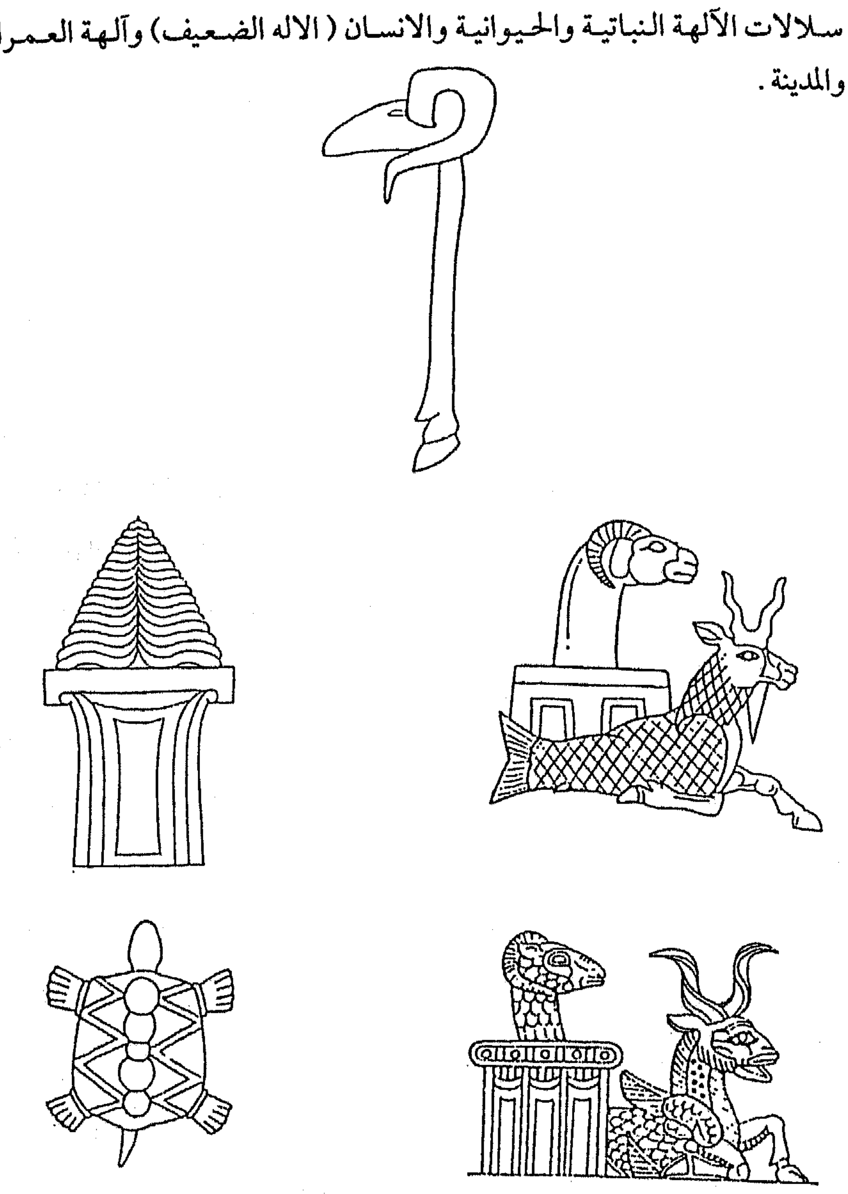
وكان للاله انكي وزيرا اسمه (اسيمو) أو (ايسمود) ويسمى بالاكدية (أوسمو) او اوسومو) وهو إله برأس بشري وله وجهان وتظهر صوره كذلك. أما رموز الاله إنكي في العصر السومري فكان له رمز واحد هو الإناء الفوار الذي تتدفق منه في كل من الجانبين الأيمن والأيسر خمسة خطوط من المياه، وقد اصبح لمقابلة السامي (إيا) عدّة رموز منها الكائنات السخية للسمكة والمعزى والخروف، ودكة المعبد المقّرنة، والسلحفاة، وساق الخروف . وكان السمك حيوان قديم دال عليه، وكانت أغلب أضاحيه من السمك ولهذا صار زي كهنته (خصوصاً في العصرين البابلي والآشوري) عبارة عن عباءة طويلة من الرأس حتى القدمين هي جسد سمكة بكل تفاصيلها . وللاله انكي شجرة مقديسة اسمها (كشكانو) .

والاله انكي (بعكس آن وإنليل) صديق الانسان وخالقه ومنقذه، فقد أنقذ النسل البشري من الطوفان الذي قرره مجلس الآلهة العظام فأسّر إنكي لزيوسدرا ، الانسان الحكيم، بصناعة الفلك (انظر اسطورة الطوفان) .

وكان أهم دور في الحياة اليومية لإنكي هو طرد الشياطين فقد كان كهنة الأشيبو بشكل خاص يستعينون به في تعاويذ طرد الشياطين ويعتبرونه إله السحر الابيض الذي يساعدهم في مثل هذه الامور، وقد كان يساعده إبنهُ الإله اسارلوحي في طرد الشياطين، واسارلوحي اصبح فيما بعد مردوخ البابلي . أما وزير الإله إنكي فهو حمّو (إله الحرف والمهارات) والوزير الأساس هو إيسمود (الإله ذو الوجهين) .

أما القابه فهي نود يمود (الخالق) ، رب حزمة القصب، الاله ذو الأذن الكبيرة المفتوحة، عين الماء اللامعة، رب الحكمة، رب التعاويذ .

لقد أنجب إنكي أربعة أنواع من السلالات الالهية (سنناقشها بعد قليل) هي سلالات الآلهة النباتية والحيوانية والانسان (الاله الضعيف) وآلهة العمران والبناء والمدينة.



شكل(٢٨)
رموز الإله انكي
١. حوالي ١٨٠٠ ق.م ٣،٢ القرن ١٢ ق.م ٤، ٥ نهاية الألف الثاني ق.م
رسم : علي محمد آل تاجر

٤ . كي Ki

(كي) هي الأرض وهي الإلهة السومرية الام الثانية بعد (نّمو) في سلسلة ثيوغونيا الآلهة السومرية، لكن الغريب في الأمر أن هذه الإلهة اتخذت اكثر من إسم ومن صفة . ولم نجد في ما توفر لدينا من مراجع حلاً لمشكلة نسبها ولكننا نرى يقيناً ان هذه الإلهة أنجبت من الإله (آن) إلهة أنثى أصبحت فيما بعد هي الإلهة الام الكبرى الثالثة في سلسلة النسب وهي الإلهة (ننكي) التي هي الإلهة ننخرساج ايضاً والتي استطعنا أن نحصي لها ثلاثة عشر إسماً ، ولذلك يمكننا القول أن الإلهة (كي) هي نفسها الإلهة ننخرساج وقد عبرت عن نفسها في ولادة جديدة، وفي اليونانية تقابلها كلمة جي ge التي تعني الأرض، أما ألقابها أو أسمائها فهي:

١ . دامگال – نونا وتعني زوجة الامير الكبيرة واسماها البابليون (دامكينا) وهو الاسم الشائع لها كزوجة لإنكي

٢ . ننكي (سيدة الأرض) ويشير مقطع (نن) إلى سيدة أوإلهة .

٣ . ننخرساج (سيدة الجبل) وهو الاسم الذي شاع أكثر من غيره وتعني تحديداً سيدة الأرض الصخرية المرتفعة . وربما قصد الجبال الشرقية التي فيها مقر الآلهة (دوكو) .

٤ . ننماخ (السيدة الكبيرة) ورمزها المرأة العارية المصلبة اليدين على صدرها .

٥ . ننتو (سيدة الولادة) وهي الإلهة المساعدة في الإنجاب، ورمزها المرأة التي تحمل بيدها اليسرى طفلاً ترضعه ، وتصلي بيدها اليمنى

٦ . مامي (ماما) : الأم (مختصر الإلهة ماميتو زوجة إيرا)

٧ . ماري : العذراء أو الغربية

٨ . گاتوم دوك : الهة الاطفال والمسؤولة عن تربيتهم

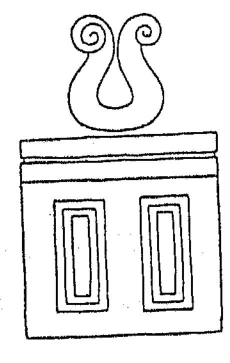
٩ . بيليتي: الهة النسل ، أو بيليت – ايلي Beletili أي سيدة الآلهة .

١٠ . اوراش : ويعتقد انه يعني الأرض ومصدره اكدي لكن السومريين استعملوه .

١١ . ارورو : سيدة الانجاب ورمزها الصقر الواقف على عمود

١٢ . دنگيرما : الالهة الأم ، وكانت تلقب ايضاً بـ (سيدة الزمن Date godess)

١٣. ننمينا : ويعني هذا الاسم بالسومرية (سيدة القبعات الالهية) وهو اسم نادر جداً ويستبدل في انشودة الفأس السومرية باسم (دامگال - نونا) وتوصف بأنها ولدت الكاهنة الملكة والملك . وربما كان لها علاقة باسم (دنجرمن) التي وردت في قوائم اسماء الآلهة في فارا (انظر اذزارد ١٩٨٧ : ٣٨).



شكل (٢٩)

رمز الإلهة ننخرساج (القرن ١٢ ق.م)

رسم : علي محمد آل تاجر



شكل (٣٠)

الإلهة الام ننخرساج (سيدة الزمن)

وأغلب اساطير (ننخرساج) ارتبطت بالاله إنكي، كما سنرى، كزوجة وعشيقة وأنجبت منه أغلب إلهات وآلهة البنات والحيوان والمياه والعمران . . الخ، لكن لها زوج آخر ذكر في العالم الاسفل هو (شولبي) الذي أنجب منها ولدان هما (مولوليل)و(اشرجي) وابنة هي (أكيم)، ويرى كريمر أنها كانت ذات منزلة عظيمة وتتقدم على كل الآلهة (وهذا يذكر بالإلهة الام أو الإلهة) وأنها كانت تعتبر أماً لجميع المخلوقات الحية وكان الحكام السومريون يقولون عن أنفسهم (أن ننخرساج تطعمهم باللبن على الدوام) (انظر كريمر ب. ت : ١٦٣).

وربما اختلط اسمها باسم (اوراش) زوجة آن وأم ننسينا، وقد عبدت (اوراش) في مدينة دلبات ويوصف شولبي أو شولباه، بأنه (الشاب البهي الطلعة) وانه اله الحرب والقتال ويصور أحياناً كعفريت، ثم يوصف شولبي منذ العصر البابلي القديم بأنه أحد آلهة السماء متجسداً في نجم المشتري.



شكل (٣١)
كاتوم دوك



شكل (٣٢)
نخرساج في هيئة إله العين

٣. سلالة إنليل

الشجرة الإنليلية الهوائية النارية

قلنا أن الاله إنليل استلم سلطات ابيه آن، وعين اخاه (نسكو) إله النار (ابن آن) وزيراً له، وهكذا اتحد الهواء مع النار في تكوين سلالة واحدة ستكون من أهم ميزاتها عنايتها بما يظهر في الفضاء الجوي من كواكب وأجسام وعواصف ورياح وامطار وستعنى بتبدل الفصول وغيرها، ولأن الفضاء الذي تحت (الأرض والابسو) هو جزءٌ من الفضاء الكروي الذي يحيط بالأرض لذلك اصبحت مهمات الفضاء الاسفل (العالم الاسفل) ايضاً من مهمات السلالة الانليلية حيث يظهر فيها آلهة هذا العالم كملوك له، ويظهر ابناء آن وانليل كمجاميع من الجن والعفاريت والشياطين منه. اضافة إلى أرواح الموتى، إن صفة الموت تدل كثيراً على طبيعة هذه الشجرة الانليلية لأن من صفاتها جمود ويباس مكوناتها وتربصها بالأرض واحاطتها بامكانات الكوارث (العواصف، الامطار، الفيضان، الحرائق، السكوف، الخسوف، ظهور كائنات وحشية من العالم الاسفل لتدمير الأرض وهكذا). ولا نبعد امكانية أن تكون إنانا (الانليلة السلالة) سبباً في موت دموزي (الآنكي السلالة) وحدب الأرض وستتوسع لاحقاً في تفسيرنا هذا.

لقد استعمل الاكديون مصطلح الإنليلية على شكل (إنليلوتو) وكانوا يقصدون بها الروح الإنليلية المرتبطة بالسيادة والقوة «فقد اعلن حمورابي مثلاً في مقدمة شريعته أن (آن ومردوخ) زوّداه بالانليلية ليسوس البشر بها، وتجري الامور متشابهة في الدولة الآشورية حيث يلقب إله الدولة القومي بـ (إنليل الآشوري) مثل مردوخ في الدولة البابلية ويلقب الاثنان في دولتيهما (بانليل الآلهة)، (اذزارد ١٩٨٧ : ٦٩).

إذن نحنُ أمام الوجه الآخر للوجود (الوجه غير الحي) السلبي ربما في الكثير من جوانبه، ولكننا كما نعلم بأن الحياة الدينية بطبيعتها لا تعطي شكلاً سلبياً خالصاً لسلالة إله عظيم كإنليل ولذلك سنجد بعض الجوانب الحية والايجابية التي نشعر أنها تخفف أو تلطف من قسوة ابناء إنليل واحفاده.

ولكن هذا الغلاف الهوائي الناري الالهي الذي يحيط بالأرض يساهم أيضاً في تنظيم قوانين الأرض باعتبارها مركز الكون فحركة الشمس والقمر والكواكب والرياح

والفصول هي قوى كونية منظمة للحياة على الأرض ايضاً ولكنها صارمة وحادة . . وعلى هذا الأساس فهي التي تمسك بالنواميس المعنوية كالحق والعدالة والشجاعة والنبل. ولأن الأمراض نوع من الكوارث فهي من اختصاصها ، مثلما الشفاء منها ايضاً في بعض الاحيان ، ولذلك ينقسم آلهة العالم السفلي إلى آلهة امراض مثل نمتار ونركال وآلهة شفاء مثل ننازو . . الخ .

ولعل أهم اسطورة ثيوغونية انليلية هي اسطورة نفي إنليل او هبوطه للعالم الاسفل حيث تبعته ننليل وإنجاب إله القمر (نانا) وثلاثة آلهة من آلهة العالم الاسفل وهي كما يلي :

أسطورة إنليل وننليل وولادة القمر وآلهة العالم السفلي

يتألف نص هذه الاسطورة من (١٥٤) سطراً عثر عليها في مدينة (نفّر) ويمتاز النص ثيوغونياً بانه أحد أهم النصوص القديمة التي يتم فيها تحوّل الاله إنليل من هيئته كاله إلى كائن آخر وذلك عندما يتقمص شخصيات بواب وعبّار ونوتّي العالم الأسفل، ثم ان النص يثير غرابة بايولوجية حيث تحمل الالهة ننليل في بطنها (أربعة أجنّة) من أربع مضاجعات متتالية . . من دون أن تلد الواحد ثم تحمل بالأخر.

أما الأمر الآخر فإن الزواج غير الشرعي بين إنليل وننليل يحمل مغزاه الثيوغوني العميق الذي سنشرحه بالتفصيل .

تبدأ الاسطورة بوصف مدنية (نفّر) وهي مدينة الالهين إنليل وننليل (والمفروض انهما تزوجا كما في الاسطورة السابقة لكن الاسطورة تصف اللقاء بينهما وكأنه يحصل لأول مرة). وتصف الاسطورة مرافق وارصفة وبساتين وأنهار نفر، ثم تصف الاسطورة مرافق وأرصفة وبساتين وأنهار نفر، ثم تصف فتاها الشاب القوي (انليل) وفتاتها العذراء (ننليل).

وهناك من يقول أن أم ننليل (ننبار شكونو وهي نصابا) تنصح ابنتها بأن تستحم في نهر نفّر ليراها أنليل وتغويه، وهناك من يقول بأنها تحذرها من ذلك لأن إنليل إن رآها سيغتصبها (والاحتمال الأخير هو الأرجح)، وعندما تخلع ملابسها وتستحم يراها إنليل ويطلب منها مراراً بأن يضاجعها ولكنها ترفض في كل مرة، ثم يقوم إنليل بأمر وزيره

(نسكو) فيجلب له الأخير قاربه الملكي الذي يتغلغل بين القصب، ثم ينال إنليل من ننليل ويغتصبها في قاربه . . ويبذر في أحشائها إله القمر (نانا).

وفي المدينة يقابل الآلهة العظام الخمسون ومعهم آلهة المصائر السبعة، بعد أن عرفوا بالحادث، فيطردون إنليل من المدينة وينفوه إلى العالم الأسفل، وحين توجه إنليل إلى العالم الأسفل، تبعته ننليل وهي حاملٌ بابنها القمر. وعلى بوابة العالم الأسفل يجد إنليل حارس البوابة فيتخذ هيأته ويأمره بأن يتوارى، ويقف هو مكانه كحارس للبوابة وعندما تجيء ننليل يقنعها بواب العالم الاسفل (الذي هو إنليل متنكراً) بأنها اذا ارادت أن تخلّص بذرة إنليل في بطنها (نانا) فإنه يجب أن يضاجعها لكي تبقى بذرته منها في العالم الاسفل وتصعد بذرة إنليل (نانا) إلى العالم الأعلى، وتقتنع ننليل بذلك. ويفعل ننليل مثل هذا الأمر مرتين أخريين متنكراً بشخصية رجل نهر العالم الاسفل (مفترس البشر) وشخصية (سيلوليم) نوتي العالم الأسفل أو عبّار نهره.

ثم تنجب الإلهة ننليل أربعة آلهة هم :

١ . **نانا Nana** : إله القمر (وهو ابن غير شرعي من انليل) تمت زراعة بذرته في رحم ننليل بين احراش القصب في نهر نفّر

٢ . **نركال – مسلامتا يا Nergal - Meslamtaea** : الاله الذي سيصبح إله العالم الأسفل، وهو ابن غير شرعي من إنليل وهو في حالة تنكر لشخصية بواب العالم الأسفل.



شكل (٣٣)
رمز الإله نركال
(رسم : علي محمد آل تاجر)

٣ نناززو Ninazu : إله مهم من آلهة العالم الأسفل معنى اسمه (السيد الطبيب)، وهو هنا ابن غير شرعي من إنليل وهو في حالة تنكر لشخصية رجل نهر العالم الأسفل (مفترس البشر) . . لكن هذا الاله يرد دائماً كإبن للاله نركال من ارشكيگال .

٤ . **اليجبيبل (گيبل) إله النار السفلى**، وفي رواية اخرى أنه الاله انبيلولو Enbilulu وهو إله نهري دجلة والفرات، ولكن هذا إله يرد في الالهيات على أنه ابن الاله انكي .

واعتقد أن الفلسفة اللاهوتية الكامنة وراء هذه الثيوغونيا الانليلية تتخلص في النقاط التالية :

١ . أن الاغتصاب جريمة كبرى حتى لو كان مرتكبها إله وأن عقوبتها الموت (الذهاب إلى العالم الأسفل) وهذا جانب أخلاقي تؤكد عليه الاسطورة حيث أن الآلهة السبعة العظام والالهة الخمسين الكبار قرروا موت إنليل بسبب اغتصابه للإلهة ننليل

٢ . إن ذهاب أي إله إلى العالم الاسفل يعني بقاؤه فيه إلى الأبد، ولذلك جاءت الاسطورة بثيمة جديدة لتخليص إنليل من هذا العالم بأن نزلت الالهة ننليل وراءه لتخلصه . (ولنلاحظ أن هذه الاسطورة سابقة لنزول انانا للعالم الاسفل لتخليص دموزي كما ترد في بعض التفسيرات) .

ولكن هناك مشكلة جديدة فالالهة ننليل حاملٌ باله القمر (نانا) ، وأصبح الآن هناك ثلاثة آلهة داخل العالم الاسفل . وهنا تلجأ الاسطورة الى حيلة ذكية وهي انجاب ثلاثة آلهة لكي يحلّوا مكان الآلهة الثلاثة (انليل ، ننليل، نانا) وهذا هو شرط خروج هؤلاء الآلهة من ذلك العالم .

٣) ولنلاحظ أن ظهور الاله (نانا) كان غير شرعي، ولذلك توجّب على هذا الاله أن يظل محكوماً بالدخول والخروج إلى العالم السفلي كل يوم وليلة ففي النهار يدخل القمر العالم الاسفل وفي الليل يخرج منه .

٤) كان الاله نركال يتخذ أحياناً ، بل وفي الكثير من الاساطير القديمة، وكأنه (اله الشمس) وهكذا هو موقعه فهو يأتي بعد الاله القمر (نانا)، وفي الثيوغونيا السومرية يكون الاله الشمس (اوتو) ابن الاله القمر اي الذي أتى بعده وكأن نركال يحتل نفس الموقع وهكذا يعني ان الشمس محكوم عليها بالدخول إلى العالم السفلي ليلاً والخروج منه نهاراً

في حركة معاكسة للاله القمر. (خصوصاً أن الاله نرگال كان الها علوياً).

٥) واذا كان لنا من تفسير للاله (ننازو) الذي رمزه الافعى فهو كذلك يخرج ويدخل من وإلى حفر العالم الأسفل متى يشاء.. وبسبب من كونه الأفعى فهو يدلّ على الطب، والأفعى لها جحورها الخفية في الأسفل وهي تظهر ايضاً إلى العيان.

٦) أما اليجبيل (گيبيل) فهو إله النار واسمه بالاكدية (جيراً أو جيرو) ولكنه لا يشبه نسكو ابن آن، إنه إله النار التي تخرج من العالم الاسفل من باطن الأرض في دورات غير محكمة أو مضبوطة.

ثم تطور مفهوم الجبيل أو جبيل ليدل على النار بكل اشكالها فهو مصدر خير أو شر تحدثه النار بالاتجاهين. ويذكر احد نصوص التعاويذ من سلسلة (عفاريت اوتوكوّ الشريرة) خبراً اسطورياً مدوناً باللغتين السومرية والأكدية كما يلي:

يصعد الإله إنكي إلى السماء برفقة جبيل ليستكشفا سرّ العفاريت الشريرة السبعة (سبيتو) وبما أن هذه المخلوقات هي مخلوقات الإله (آن) فقد تم خلقهم دون معرفة (إنكي) وعندما يطلعان على عمل واصل العفاريت السبعة، يرسل إنكي جبيل إلى اسارلوحي (إله التعاويذ) الذي يقوم بتزويده بمعلومات عنها ويتلقى جبيل الإرشادات المناسبة ليقوم بطقوس التعاويذ (انظر اذزارد ١٩٨٧ : ٨٤).

اما اذا كان هذا الاله (انبلولو) فهما دجلة والفرات اللذان ينبعان من جوف الأرض فهما تحت / فوق الأرض وهذا ما يشير ايضاً إلى حركة سفلية علوية.

لقد وضعت هذه الاسطورة (قبل اسطورة انانا والعالم الاسفل) حركة دورية ثيوغونية مذهلة واشارت برموز ومدلولات خفية وعميقة إلى ظهور واختفاء الآلهة في العالمين الاسفل والأعلى وحركتهما فيه، وسنحتاج إلى الكثير ليساعدنا في تفسير علاقة البواب بالاله نرگال (هل هو رمز الملك في العالم الاسفل؟)، وعلاقة رجل نهر العالم الأسفل قاتل البشر بالاله ننازو (هل هو الاله السام قبل أن يكون الشافي؟). وعلاقة نوتي إله العالم الاسفل بالاله اليجبيل أو انبيلللو (هل هو العازف الصاخب كالنار أو كمياه دجلة والفرات؟)، هذه الاسئلة وغيرها نتركها لمعلومات أدق قد تجود بها اساطير أخرى لتوضح لنا الحقيقة.

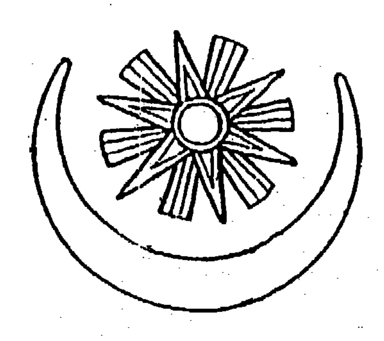
هذه الأسطورة الثيوغونية معبأه تماماً بشحنه رمزية عالية وعلينا أن نتوقف عندها طويلاً في أية قراءة أو تحليل.

أبناء إنليل (آلهة الجيل الأول من الشجرة الانليلية)

١ . نانا (سوين) : إله القمر وهو أهم إله إنليلي، ولكن هذا الاله مثّل ذات يوم أحد اوجه العبادة القمرية للإلهة الام في النيوليت وكان هذا الإله مرتبطاً بها. ولا بد من الاعتراف ان هذا التغير في كونه إلهاً إنليلياً وليس إلهاً أُمومياً (بمعنى الاله الام او بمعنى الاله إنكي) يمثل انقلاباً لاهوتياً ذكورياً سومرياً على تقاليد النيوليت، وهو بذلك يجسد الإنقلاب الذكوري الكالكويتي الذي كان امتداده في سومر، رغم بقايا واضحة وكثيرة للعصر الأمومي.

وسيصبح إله القمر في وادي الرافدين مصدر محاولات توحيدية مثل التي قام بها ابراهيم الخليل في اور وحرّان (وكلاهما تعبدان القمر) . . والمحاولة لآخر ملك بابلي هو نبونائيد.

الاله (نانا) سيكمل الشجرة الانليلية كما سنرى في الجيل الثاني. وقد رمزه في العصر السومري حوالي القرن (٢٢ق.م) هو هلال مقوس مفتوح للأعلى يحتضن شعار الشمس المكون من اثني عشر شعاعاً ستة منه مدببة والستة الأخرى اشعة ثلاثية مسترسلة (شكل٣٠) وهذا الرمز يدل علي أن الاله القمر يختضن ولده الاله الشمس.

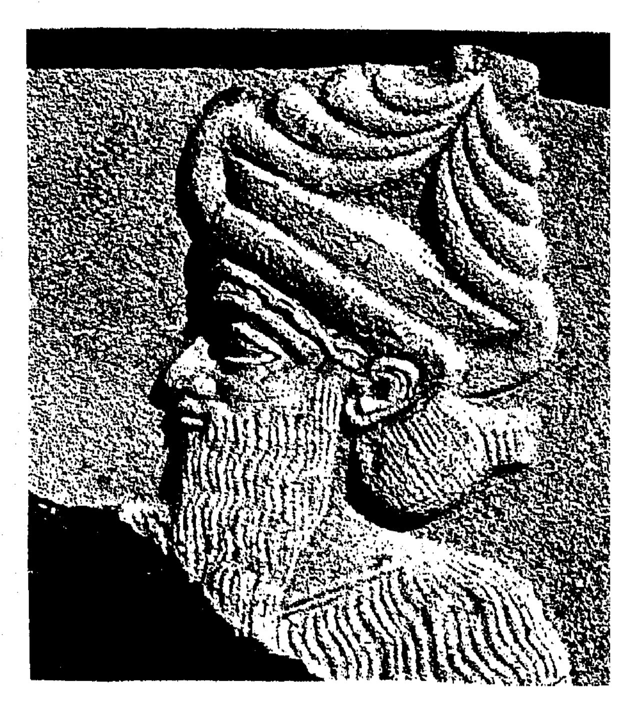


شكل (٣٤)
الرمز السومري لاله القمر (نانا، ننار) القرن ٢٢ ق.م
رسم : علي محمد آل تاجر

ومثلما ارتبط آن وولداه إنليل وإنكي في ثالوث سومري أول، ارتبط نانا مع ولديه أوتو (الشمس) وإنانا (الزهرة) في ثالوث سومري ثان كوكبي الطابع . واذا كان الثالوث الأول كوني الطابع فإن الثالوث الثاني فلكي الطابع . . وللثالوثين أهمية كبيرة في تطور الفكر الديني لاحقاً . الرقم المقدس لنانا أو (موشكي) هو ٣٠ وهذا يعني أن سلطته نصف سلطة آن لأنه يقف على رأس ثالوث ثانوي . أما الحيوان المقدس له فهو الثور المجنح .

أما أهم معابد (ننّار) فكانت في أور واسم معبده (اي - كيشرگال) وفي حران (اي - هلهول)

وزوجته هي الالهة (ننگال) السيدة الكبيرة وتسمى الالهة المتوجة (شكل ٣٦) أما أهم القابه فهي (زورق السموات المضيء، ذو البزوغ الساطع، رب الثور الوحشي إينسون، سيد العرش، إله النور الجديد، ثور إنليل الصغير، الأب).



شكل (٣٥)
إله القمر نانا



شكل (٣٦)
الإلهة ننكال زوجة نانا

وكانوا يفسرون خسوفه بمهاجمة العفاريت السبعة له (انظر الاحمد ١٩٨١ : ٢٦) .

أما أطوار القمر الهلال، البدر، المحاق فقد اتخذها السومريون مقياساً لتقسيم الشهر إلى أربعة أسابيع فالهلال هو أول ظهوره ونصف البدر هو الاسبوع الثاني واكتماله بدراً هو الاسبوع الثالث اما المحاق فاسبوعه الرابع وكان يسمونه (بيلولو) حيث يعتقدون ان الارواح الشريرة تستولي عليه بعد المحاق ليومين او ثلاثة وتعطله في العالم الاسفل ثم يعود من جديد، وكانت هناك اسطورة حول خسوف القمر مدونة بالسومرية ترد في مقدمة (تعويذات الاوتوكو الشريرة) تتحدث عن تحالف بين آلهة القمر والشمس والزهرة بتحريض من الاله إنليل لمقاسمة الاله (آن) في حكم العالم. فيتصدى (آن) لهم ويرسل آلهة السبيتو السبعة ليقتل إله القمر (نانا) مما يسبب ذلك خسوف القمر فتتخلى إنانا عن حلفائها وتنضم الى صف (آن) وتنجح بمكرها في كسب آن راغبة في حكم السماء بمفردها ويقوم الاله (انليل) بارسال رسوله (نسكو) إلى إله الحكمة (إنكي) لينقذ القمر من مأزقه فيطلع انكي الاله (أسارلوجي) على الأمر ويقف النص عند هذا الحد، لكن نهايته تشير لنجاح انكي في تحرير القمر من الشياطين السبعة. وهذه الاسطورة تشير إلى خسوف القمر وكان السومريون يحتلفون في كل مرحلة من مراحل القمر بعيد اسبوعي اسمه (إش، إش) وربما هو نفسه ما نسميه عطلة نهاية الاسبوع الآن. وبسبب من ارتباطه بالزمن والتاريخ أسماه الساميون فيما بعد (ورخ) التي تدل على التاريخ أما اسمه السامي الشهير (سين) فهو من أصل سومري فقد جاء من انزو Enzu التي تقرأ زوين Zuen ومنها زن Zen، وسن Sin (انظر بوتيرو ١٩٧٠ : ٤٠).

٢) آلهة العالم السفلي : وقد تحدثنا عن ولادة ثلاثة منهم، ونحن نؤثر الحديث هنا عن أهمهم الذي هو نركال (ملك العين المظلمة) وهو إله مهم في الثيوغونيا السومرية لانه بعد أن كان الهاً علوياً يجلس مع الآلهة في العالم الأعلى، أصبح فيما بعد ملكاً على العالم الأسفل وتزوج إرشكيگال ملكته (وهو ما ترويه اسطورة بابلية) ولا شك أن وجود الإله القمر وإله الظلام (نركال) في جيل واحد من أبناء إنليل يعني فيما يعنيه الصراع او العلاقة بين النور والظلمة فالهواء أو الفضاء (ليل) انجب القمر والظلام وكلاهما دائر فوق الأرض وتحتها .

إن هذا التضاد بين النور والظلام سنلمحه في الجيل القادم الثاني لإنليل حيث تظهر

الشمس والزهرة (النور) والإلهة إرشكيگال (الظلام)، بل أن الجيل الثالث للإله إنليل والذي تقف إنانا على رأسه توحي لنا بازدواج النور والظلام في رحلتها بين العالمين العلوي والسفلي .

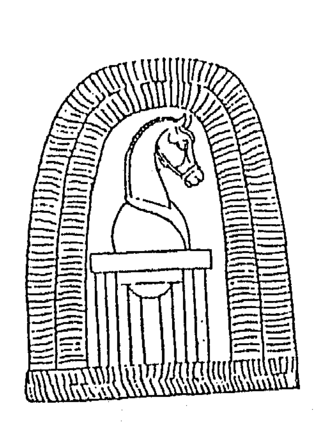
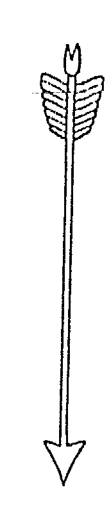
لا شك أن مصدر فكرة (النور والظلام) في الديانات اللاحقة كالصابئيةوالزرادشتية كان من هذا الصراع بينهما . وسنعود للأمر عودة أخرى .

لا نملك إلى ما يشير إلى رمز للاله نرگال في العصر السومري تحديداً ، أما في العصور اللاحقة فقد كان الكلب المجنح رمزاً له .

٣) إلها العاصفة (ننورتا، ننگرسو) : تعني كلمة (ننورتا) بالسومرية (إله الإعصار)، وتتعلق وظيفته بالوضع المضطرب والحاد للطقس، وهو من الناحية العملية الوريث الحقيقي لوظيفة وطبيعة أبيه (إنليل) لعلاقته بالهواء والعاصفة ولذلك لقبوه بـ (الولد) تصغيراً لانليل . وقد عبده الساميون كإله للصيد والحرب، اما الآشوريون فاعطوه مركزاً عظيماً في حياتهم الدينية .

الرقم السري لكل منهما (ننورتا، ننگرسو) هو نفس الرقم السريّ لأبيهما (٥٠) واعطي معبد الخمسين (اي - نينو) في لگش لكليهما بعد أن كان لأبيهما إنليل . « وقد سمي ننورتا بعاصفة إنليل ، وكان رب اخصاب يسيطر على الزرع والفيضانات وصار في العصور الآشورية المتأخرة إله المعارك ومستشار آنو وانليل . . وهو رب صيد مثل نرگال، لذا نشاهد رايتيهما على عربات الملوك، ورمز اليه برأس حصان موضوع على كرسي وفوقه قوس وكذلك بعمود فوقه رأس أسد أو رأسي ثور ،(الأحمد ١٩٨٨ : ٣٤) . (شكل٣٧ , ٣٨)

وكانت زوجة الاله ننورتا هي الالهة (بابا) وتسمى (إلهة ذوي الرؤوس السود) وتسمى أيضاً (با أو) مشيدة الحقول والبساتين وتلقب بـ (العجلة) ، وكانت ثوغونياً ابنة الاله آن إله السماء، وتعتبر بشكل أساسي إلهة الشفاء ويرمز لَها بالكلب لأن لسان الكلب أو الكلبة كان يشفي الجروح عن طريق لعقها لوجود مواد مضادة للجراثيم في لعابه . . وسنجد أن الإله گولا في المثولوجيا البابلية هي التي ترث الالهة (باو) تماماً وتصبح ايضاً زوجة الاله ننورتا وكانت (باو) تعرف باسم آخر هو (نن - نيبور) اي (سيدة نفّر) ، وكانت (باو) تصور دائماً بتاجٍ أوزي شكل (٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢)

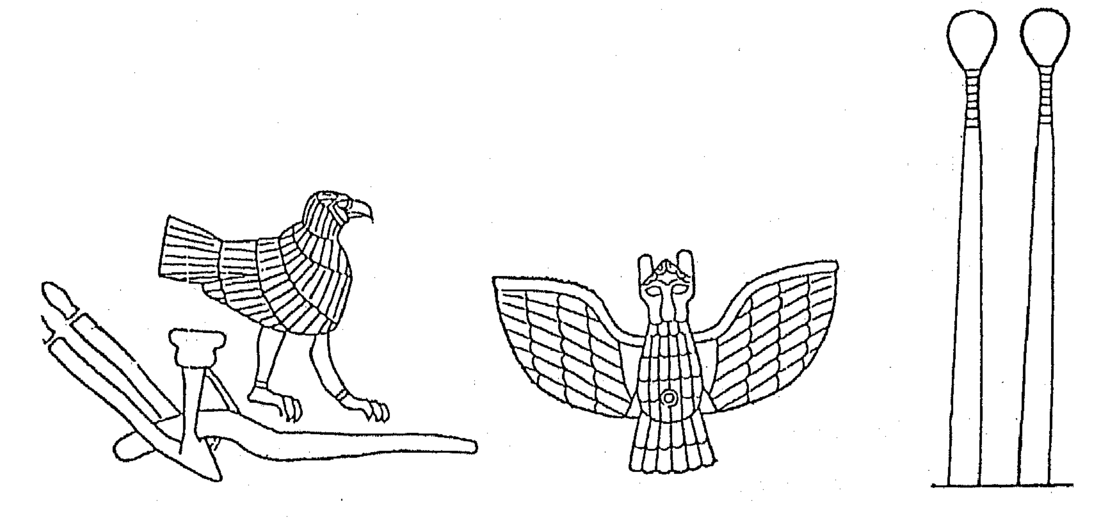



شكل (٣٧)

رمز الإله ننورتا

١. نهاية الألف الثاني ق.م ٢. القرن ١٢ ق.

رسم: علي محمد آل تاجر



شكل (٣٨)

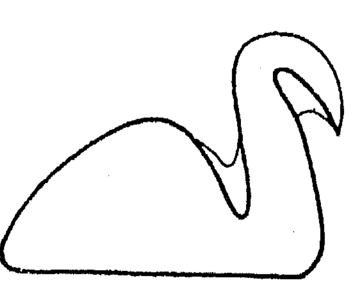
رموز الإله ننكرسو

١. بداية عصر مسيلم ٢. النصف الأول من الألف الثالث ق.م ٣. القرن ١٢ ق.م

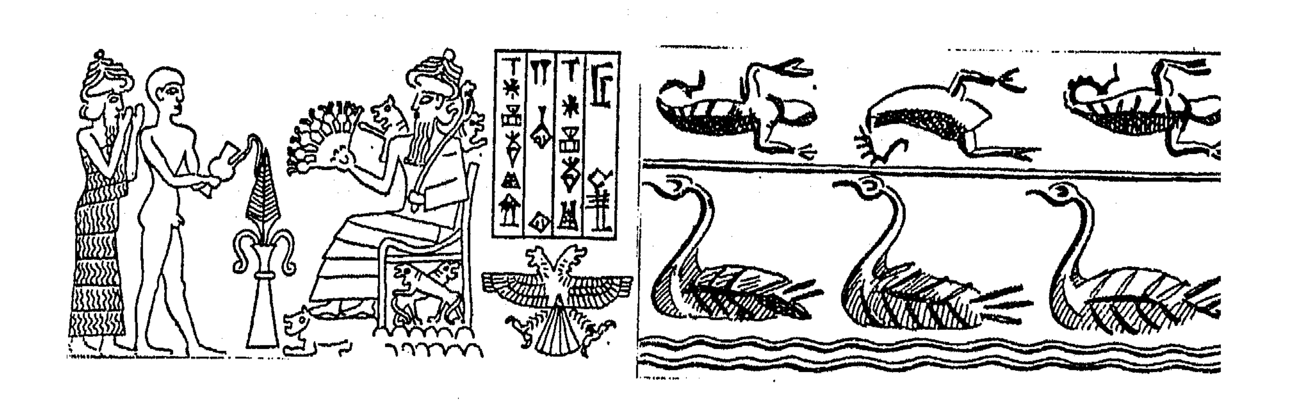
رسم: علي محمد آل تاجر



شكل (٣٩)
الإلهة باو بتاجٍ أوزي من أور



شكل (٤٠)
رمز الإلهة باو
رسم: علي محمد آل تاجر



شكل (٤١)
العقارب والأوزات رموز الإلهتين أشخارا وباو

شكل (٤٢)
الإلهة باو كإلهةٍ للطب والزراعة

أما الإله (ننكرسو) فهو (إله مدينة كرسو السومرية) وهي مدينة تابعة إلى دولة مدينة لكش، وكان هذا الإله يبدو وكأنه يمثل الاله العام ننورتا وأباه الاله المطلق إنليل في مدينة كرسو او لكش بأكملها، ويبدو أن معبده الأول اسمه (بيت البّجارا) وكان إله حرب ويحب تقديم الهدايا والنذور، وهناك نصٌ سومري مشهور مكتوب على اسطوانتين للملك لكش كوديا إلى الاله ننكرسو يخص بناء معبد له حيث يأتيه في الحلم ويبلغه هذا الأمر، ويبدو ننكرسو أيضاً إلهاً له علاقة بالطقس والمطَر والريح.

رمز له السومريون في عصر ميسلم (حوالي ٣٠٠٠ ق. م) بعمودين ذي رأسين مكورين ولهما رقبتين محزوزتين. شكل (٣٨) ورمز له في النصف الأول من الالف الثالث ق. م بطائر العاصفة امدوكد الذي له رأس أسد وجناحا نسر وظهرت تماثيل كثيرة تعبر عن هذا الطائر الذي يدل على القوة والريح معاً ويبدو أنه كان يصبح احياناً رمزاً لأخيه الاله ننورتا.

وكان للاله ننجرسو ولدان هما (كال اليم) وهو إله الحق وصد الشر وهو إله الملوكية أما الاله الآخر فهو (شول شاكا) إله السكائب والقرابين وهو إله الحياة أو الحيوية لارتباطه بالدم، الالهان يمثلان وظائف إنليلة عملية ويعبران عن ما يمكن أن يكون عليه أبناء إله مدينةٍ لها تقاليد دينية عريقة مثل لكش.

٤) إلها الفصول (الصيف والشتاء، ايمش وانتين):

هذان الإلهان المترافقان، او المتلازمان بتناوبهما، يعتبران إبنا الإله إنليل ويتحكمان بظهور فصلي الصيف والشتاء وتعاقبهما، ولا نعرف عنهما الكثير سوى اسطوة شهيرة للتنافس بينهما أمام إنليل سنذكرها في أساطير تنظيم الكون، لانها لا تقع ضمن حقل الاساطير الثيوغونية، وتنسب إلى ادب المناظرات (ادمندوگا) اكثر من كونها اسطورة بالمعنى الدقيق لمصطلح اسطورة.

٥) بابيل سالج: ومعنى اسمه بالسومرية (البوابة) وقد تكون له علاقة بالعالم الأسفل، وهو إله (لاراك) وزوج إلهة الشفاء (ننسينا) التي كانت تلقب بـ (سيدة لاراك).

أبناء نانا (آلهة الجيل الثاني من الشجرة الإنليلية) الشجرة القمرية

الأمر الملفت للانتباه ان الإله إنليل لم ينجب إلهةً انثى (وهذا تكريس آخر لذكوريته ومركزيته الذكورية خصوصاً أنه وريث آن مباشرة) . لكن الإله القمر كان في العصور القديمة وخصوصاً عصر النيوليت (الحجري الحديث) حيث اكتشاف الزراعة وزيادة دورالانثى، كان هذا الاله إلهاً انثوياً في سلوكه وطبيعته وكان يرتبط دائماً بالإلهة الانثى الام. وهو أحد أوجهها الطبيعية (انظر الماجدي ١٩٩٧) .

بعد الإنقلاب الذكوري في عصر الكالكوليت بدأ ضمّ معظم الحاشية الأنثوية الأُمومية إلى إله ذكري قوي كان الهواء أو السماء . . وهكذا نجد الآن ان إله القمر (نانا) ابن إنليل مباشرة (فهو إبن الذكر الاب العاصفة) وهو (أب الإله الشمس الساطع القوي الذكر أيضاً) وهكذا حُبس الاله القمريين نسلين ذكريين عتيين .

ولكنه برغم ذلك أنجب إلهتين مهمتين للغاية متعاكستين في الوظيفة وإحدهما تكمل الاخرى وهما (إنانا وارشكيگال) .

ومن المؤسف حقاً اننا لا نملك أساطير ثيوغونية تخص إله القمر وهو ينجب ابناءه ، ولكننا نعرف تماماً ان كل هذه الآلهة جاءت من زواج إله القمر مع الإلهة ننكال :

(١) إله الشمس (اوتو UTU) : ليست هناك اسطورة ثيوغونية تجسد كيفية ولادة إله الشمس من الالهة ننكال وزوجها إله القمر ، لكن الاعتقاد المثولوجي في أن القمر أب الشمس يأتي من فكرة أن الظلام كان أولاً هو الذي يسود العالم ومن هذا الظلام ظهر النور وانكشفت الاشياء وتميزت في نهار العالم، ولأن القمر يمثل اول نور داخل الظلام لذلك كان الضياء المطلق للشمس ابناً له .

واعتبر الاله الشمس في الفترة البابلية أباً للاله مردوخ فاسمه كان (امار - اوتو - ك) اي (ابن الشمس) .

وقد عرف الاله الشمس باللغة السومرية بعدة اسماء منها اوتو Utu، وببّار Babbar وگشرّ Gis -sir وزلام Zalam وزلمه Zalme وبُزر Buzer ومان Man وأمنا Amna ، ونرجّح أن يكون الإسمان الأخيران أصل الاله آمون المصري مثلما نعتقد أن اسمه الرئيسي أوتو هو مصدر الاله المصري الشمسي أتون (انظر عبد الرحمن ١٩٧٥ : ١٢). وكان من صفات الإله

اوتو بأنه (ذو اللحية اللازوردية) و(ذو الوجه المضيء) و(الوسيم) و (ذو اليد الطويلة) و(العالي) و(المكسو باللمحات) و (الثابت الذي لا يتغير).

ويوصف بأنه (مرشد كل الناس) وسيد الفأل والعرافة و(كاشف الاسرار) و(منظم ما في السموات والأرض)، (مقدر الخطوط) و(خالق الكون والجهات الاربعة) و(ملك العدالة) و(الناصر) وألقاب أخرى (انظر AGE 1938: 455).

ويعتقد أن (اوتو) كان يبحر في قارب كما وضحت ذلك علامة كتابة في المرحلة الصورية وبداية العصر الاكدي. أو أنه يشاهد في الكثير من الأختام الاسطوانية كشيخ كبير من بين جبلين ويقطع العالم العلوي سيراً على أقدام. وأحياناً على عربة نارية واحياناً كأنه طير وكان إله الشمس يسمى (اوتو - كشكالو) واعتبر الطير ويرجح أنّه الصقر (انظر King 1899: 31).

أما زوجة الاله اوتو فهي الالهة (آيّا Ayyaأو آيه Aya) وهي الهة سومرية تعني (المهيئة او التي تقع) ولها عدة اسماء سومرية هي (سود أكا وهذه تشير إلى نيزك أو شهاب، ننمولسي أي سيدة النجمة الحمراء، سوركا، زُب اوتو، اوتو بلبل وهو الأسماء الثلاث الأخيرة لا تعرف معانيها تماماً غير أن لها علاقة واضحة بالضوء (انظر Roberts 1972:14) وزوجة اسمها (سودنجا اي المشرقة) وهذا لقب أنانا، وكانت أنانا عندما تقرن بالاله (اوتو) كزوجة له لا أخت تعرف باسم (أنونيت)، وكانت (آية) توصف بأنها سيدة البلدان و(الهة السماء) و(ربة الفجر) و(الهة البشرية). . الخ.

الرقم السري للاله الشمس هو (٢٠).

وكان (اوتو) و(آية) يعبدان في مدينة سبار وعرف معبد اوتو بـ (اي - ببّار) ومعبد (آية) باسم (اي - ايدنّا) اي معبد الأحراش لأنها كانت بالأساس الهة للخضرة، وعبد اوتو أيضاً في مدينة (لارسا).

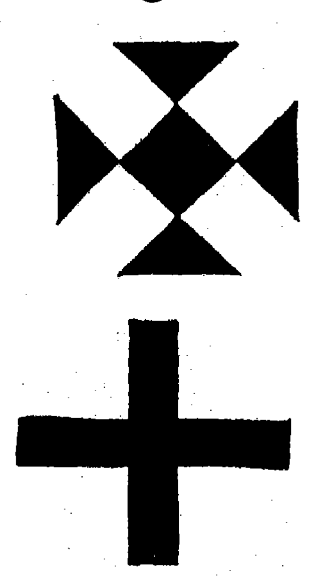
أما الرموز السومرية للاله الشمس فيمكن تتبع جذورها من أقدم العصور النيوليتية فقد ظهر رمز الصليب المالطي منذ عصر حسونةالنيوليتي (الزراعي شمال العراق) في حدود الألف الخامس ق. م ثم في ثقافة سامراء وثقافة حلف (موقع الاربجية) وظهرت على الكتف الأيسر ملونة بالأحمر لدمية طينية، وصار لها مدلول ديني واضح في عصر جمدة نصر.

اما العلامة الكتابية للشمس وكان شكلها الصوري الأول هو علامة صليب أو زائد (+) واخذت في الخط المسماري السومري علامة بار على شكل الصليب اما الرمز الثاني فهو علامة الدائرة التي ظهرت منذ عصر حسونة وقد ظهرت الدائرة والصليب المالطي على شكل وردة في عصر جمدت نصر (شكل ٤٣ , ٤٤) وتحولت الدائرة (القرص) الى شكل وردة الاقحوان وظهر هذا حوالي ٤٠٠٠ ق.م والرمز الثالث هو القرص فوق سارية الذي يعود الى عصر جمدت نصر والرمز الرابع هو النجمة على عقب رمح.

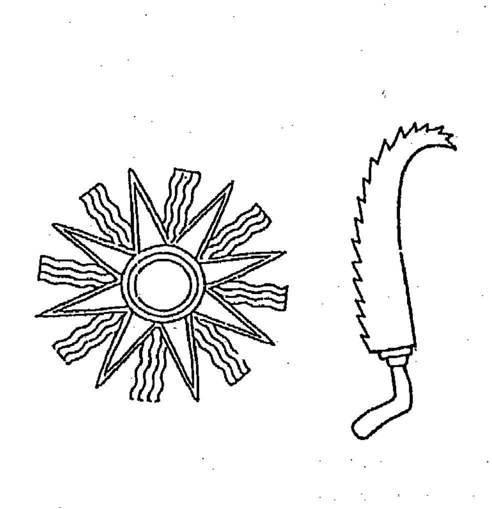
الخامس هو القرص ذو النجمة الرباعية المشعة الذي ظهر منذ عصر مسليم (٢٨٠٠ ق.م) وعبد في سلالة أور الأولى .

والرمز السادس هو السيف او المنشار المسنن الذي يدل علي أنه يقص الظلام.

والرمز السابع هو رمز المحراث في عصر فجر السلالات الأخير.



شكل (٤٣)
رموز إله الشمس نهاية الألف الخامس ق.م
رسم : علي محمد آل تاجر



شكل (٤٤)
رمزا الإله الشمس أوتو منذ العصر الأكدي وما بعده
رسم : علي محمد آل تاجر

أما الحيوانات التي كانت تمثل الشمس وتعبر عنه وترافقه في العصر السومري فهي الأسد ذو الرأس الآدمي، الاسد لوحده، النسر والصقر (اوتو كشگالو) والرجل العقرب الذي يظهر أمام قارب الاله الشمس على الاختام الاسطوانية منذ بداية عصر فجر السلالات الثالث.

وهكذا نرى أن إله الشمس أوتو السومري هيأ قاعدة كبيرة للاله السامي (شمش) الذي هو امتداد مضخم له ولدوره كما سنرى في الديانتين البابلية والآشورية بشكل خاص، فاذا كان ابن الشمس (مردوخ) قد احتل الاله الاعظم في بابل، فان الاله آشور الذي هو إله الافق اي الاله الشمس قد احتل الاله الاعظم في آشور.

٢) إلهة الزُهرة (إنانا) إلهة الحب والجمال

لم تشغل إلهةٌ او إله العصور القديمة مثلما فعلت ذلك إنانا إله الحب والجمال والمتعة الجنسية، الالهة اللعوب المغناج التي حيرت ألباب الآلهة والناس، اذ يندر أن يكون هناك إله رئيسي ابتداءاً من إله السماء (آن) وانتهاءً باله الرعي (دموزي) لم يرتبط بها بعلاقة حب وزواج، وهي غير ثابتة في هذه العلاقة دائماً فلها وجهان وجهٌ عاشق ولهان، ووجه غادرٌ مخاتل. وسنفرد مبحثاً كاملاً لأساطيرها فقط.

أننا نحذر من الخلط بين أن تكون إنانا الهةً شعبية للحب والجمال والمتعة، وبين أن يصفها البعض كإلهة سومرية أم. لأن في ذلك الكثير من المشكلات والأخطاء الفكرية والمثولوجية.

كان اسمها القديم (إينين) أو (إينونيت) ثم بدأ يكتب بطريقة اخرى (نن – أن – نا) و (إن– أنا) اي In - an - na وعندما يدمج صوتياً يصبح إنانا Ianna اي ملكة السماء. (شكل ٤٨)

أما اسم عشتار السامي فهو من أصل سومري أيضاً ذكرته المصادر الفلكية بعنوان (گيش دار) أو (گشدار) (GESH-DAR) ويعني Gesh العضو الذكري اما دار Dar فتعني شق او قطع وربما يدل علي العضو الانثوي، اي ان اسم كشدار تعني العضو الذكري والانثوي، وهذا ما نراه نحنُ، أما دوسن ومارغريت روثن فيريان ان هذا يعني أنها مقطوعةٌ من إله ذكري ربما يكون (آن) ويذكران أن الالهة افروديت (وهي شبيهة انانا) مقطوعة عن الاله السماوي اورانوس (انظر روثن ١٩٨٠ : ١١٢)و (Dessin 1957).

وهذا افتراض (خلف) كما يقولون في الفلسفة، فقد سحبت اسطورة أحدث على اسطورة قديمة، في حين ان اسم (كشتار) يحمل معنىً اعمق فهو يشي بالأزدواج الذكري الأنثوي للإلهة التي كانت دائماً إلهة حب وحرب فهي إلهة تستدعي المتناقضات، كما ان هناك تفسيرات جنسية عميقة لا مجال لذكرها الآن ناقشناها في مكان آخر (انظر الماجدي ١٩٩٥).

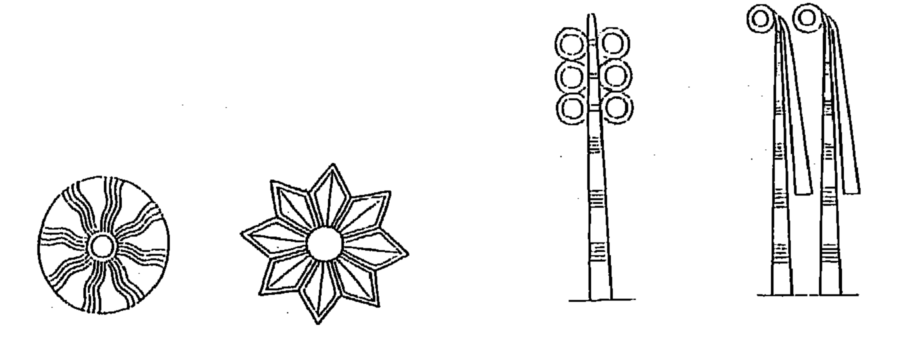
الرمز السريّ للإلهة إنانا هو (١٥) فهي نصف العدد السري ابيها الاله (نانا) القمر، ولكننا ندهش عندما نقسم رقم الاله الاعظم آن (٦٠) على رقم انانا وهي اول الهة انثى لها رقم رمزي فان الناتج يكون (٤). فهل هناك ما يشير في اعماق هذه المعادلة الى العرف الاسلامي بزواج الرجل من اربعة نساء.. ربما نعم !- وربما لا ! اي ان الذكر تكفيه أو تعادله أربع اناث !!

أما رموز الإله إنانا فمتعددة في العصر السومري، ففي عصر الوركاء جمده نصر اي في الألف الرابع ق.م كان رمزها عبارة عن قصبة مدببة ومحززة بثلاثة حزوز وعلى كل جانب منها ثلاث حلقات شكل (٤٠/ ١). وفي نفس العصر كان رمزها الشهير وهو عبارة عن قصبتين معقوفتين كل منهما بستة حزوز ولهما في رأسهما ذيلين من الحرير.. وهذا الرمز مأخوذ من قصبة الراعي الذي كان ملازماً للالهة انانا (شكل ٤٤/ ٢)

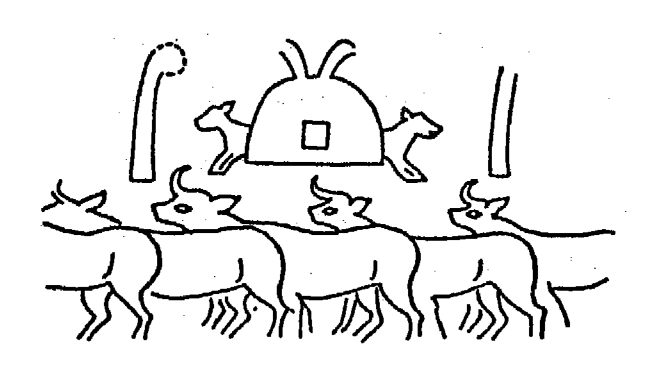
وفي العصور السومرية اللاحقة اخذت شكل زهرة الاقحوان الثمانية الأوراق والتي كانت تمثل شجرة الحياة وهو شكل هندسي (شكل ٤٤/ ٣) وربما تطور هذا الرمز في العصور الأكدية والبابلية والاشورية إلى النجمة الثمانية أو ذات الستة عشر ضلعاً ضمن دائرة، وهذا يدل على عشتار وليس على إنانا السومرية.

ويظهر رمز (الشمس المجنحة) أو (الصليب المجنّح) مبكراً في الآثار السومرية ليدلّ على (إنانا) وعلى الألوهية بشكل عام، وهو الرمز الذي صار فيما بعد يدلّ على الإله آشور (شكل ٤٩)

ويبدو أن جانبها الحربي لم يبرز بشكل واضح خلال العصر السومري بل كان الجانب العاطفي هو الأساس. فهي ربة الحب واللذة المجردة وكانت اختها (الوجه الاخر لها) ارشكيگال هي التي تمثل الوجه الحربي الأسفل المظلم لها.



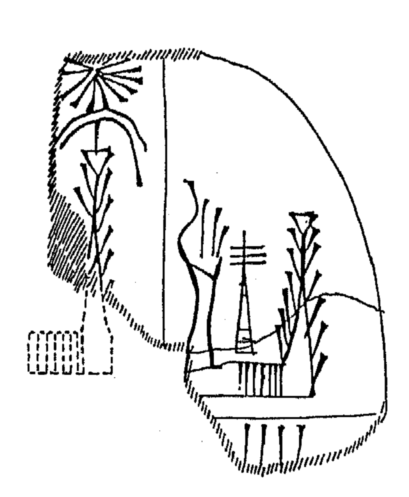
شكل (٤٥)
رموز الإلهة إنانا ١، ٢، ٣ الألف الثالث ق.م ٤. القرن ١٢ ق.م
رسم : علي محمد آل تاجر



شكل (٤٦)
قطيع ثيران وعجلان يخرجان من حظيرة يحيط بها رمزا الإلهة إنانا (إنين)
فجر العصر السومري

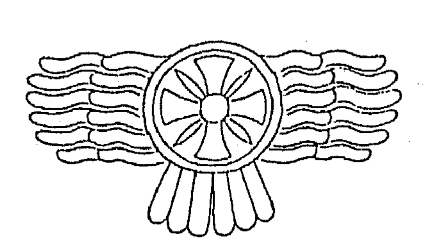


شكل (٤٧)
إنانا مع أسدها تظهر كآلهة حرب
وسلطة ماري (القرن ١٨ ق.م)



شكل (٤٨)
الرمزان (ان) و (إين)
فجر العصر السومري





شكل (٤٩)
رموز الإله آشور، الشمس المجنحة والصليب المجنّح، الذي كان يشير عند
السومريين لإنانا والآلهة بشكل عام
رسم: علي محمد آل تاجر

ورغم زيجاتها وعلاقاتها كانت توصف بالعذراء، وفي الوقت نفسه كانت تلعب دور الام والاخت والزوجة ، ولذلك نرى «هذه العلاقة بين الام العذراء التي ولدت ابنها دون نكاح، ثم تزوجته لتستعيد الى ذاتها قوتها الاخصابية التي غادرت شخصه في الخارج، هي التي تفسر اشارة النصوص الاسطورية الطقسية فيما بعد، الى الاله إبن على انه الابن الام الكبرى احياناً وزوجها أو حبيبها أحياناً أخرى، ورغم أن كل الآلهة الذكور في الثقافة الذكرية قد نشأوا عن الإله الابن، ثم اتخذو لانفسهم شخصيات مستقلة وارتفعوا نحو السماء ناكرين أصلهم الأرضي» (السواح ١٩٩٣ : ٢٦٨).

أما الحيوان الذي ارتبط بها فهو الأسد كونه يمثل الوجه القوي لها وغالباً ما تظهر واقفةً عليه (شكل ٤٧).

وتعتبر الوركاء مدينة الإلهة إنانا ففيها معبدها (اي – أنّا) الذي كان برقى إلى الألف الرابع قبل الميلاد، ويوصف هناك أيضاً معبد أبيها الإله آن حيث أصبحت زوجته (وهي ليست إبنته وليست زوجته ويسمى (المعبد الأبيض)، ويرجّح ان تكون هناك في طبقات أخرى من الوركاء معابد مزدوجة لها ولزوجها (دموزي) .

وقد حفل التراث الأدبي والديني السومري بأناشيد وصلوات خاصة بالإلهة إنانا، فضلاً عن أساطيرها الخاصة بها والتي سنفرد لها مبحثاً خاصاً . ولنتأمل في هذه القصيدة السومرية عن إنانا كاهنة السماء المقدسة :

«أقولُ مرحى ! لتلك المقدسة التي تظهر في السماء !

أقولُ مرحى ! لكاهنة السماء المقدسة !

أقولُ مرحى ! لإنانّا ، سيدة السماء العظيمة

أيتها المشعل المقدس، انت تملأين السماء بنورك!

أنت تجعلين النهار يتألق عند الفجر !

أقولُ مرحى لإنانا ، سيدة السماء العظيمة!

أيتها السيدة المرعبة في مجمع آلهة الأنونا! المتوجه بقرنين عظيمين،

أنت تملأين السماء والأرض بالنور

أقولُ مرحى ! لإنانا ابنة القمر البكر !

عظيمة ومهيبة ، ومشعة

أنت تسطعين بتألق في المساء

أنت تجعلين النهار يتألق عند الفجر

انت تحتلين موقعاً في السماء مثل الشمس والقمر ،

أعاجيبك معروفة فوق وتحت ،

لعظمة كاهنة السماء المقدسة ،

لك يا إنانا ، أغني ، ، ،

(الشوك ١٩٩٢ : ١١٧).

ونحنُ نرى أن (انانا) هي من أكثر الآلهة التي دارت حولها الأساطير سواء في سومر أو بابل أو غيرها من أساطير العالم القديم ، وقد اندمجت شخصيتها بالإلهة الأم وأصبحت رمزاً للألوهة المؤنثة ، كما أن صفاتها الحربية أو الشريرة لم تكن واضحة في العصور السومرية (وكانت اختها ارشكيگال تأخذ هذا الدور) لكن هذه الصفات اتضحت مع ظهور الأساطير الأكدية ثم البابلية واخذت كامل شكلها الحربي مع الأساطير الآشورية . وكان رمز الإله آشور ، كما أشرنا ، قد استخدم منذ أيام السومريين (كما ظهر في مسلة النصر لنرام سي) ليشير إلى الآلهة بشكل عام وليتطابق مع رمز الإلهة (أنانا) ويشير لها .

٣) إرشكيگال (إلهة العالم الأسفل)

تتحدث الأساطير القديمة عن إرشكيگال كإلهة من آلهة العالم الأعلى لكن (كور) وهو كائن عتيق من كائنات ووحوش العالم الأسفل ، اختطف الإلهة أرشكيگال من العالم الأعلى إلى العالم الأسفل ، حيث أصبحت هذه الالهة ملكة هذا العالم الاسفل ، وهناك أساطير للرلكائن (كور) مع الآلهة ويبدو أنه قتل على يد أحد الآلهة (ننورتا) . وربما ، على الأكثر ، (أنانا) التي تسمى (قاتلة كور) . وكلمة (أرش) كلمة أكدية تعني (سيدة أو ملكة) وتقابلها بالسومرية كلمة (نن) أو (كاشان) . ولكن اسم (أرشكيگال) الهة

العالم العظيم هي التي سادت منذ العصور السومرية، والمقصود بالعالم العظيم هو (العالم الأسفل) وهناك عدة ألقاب لهذه الإلهة هي (اللاتو، أركالا، لاز، ماميتم) واغلب هذه الألقاب أكدية. ولنتأمل في كلمة (اللاتو) التي هي مصدر الالهة العربية التي سادت منذ عصر الانباط وهي (اللات) وهناك ألقاب سومرية لها مثل (ابزيكرا، ننكردا) (انظر حنون ١٩٨٦ : ١٨٩).

ويبدو أن هناك كثير من الأساطير السومرية المفقودة حول حياة (أرشكيگال) وولادتها وأزواجها وأبنائها . . فعلى سبيل المثال انها عندما تذكر تحت لقب (ننكردا) كانت تعتبر إبنةً للاله إنكي وزوجةً للإله (ننازو)،

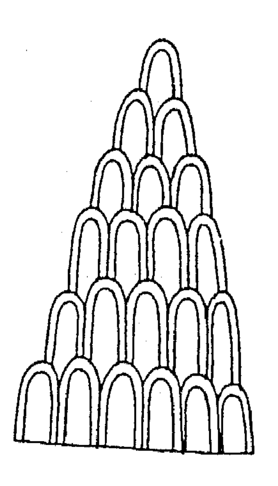
ولكننا في حقيقة الامر نعرف انها إبنة (نانا)، أما (ننازو) الذي هو زوج ارشكيگال عندما ادعت انانا في أسطورة نزولها إلى العالم الاسفل انها ذاهبةٌ إلى مأتمه.

إن الزوج الثابت والحقيقي لها هو الإله (نرگال) الذي (حسب الاساطير السومرية) ولد من إنليل وننليل بديلاً عن الإله القمر ليعيش في العالم الاسفل.

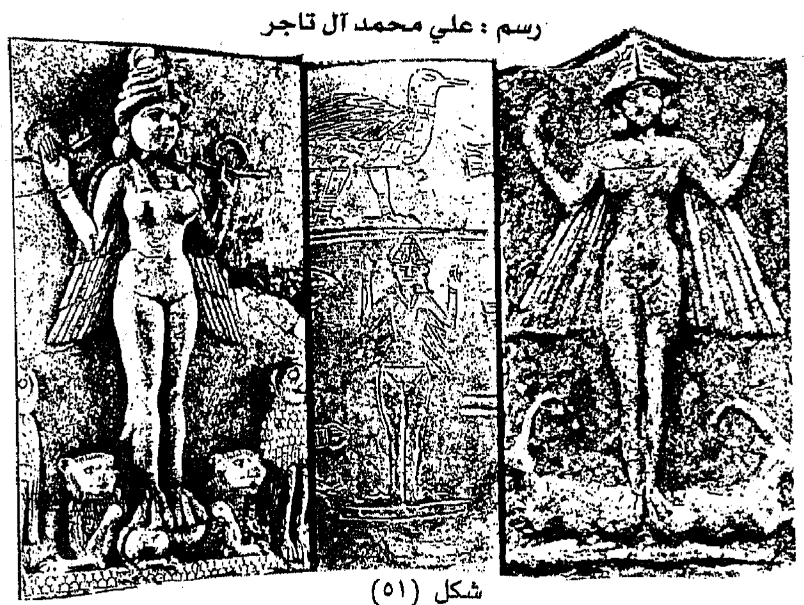
وكانت الإلهة أرشكيگال تُعبد اساساً في مدينة (كوثي) مع زوجها في معبده المسمى (إي - مسلام).

وللإلهين أبناءٌ يعدّون من آلهة العالم الاسفل، وهم على الأكثر ثلاثة سنذكرهم لاحقاً (ننازو، ننمتار، خيندرساك) ولكنهما محاطان بمجموعة كبيرة من الآلهة الثانوية التي تقوم بواجباتها المقررة لها في العالم الاسفل. وتعتبر هذه الآلهة الثانوية بمثابة الآلهة المسيطرة على عالم كبير من الشياطين والجن التي تسكن العالم الأسفل سنذكرها لاحقاً، إضافةً إلى جيوش من أرواح الموتى المصنفة حسب درجات دفنها ومالها من أبناء على وجه الأرض.

والعالم الأسفل السومري، ثم البابلي لاحقاً، لم يمثل ما اصطلح عليه بالجحيم بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة، بل هو عالمٌ له مواصفاته الخاصة، ولذلك لا نفضل مطلقاً إطلاق صفة الجحيم على هذا العالم لما يحمل الجحيم من مدولات اخرى. ولنلاحظ ان أسماء العالم الاسفل لا تدل على شيء اسمه الجحيم ومن هذه الأسماء السومرية حصراً هي (كي ماخ : الارض العظيمة) أو (كي گال : الأرض العظيمة) وأرلي، وقد استعمل



شكل (٥٠)
رمز العالم الأسفل
رسم : علي محمد آل تاجر



شكل (٥١)
إلهة مجنّحة واقفة على لبوتين
يعتقد أنهما أرشكيكال

مصطلح أبسو ليدل أحياناً على العالم السفلي والأرض الفسيحة (كي - گال دامال) وأرض اللاعودة (كرنوكي) والأرض الحصينة (كي باد) . . الخ

وتسكن الإلهة أرشكيگال في قصر عظيم يقع خلف الأسوار السبعة التي تحيط بالعالم الأسفل والتي لكل منها باب كبير، وهذا القصر مشيد بحجر اللازورد ويسمى بالسومرية (قصر العدالة (إيگال گينا) ، ويبدو أن هناك قصوراً صغيرة أخرى للملوك والكهان والآلهة الأخرى، أما جو العالم الاسفل فهو جو مليء بالغبار الذي يغطي كل شيء فيه وليس النار (كما هو حال الجحيم)، فالغبار الترابي هو جو العالم الاسفل ، مثلما الماء جو الأبسو والهواء جو الأرض .

ويرمز للعالم الأسفل بجبل يبدو كأنه مجموعة من الجبال الصغيرة (شكل ٥٠) أما رمز الإله نرگال فقد ظهر متأخراً على شكل كلب مجنّحٍ وهو يحمل هراوة افعوانية مزدوجة (شكل ٣٣) .

ونرى أن الصورة الخاصة بالإلهة أرشكيگال هي تلك الصورة التي تظهر فيها إمرأة مجنحة عارية تلبسُ تاجاً مقرناً وتمسك بيدها رمزيّ السلطة (العصا والحلقة) وتقف على لبوتين بجانبهما بومتين (دلالة الليل) وتحتهم رمز العالم الأسفل على شكل جبال صغيرة (شكل ٥١) .

(٤) نوموشدا : إله سومري ورد ذكره في قوائم أسماءالآلهة المكتشفة في فارا، وهو إله محلي لمدينة (كازالو) في اواسط بلاد بابل وابن إله القمر . ولم يعرف مجال عمله بعد (انظر اذزارد ١٩٨٧ :١٣٦) .

الجيل الثالث من الشجرة الانليلية

١. أبناء أوتو (الشمس)

للاله السومري أوتو ستة أولاد هم : (انظر عبد الرحمن ١٩٧٥ : ٥٥)

١ . بونينة BUNENE ويعتبر وزيراً له وسائق عربته .

٢ . خارHAR فيعتبر الهاً مسؤولاً عن الحيوانات البرية .

٣ . سيسكالSISIGAL يمثل العاصفة .

٤ . سموكان SUMUGAN يعتبر إله النبات والماشية والاخصاب والانتاج .

٥ . نكيجيناNIG -GI -NA ويسمى بالأكدية (كيتو KITTU) فيعد إبناً أو بنتاً لاله الشمس ويعبر عن الصدق والحق والعدالة .

٦ . مامو MAMO وهي الابنة الوحيدة للإله الشمس وهي الالهة الخاصة بالأحلام .

وهناك وزراءٌ وتابعون لإله الشمس هم

١ . نكسيسا (ميشارو) : وزير العدالة .

٢ . إن - اورو : حاكم مدينته أو وزير المدينة .

٣ . نكزيدا : وزير الحق .

٤ . نن اوكك : سيد او سيدة اليوم .

٥ . باب نون - نا : او الأمير العطيم (نديم إله الشمس) .

٦ . ستة قضاة

٧ . ستة عازفون

٨ . ستة خدم

٩ . ستة ضباط أو جنود

١٠ . حاجبان ، تاجران ، حلاق (مدير بلاط الاله الشمس) .

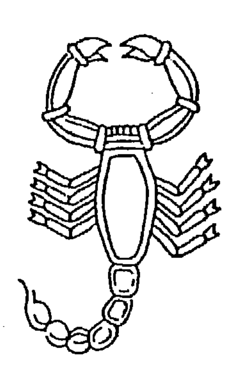
ولم تردنا اساطير ثيوغونية تخص هؤلاء .

٢. أبناء إنانا (الزهرة)

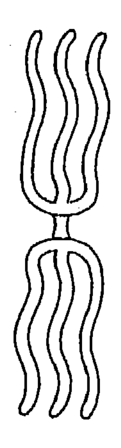
رغم تقلب عواطف انانا وارتباطها بالكثير من الآلهة ، إلاّ ان الشائع عنها ارتباطها بالاله (دموزي) ، وهنك أربعة ابناء لإنانا يظن أن أغلبهم جاء من دموزي وهم :

١ . أشخارا : وهي الهة الزواج ورمزها العقرب (شكل ٥٢) ويبدو ان هذه الإلهة تستعيد رمز الالهة الام في عصر النيوليت في ثقافة سامراء ، والعقرب تدل على الخصب والأمومة لانها عندما تنجب ابناءَها من بيوضها داخل جسدها فانهم يخرجون عن تمزيق ظهرها وبعدها تموت العقرب الام ليحيا ابناؤها ، وكان هذا يشير في نظر النيوليثيين إلى أقصى درجات الخصب والامومة .

وأشخارا مختصة بتنفيذ العهود المقطوعة أمام الآلهة وتسمى بسيدة القضاء والأضاحي . ولها ما يشاركها في صفات عشتار الحربية ، وهذا يتفق مع الإله شار ، وكذلك رمز أشخار الذي كان العقرب إضافة إلى أنها توصف بأنها أم السبعة أولاد (أبناء العقرب) ويعتقد أن هؤلاء الأبناء السبعة هم العفاريت السبعة الشريرة أو عفاريت سبتّو .



شكل (٥٢)
رمز الإلهة اشخارا (الألف الثاني ق.م)
رسم : علي محمد آل تاجر



شكل (٥٣)
رمز الإله الإله أدد (إشكر) النصف الثاني من الألف الثالث ق.م
رسم : علي محمد آل تاجر

٢ . شارا SHARA : وهو إله ينابيع السماء أي إله المطر

٢ . لولال LULAL ويسمى أيضاً لاتراك LATRAK

٣ . ننهار (ننخار) وهو إله الرعد والعواصف وتسمى زوجته (ننيجارا) الهة الزبدة والأجبان .

٤ . إشكر (ISHKAR) وهو الجذر السومري للاله (أدد)السامي الذي أخذ مركزاً مهماً في البانثيون الاكدي ثم البابلي، وهو إله المطر والعواصف والرياح وتحديداً إله البرق ولذلك رمز له في حدود النصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد بما يشبه الشوكة المزدوجة التي لكل من اطرافها ثلاثة إشارات برق، اي ستة بروق (شكل ٥٣) وهذا يشير إلى أن الرمز السري لهذا الاله اصبح (٦) وهو أصغر رقم سري او رمزي للآلهة السومرية .

وقد كان للاله (إشكر)زوجة نارية الطبيعة هي الالهة شالا (شلش)وتسمى (أم جرو) وتوصف بأنها إلهة النار.

وكان الإله (إشكر) يوصف بأنه (القفل الفضي القلب السماء) أي المسؤول عن غزارة الأمطار.

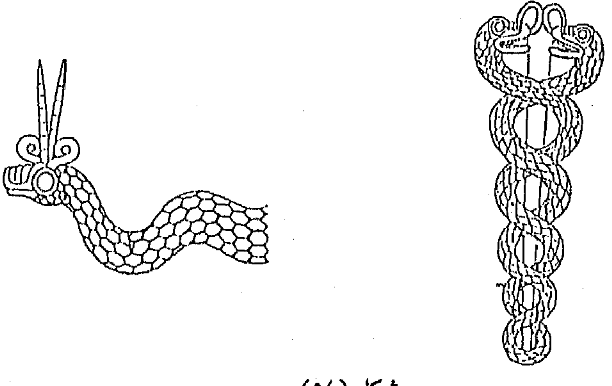
٣. أبناء أرشكيكال ونركال (آلهة العالم الأسفل)

هناك اختلافٌ كبيرٌ حول أبناء أرشكيگال الذين ربما أتو من عدة آلهة كما ذكرنا سابقاً، الاّ أن الإله الرئيس هو نرگال، وهناك من يعتبر أن كل شياطين العالم الأسفل وآلهته هم أبناء هذه الإلهة وزوجها أو أزواجها، وقد استطعنا التثبيت تماماً من وجود ثلاثة آلهة رئيسيين لارشكيگال ونرگال، أما البقية فهم آلهةٌ ثانويون ذوي طبيعة شيطانية أو عفاريت عاديين سنناقشهم فيما بعد، اما ابناؤهمافهم :

١- **ننازو** (السيد الطبيب): وقد ذكر سابقاً على أنه إبن إنليل وننليل، ولكنه يوصف بكثرة على أنه ابن أرشكيگال (وربما وصف كزوج لها) وقد سمّى جاكوبسن ننازو ونسله آلهة البساتين وهم جميعهم آلهة العالم السفلي. الاله ننازو إله مدينة (أينجر) وتقع بين لارسا وأور. وكذلك كان إله مدينة أشنونا (تل أسمر) في منطقة ديالى. ومعني اسمه العارف بالماء أو سيد العارفين بالماء، وهؤلاء هم الاطباء فهو إله الطب الذي يأتي بالمرتبة الثانية بعد الاله إنكي في هذا المجال. وتسمى زوجته (ننگيردا Ningirda) وهي إلهة نباتية من بنات آنكي. وقد انجبا الإله ننكشزيدا.

٢- **ننكشزيدا Ningishzida**: إبن ننازو وننگيردا، وإله مدينة كشباندا، ويوصف بأنه قوة العالم الآخر أو طاقة العالم الأسفل (طاقة ما تحت الأرض) حيث يسمى بـ (حامل العرش أو التاج). ويمتلك شجرةً الهية تسمى (الشجرة أو التاج). ويمتلك شجرة الهية تسمى (الشجرة المنتجة العظمى)، وربما كان هذا الاله إله (لفيفة جذور الشجرة). لقد كان في الاصل يجسد على شكل أفعى، ولذلك فرن رمزه يتضمن الأفعى والشجرة ويظهر على شكل إفعوانين ملتفين على غصن شجرة، وقد كان هذا الشكل جذر الرمز الطبي اليوناني للإله اسكلابيوس زوجة إله الطب وربما كان ننكشزيدا إله الطب بسبب كونه ابن (ننازو) إله الطب، وعندما كان ننكشزيدا يجسد على شكل إنسان، فهناك ثلاثة رؤوس تظهر من كتفية اثنان على شكل افعى والآخر على شكل انسان وكان يركب التنين. (شكل ٥٤ , ٥٥)

وللإله ننكشزيدا وزوجةاسمها نن – أزموا (Ninazimua) وتسمى (سيدة الغصن النامي المثمر) ومن زواجهما جاء ابنهما الاله دامو وهناك من يجعل زوجته گشتن أنا أخت الإله دموزي .



شكل (٥٤)

رمزا الإله ننكشزيدا ١. القرن ٢٢ ق.م ٢. القرن ١٢ ق.م

رسم : علي محمد آل تاجر



شكل (٥٥)

أمير لكش جوديا يظهر بين آلهة متوّجة من بينها ننكشزيدا وإله آخر لعله دموزي

٣- **دامو Damu** : ابن ننكشزيدا ونن - أزموا . وهو إله مدينة گرسو على الفرات (وهي غير گرسو لگش) قرب أور، ويبدو أنه يمثل بشكل خاص (إله النسغ الصاعد في النباتات اثناء الربيع) ومعنى اسمه (الطفل) وله خصائص تتناسب مع التقاليد النسائية في النواح والبحث عن الاله المفقود الذي يبقى عليلاً. أما شجرته فهي السدر، وتنتهي طقوسه بالعثور عليه خارج النهر. وهناك شبه كبير بين أساطيره وأساطير الإله دموزي. وقد يذكر هذا الإله كإله للشفاء بسبب ذكر أمه إلهة الشفاء (ننسينا) أو (ننسي أنّا) التي كانت تملك نواميس الطب (مي).

وكانت توصف بأنها (سيدة إيسن) وهذا معنى اسمها وقرينها الإله(بابيل سانج) وابنهما (دامو). وقد ارتقت الى مصاف (إنانا) وعبدت كإبنة (آن) واختلطت مع صفات الإلهة (بابا) كطبيبة لذوي الرؤوس السود.

٤- **خنلرسالك** : وهو إله ذو شكل تنيني، اطلق عليه الاكديون والبابليون اسم (إيشوم)، ويعتبر ابن ومستشار الإله نرگال وهو إله شرير وتسمى زوجته (ننمگك)، ويبدو أن شكله الارضي يمثل نهر دجلة، مثلما كان إله آخر اسمه (شبالا) يجسد نهر الفرات (انظر Tallqvist: 1938:13).

٥- **نمتار** : ومعني اسمه (مقرر المصير) ويوصف بأنه ابن أرشكيگال، وهو صاحب الستين مرض التي يطلقها على من يراد قتله أو اصابته بالمرض. فهو (إله الأمراض) وهو وزير أرشكيگال، وكان يوصف بأنه يحمل سيفاً مسلطاً على البشر، وقد وصف احياناً انه ابن الاله إنليل.

ولنمتار زوجة اسمها (خشبيشاگك) وكان يرد اسمها احيانا بصيغة (نمتارو) وهي الصيغة المؤنثة لاسم نمتار وتوصف بأن لها رأس حيوان مركب يدعى (كوريبو) ويداها ورجلاها تشبه أيدي وأرجل البشر.

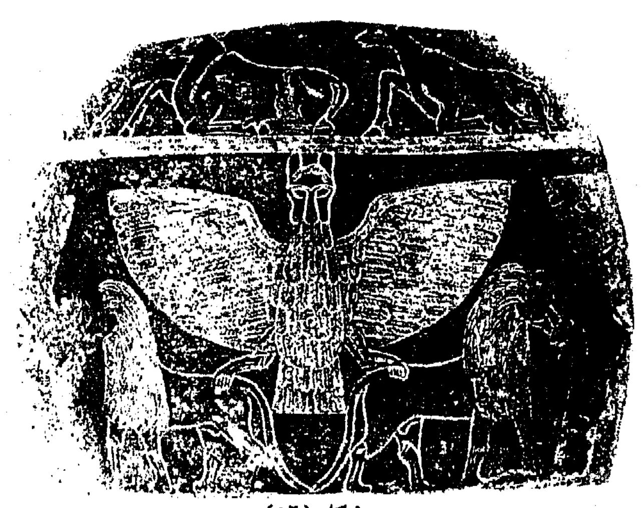
٦- **إمدوگد (زو)** وهي إلهة الريح القاسية، وكانت تعبد خوفاً منها ويرمز لها بنسر برأس أسد فارد الجناحين تركب على أيلين ذوي قرون مشجرة. ويظهرها بهذا الشكل نصب سومري مبكر ربما كان له علاقة بالخصب ايضاً (شكل ٥٦) وكان يطلق عليه ايضاً (زو) الذي اشتهر اكثر في العصر الاكدي ثم البابلي القديم وظهرت اسطورة ننجرسو الذي

يقهر)زو) أو (أنزو) .

٧- **إنميشّرا** : ويعني اسمه بالسومرية سيد كل القوى الإلهية (سيد النواميس) ويعتبر مع زوجته (ننشّرا) اسلاف الاله (آن) والاله (إنليل) ، ويعتقد ان آن اخذ منه السلطات واصبح سيد الكون فتوارى إنميشراً وزوجته الى العالم الأسفل . ولهذا الإله سبعة أولاد .







شكل (٥٦)

الالهة امدوكد (الهة الريح القاسية)

الشياطين والجن والكائنات الخرافية السومرية

يتكوّن عالم الأرواح السومرية (من غير الآلهة) من الشياطين والجن والكائنات الخرافية التي تسكن العوالم السفلى والعليا والأرضية حسب طبيعتها وهي كما يلي:

١. **الشياطين** : وهم سكنة العالم الأسفل ويصنفون كما يلي :

أ- الشياطين المنحدرون من أصل سماوي وهم (ذرية الاله أن وانليل)

ب- الشياطين المنحدرون من آلهة العالم الأسفل وهم أبناء كور وأبناء أنمي شرّاً (السبيتو) بعضهم صالح وبعضهم شرير.

ج- الشياطين المنحدرون من أصل بشري وهم ارواح او اشباح الموتى واسمهم بالسومرية (گدم Gidim) وهي مركبة من مقطعين وتعني مخلوقات الظلام، وقد حذف الحرف الأول منها فأصبحت فيما بعد (ادم Idim) أو (ايدمEdim)

د- الشياطين المركبة من تزاوج البشر والشياطين مثل ليليث وهي الشيطانة التي تطارد الرجال. وتسمى بالسومرية (لوليلا) التي معنى اسمها رجل الريح ومؤنثة (كسيكيل ليلا) ويعني فتاة الريح وهو (ليلو) و (ليلتو) التي هي ليليت باللغة العبرية، وتسمى أيضاً أردات ليلى وتشير إلى الليل.

هـ- كبار شياطين العالم الأسفل وهم :

١ – خمط تبال وهو ملاح العالم الاسفل

٢ . حجاب العالم الأسفل السبعة واشهرهم (نيدو) الذي له رأس اسد ويدي رجلي طائر.

٣ . الاوتوكو الاشرار السبعة .

٤ . شلاك: له جسم أسد منتصب على قدميه الخلفيتين.

٥ . ممو – لمنو: له رأسان أحدهما رأس أسد .

٦ . لوكال – سولا (بيتو ، آتو): معنى اسمه ملك الذهاب

٧ . أنمل: ورد في قصة گلگامش والعالم الأسفل السومرية. وله زوجة .

٨. هواوا: حارس الأرز (أصله حوري).

هـ. صغار شياطين العالم الأسفل وهو جيش من الشياطين يطلق عليهم عموماً إسم الـ (گالا) وهناك اختصاصات عند بعضهم لا مجال لذكرها الآن. وكان عفريت الگالا السومري لا يوصف بالشر دائماً لأن أحد ألقابه (أجليما) يذكر ضمن آلهة مدينة لكش.

و. الشياطين السبعة الشريرة: وهم أبناء الإله (آن) أنجبهم من الأرض (أرصتو) أكديا. وتتحدّث عنهم قصيدة سومرية بعنوان (لوگال بندا وحورّوم) وتنسبهم إلى أبيهم (آن) وإلى أمهم (أوراش) إلهة الأرض. وهم الذي يحاول أنكي وإله النار جبيل معرفة أصلهم (راجع أسطورةت جبيل) ويعتقد أنهم المقصودون في سلسلة التعويذات المعروفة باسم (عفاريت الأوتوكو الشريرة) واسمها السومري (أودوج) التي تستعمل للسحر الأسود.

أبناء اشخارا: وهم الأبناء السبعة للإلهة أشخارا التي توصف بالعقرب ،. ولا نستطيع الجزم بكونهم أخيار أم أشرار.

ز. دمّه: ن هي عفريته حمى الأطفال والمرضى الرضّع وتوصف بأنها إبنة آن وتقابلها بالأكدية عفريتة لامشتو. وتظهر كامرأة عارية الصدر ترضع من ثدييها قلباً وخنزيراً وتحمل في يديها مشطاً ومغزلاً مما يشير إلى أنوثتها.

ح. أساج: عفريت سومري معناه (الذي يضرب بالذراع) وتحول اسمه إلى (أساكّو) بالأكدية. وكان بالأصل عفريت الأوبئة والأمراض ثم أصبح عفريت - أعداء سومر - القاطن في الجبال. وكانت إنانا تشن تحملات ضده في الجبال(انظر أنانا وايبيخ) وكذلك (نينورتا) . وكان (أساكو) يأخذ شكل تابو للإله والملك ويبعث الآلام في جسم كل من يتجرأ على تدنيس قدسيته من البشر.

ط. بازوزو : عفريت له أربعة اجنحة ووجه ممزق وقرون طويلة ومخالف أسد وطائر جارح وشوكه عقرب. وله تعاويذ مضاده.

ي. سمانه: ذكر هذا العفريت في التعاويذ السومرية.



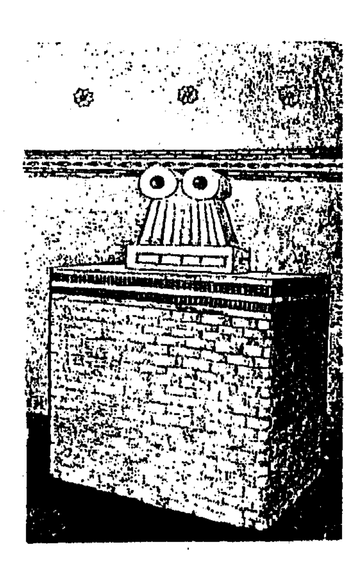

١. هواوا (خمبابا)
شيطان غابة الأرز



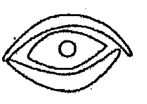
٢. شيطان سومري



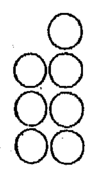
٣. شيطان سومري



٣. العين الحاسدة
مذبح في تل براك



رمز العين
الحاسدة



٤. رمز الشياطين
السبعة (سبيتو)

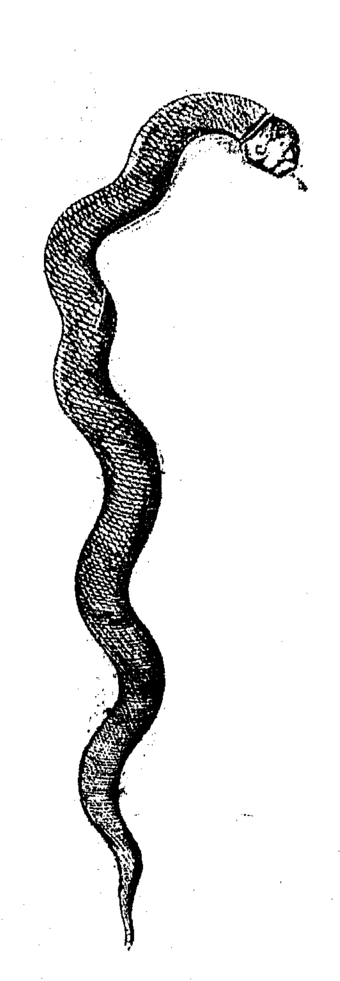
شكل (٥٧)
شياطين سومرية



١. لاما الأنثى (لاماسو)



٢. أدو الذكر : شيدو



٣. نيراح (نيراه) الثعبان
الحامي للبشر والحدود

شكل (٥٨)
الجن الطيبة (الآلهة الحامية)

ك . العين الشريرة أو الحاسدة والتي عبدت في تل براك كإلهة للعين في معبد العين

٢ . الجن الطيبة

ولايفوتنا هنا ذكر سريع للعفاريت او الجن الصالحة شكل (٥٨) وهي الآلهة الحامية للبشر والمدن والحدود :

أ. لاما : يقابلها بالأكدية (لاماسو) وهي عفريته صالحة تعمل لصالح الإنسان وتستعمل لحمايته من الأذى وهناك الجنية الحامية (عشتارو) .

ب . (شيدو) : وهو عفريت مجنح . ظهر مع لاما في صيغته الآشورية لاحقاً على شكل (الإنسان الثور المجنح) لحراسة المدن الآشورية وقصورها من الأرواح الشرية . وهناك الجني الحامي (إيلو) . ويعتبر الإله نيراح (نيراه) الذي هو ثعبان الإله ستران حامي حياة البشر ، وكان يوضع على أحجار الحدود .

٣ . الكائنات الخرافية

وهي كائنات لا نستطيع تمييزها في حقول الآلهة أو الجن ، بل هي مسوخٌ مركبة من اعضاء أجسام مختلفة وكان بعضها يرمز إلى إله معين وفينا يلي ذكر وأهم هذه الكائنات الخرافية السومرية (انظر اذزارد ١٩٨٧ : ١٢١) .

١ . أ. **الإنسان العقرب (جيرو تبلولو)** : وهو المصطلح السومري الذي انتقل للاكدية نفسه والمقصود به كائن اعلاه انسان وأسفله عقرب من الذيل التي تحمل ابرة اللدغ . ويحرس هذا الانسان (امرأة او رجلاً) جبل (ماشو) الاسطوري وقد عثر على اقدام صور له في القبور الملكية في اور (شكل)

٢ . **الإنسان السمكة (كولولو)** : وهو كائن اعلاه انسان واسفله سمكة وله ذيل على شكل حراشف السمكة ، وهو من الكائنات المائية التي تخضع لحكم انكي . وشاع لبسه عند كهنة الاله (إيا) في العصر الآشوري .

٣ . **الأنسان الثور** : وهو عبارة عن رجل عار له اظلاف وذيل ثور وكان يصور كثيراً على مشاهد الاختام الاسطوانية منذ فجر السلالات . ويرمز الى آلهة الخصب عامة ومنهم

دموزي . ويشير كذلك إلى إنكيدو .

٤ . **الإنسان الكلب المجنح** : وهو شعار الإلهة گولا الهة الطب

٥ . **الإنسان الطير** : ويطالعنا كثيراً على فنون النحت منذ أقدم العصور حتى العصر الأكدي ولكن معناه غير معروف .

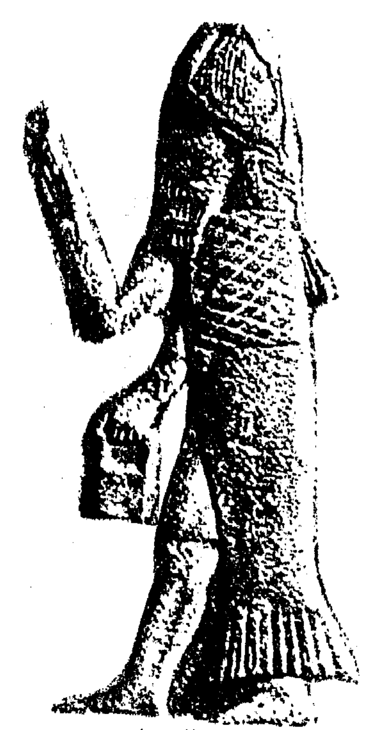
٦ . **الإنسان القارب** : وهو كائن مركب من قارب وجسم بشري ويبدوان وكأنهما جسم واحد وهو كائن معروف على مشاهد الاختام الاسطوانية في فجر عصر السلالات السومرية والعصر الاكدي . وقد يستبدل أحيانا الجسم البشري بجسم التنين .

٧ . **الماعز السمكة (سوخور – مش)** وهو كائن أعلاه ويداه على شكل ماعز واسفله على شكل سمكة مع ذيلها . وهو من الكائنات الخاضعة لحكم الاله انكي وصار رمزه بعد ذلك ، ويحمل انكي لقب (ماعز جبال الأبزو) وصار فيما بعد رمزاً للاله نابو) .

٨ . **موشخوشو** : واصل اسمه السومري (موش – خوش) وتعني التنين الأحمر الناري وهو كائن له رأس أفعى بقرنين وجسم مغطى بحراشف أفعى وقائمتان أماميتان على شكل مخالب أسد وقائمتان خلفيتان على شكل مخالب نسر ، وذيل عقرب ، وهو من الكائنات التي اوجدتها تيامت ، وصار فيما بعد شعار الاله مردوخ بعد أن تغلب عليه .



١. الإنسان العقرب
(جيروتب لولو)

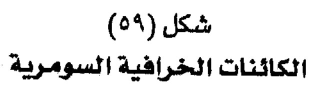


٢. الإنسان
السمكة (كولولو)

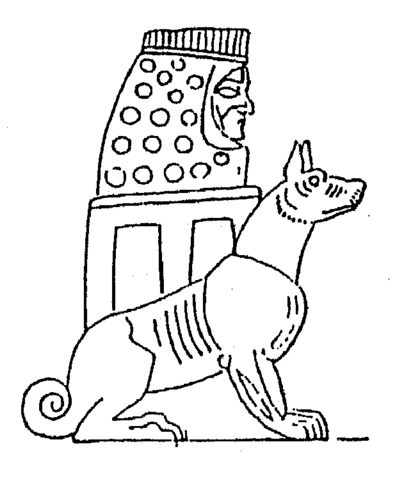


٣. الإنسان الثور
(كولولو)





شكل (٥٩)
الكائنات الخرافية السومرية



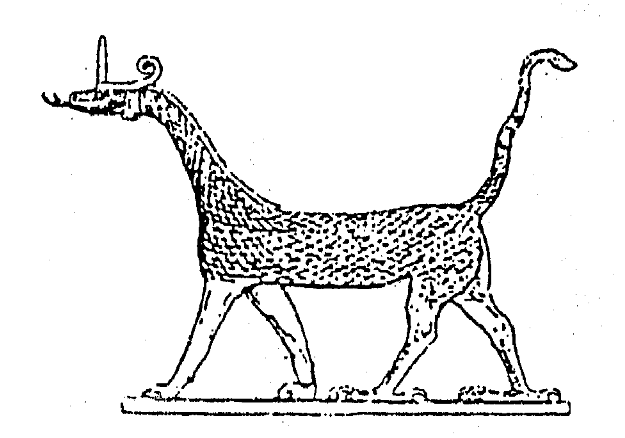
١. الإنسان الكلب
(كولا)



٢. الإنسان الطير



٧. الماعز السمكة
(سوخورمش)



٨. التنين (موش. خوش)
راس أفعى/ أقدام أمامية للأسد أقدام
خلفية للنسر/ ذيل عقرب

شياطين العالم الأسفل (العفاريت الشريرة)	الجن (العفاريت الطيبة)	الكائنات الخرافية
١. أبناء الآلهة العلويين أ. أبناء آن وأوراش: أودوج ب. أبناء إنليل ٢. أبناء الآلهة السفليين أ. أبناء كور ب. أبناء إنمي شرًا (السبيتو) ٣. كبار الشياطين أ. ملامح العالم الأسفل: خمط تبال ب. حجاب العالم الأسفل: نيدو جـ. حرّاس بوابات العالم الأسفل د. شياطين الأمراض (دمّه، لوليلا، كيسكيل ليلا، أساج، بزوزو، سمانه) ٤. صغار الشياطين : الكالا ٥. أرواح الموتى : كدم	١. ابناء آن الطيبون ٢. الآلهة الحامية أ. الأنثوية ١. لاما (لاماسو) ٢. عشتارو ب. الذكرية ١. أد (شيدو) ٢. إيلو، ٣. نيراح (نيراه)	١. الإنسان العقرب(جيروتبلولو) ٢. الإنسان السمكة (كولولو) ٣. الإنسان الثور (كَودلولو) ٤. الإنسان الكلب المجنح ٥. الإنسان الطير ٦. الإسنان القارب ٧. الماعز السمكة (سوخورمش) ٨. تنين الأفعى العقرب (موشخوشو)

جدول (٧)
تصنيف الشياطين والجن والكائنات الخرافية السومرية

٢. سلالة إنكي

الشجرة الإنكية الارضية المائية

إذا كانت الشجرة الانليلية تغطي فضاء الأرض وتتغلغل في أسفله ، وقد انتهينا من تفاصيلها، فإن سلالة إنكي أو شجرته تغطي الأرض نفسها ويتغلغل ماؤها فيها، وهي سبب ازدهار الحياة ونموها وتطورها، وهي ليست شجرة معقدة مثل الشجرة الإنليلة، بل هي شجرةٌ بسيطة لها أبٌ خالق واحدٌ اسمهُ إنكي الذي تتولد عنه آلهةٌ عديدة.

إن اتحاد الهواء والنار في سلالة إنليل اتحاد ذكوري كان قاعدةً لنسل بين إنليل وننليل نتج عنه هذا الحشد الهائل من الآلهة القوية ، التي أحكمت سيطرتها على الكون والفضاء والعالم الأسفل والأمراض والقوانين والانواء والفصول .

أما اتحاد إنكي (إله الماء في الأساس) مع ننكي (الهة الأرض والتراب) فقد كان اتحاداً ذكورياً انثوياً نتج عنه عدد هائل من الآلهة الحيّة الخضراء الطيبة التي تمثل قطاعات النبات والحيوان والانسان واسباب العمران والحضارة.

إن أهم اسطورة ثيوغونية (ولادة الآلهة) تخص الإله إنكي هي أسطورته مع الآلهة ننخرساج التي تمثل الأرض في دلمون، حيث ينتج عنها ولادة سلسلة من الآلهة التي سيكون لها شأن في الشجرة الإنكية.



شكل (٦٠)
الإله انكي جالس والمياه تتدفق من كتفيه ، والسمك يصعد عليها

أسطورة إنكي وننخرساج في دلمون

يظهر إله الماء والحكمة في الأساطير السومرية (إنكي) الهاً متوثباً لعوباً في صباه، على قدر ما يظهر من ذكاء وحكمة، فهو إله الماء الذي سيكون (رب الطب الاعلى) لأن الطب هو (معرفة الماء -آسو) أو (النظر في الماء) كما يدل اسم الطبيب (آسو) على العارف بالماء وهذا متأت من ارتباط الطب بالحياة ، فالماء هو عنصر الحياة الأول وهو أقدم مادة كانت سائدة قبل ظهور تفاصيل الكون، ومنه خلق الانسان.

الإله إنكي سليل أبسو (الاله المائي العتيق الذي لا نعرف عنه في اللاهوت والمثولوجيا السومرية أشياء كثيرة)، وتبدو لنا رفيقته ننخرساج ذات أصل جبلي الالهة الام ربة الأرض دائمة الصلة به، وتحكي لنا اسطورة إنكي وونخرساج في دلمون عمليات ثيوغونية متلاحقة حصلت في وقت مبكر من الخليقة والتكوين، حيث ما زالت الآلهة تعيش في الفردوس، وما زالت تتعثر بأخطائها أو خطاياها، وما زال الانسان غير مخلوق.

تبدأ الاسطورة بوصف (دلمون) واستقرار الاله انكي والالهة ننخرساج فيها وكيف ان هذه الأرض لم يكن فيها الشر والقبح والشيخوخة والمرض وكان كلّ شيء فيها موفراً الآ المياه العذبة اي المياه النهرية لتخصب أرضها ، فتطلب الآلهة من إنكي توفير هذا الماء. . ويقوم إنكي بدوره بالطلب من أوتو (اله الشمس) مساعدته لأن يخرج لتلك الارض ماءً عذباً، فيفعل ذلك وتنفجرُ الينابيع والآبار المليئة بالمياه العذبة وتستصلح أرض دلمون.

ثم يقوم الاله انكي بفتح مجاري المياه ويملؤها بماء قضيبه :

انكي الحاذق أمام نيتتو (أم البلاد)

ملأ بماء قضيبه المجاري جمعاء

وبماء منيه الغزير، أغرق منابت القصب ،

ممزقاً بقضيبه الكساء الذي كان يستر حضن الأرض!

ثم اعلن بعد ذلك : لا أحد غيري

يجتاز هذا الهور!

لا أحد غيري يجتاز الهور، قال انكي مقسماً باسم آن

ومن أجل التي إضطجعت في الهور

وتمددت في الهور

من أجل دامكال - نونا خصص إنكي منيه

وسكبه في رحم ننخرساج ، ،

(الشواف ١٩٩٥ : ٢٩)

وبعد تسعة أيام تعادل تسعة شهور، ولدت ننخرساج بسهولة ودون ألم (كالزيت الناعم) الإلهة ننسار (سيدة الخضار والنباتات التي تؤكل). وعندما تكبر ننسار ويراها أبوها (إنكي) تتنزه على طول الهور يعجب بها ويضاجعها، ومن هنا تبدأ (خطايا انكي) حيث يتزوج ابنته وينجب منها (ننمو) (سيدة النباتات ذات الألياف) وتتكرر الحادثة مع حفيدته الحرام لينجب منها (أُتّو) Uttu الهة النسيج ، وهنا تتدخل الإلهة ننخرساج زوجته وتحذر أتّو وتقول لها بأن لا تستجيب لإغراءات آنكي اذا لم يجلب لها الفاكهة هدية، فيجلبها لها وتبدو سلسلة الآلهة المنجبة من إنكي (النبات الاخضر ، النبات الليفي، الاصباغ ، النسيج) سلسلة منطقية لتحولات الكثير من النباتات بعامة من الخضراء حيث تبقى الالياف وتعزل الاصباغ ويصنع بعد ذلك من الالياف النسيج وكل ذلك بفاعلية إنكي الذي هو الماء.

وأخيراً يضاجع (إنكي) الالهة (أتّو) فينجب منها أو من منيه (الذي تجمعه ننخرساج من حضن أُتّو، الذي تنشرهُ على الأرض) تنجب ثمانية أنواع من النباتات التي يقرر إنكي أن يعطيها اسماءً فيقوم وزيره (ايسمود) بقطع جزء من كل نبته، وعندما يتذوقها انكي يطلق على كل واحدة اسماً، ومنح الاسم هنا مباركة للنبات أوَ خلق جديد له أي منحه صفات خاصة به، وهذه النباتات هي بمثابة آلهة نباتية محرمة، وسنقدم تحليلاً مفصلاً لها (في الجَدول).

وهكذا كان هذا العمل الطائش لإنكي عندما أكل من هذه النباتات المحرمة مدعاةً لغضب ننخرساج ومغادرتها المدنية بعد أن حوّلت عنه نظرها المحيي وأصبح انكي مهدداً بالموت، وعند ذاك حزن مجمع الآلهة، لكن الثعلب ذهب الى إنليل وطلب منه مكافأة مقابل ان يستطيع اقناع ننخرساج بالعودة، فوعده إنليل ان يزرع له شجرة (كشكانو) وهي شجرة انكي المقدسة وان يصبح مشهوراً.

وينجح الثعلب باقناع ننخرساج وعودتها إلى إنكي الذي أصبح مريضاً بثمانية امراض بسبب أكله من النباتات السابقة المحرمة السامة وتبدأ بفصحه وتسأله ما الذي يؤلمه فيعدد لها ثماني مناطق هي (الرأس، والشعر، الانف، الفم، الحنجرة، الذراع، الضلع، المتون) فتقوم الالهة ننخرساج بخلق ثماني آلهة لكل مرض في الاعضاء السابقة (انظر جدول) وهكذا يشفى الاله انكي من أمراضه ثم يقوم بتقرير مصير هذه الآلهة الثمانية لمهمات أخرى بالإضافة إلى دورها الطبي او العلاجي . .

بعد أن اعدنا ترتيب النباتات المحرمة والاعضاء المصابة والآلهة المشافية والمصير التي آلت اليه كما في جدول ( ) يمكننا استنتاج الحقائق التالية :

النباتات المحرّمة السامة التي أكلها إنكي	أعضاء إنكي التي أصيبت بالمرض بعد أكلها	الآلهة المشافية التي خلقتها ننخرساج لشفاء تلك الأمراض	المصير الذي قرره إنكي للآلهة المشافية بعد شفائه
١. النبتة المتشجرة	الرأس	آبا – أو (آبو)	ملك أو إله النباتات
٢. النبتة الحلو (العسل)	الشعر/ الفك/ الورك	ننسيكلا ، ننتول	إلهة (ماكان) عُمان والإلهة الحامية لدلمون
٣. نبتة الطريق	الأنف/ السن	ننكيري ، ننسوتو	زوجة ننازو
٤. نبتة الماء (أنومون)	الفم	ننكاسي	إلهة الشراب(الإلهة التي تشبع شهوة القلب)
٥. نبتة الشوك	الحنجرة	نازي	زوجة ننداراً
٦. نبتة الكبر (ذات الأزرار)	الذراع	آزيموا	زوجة ننگشسزيدا
٧. نبتة الـ	الضلع	ننتي (الإلهة التي تحيي، حواء)	إلهة الشهور
٨. نبتة القاسيا (أكاسيا) الأمخارو	المتون	إنشا أج، إينشاج (إنزاك)	إله دلمون

جدول (٨) ثيوغونيا انكي وننخرساج في دلمون

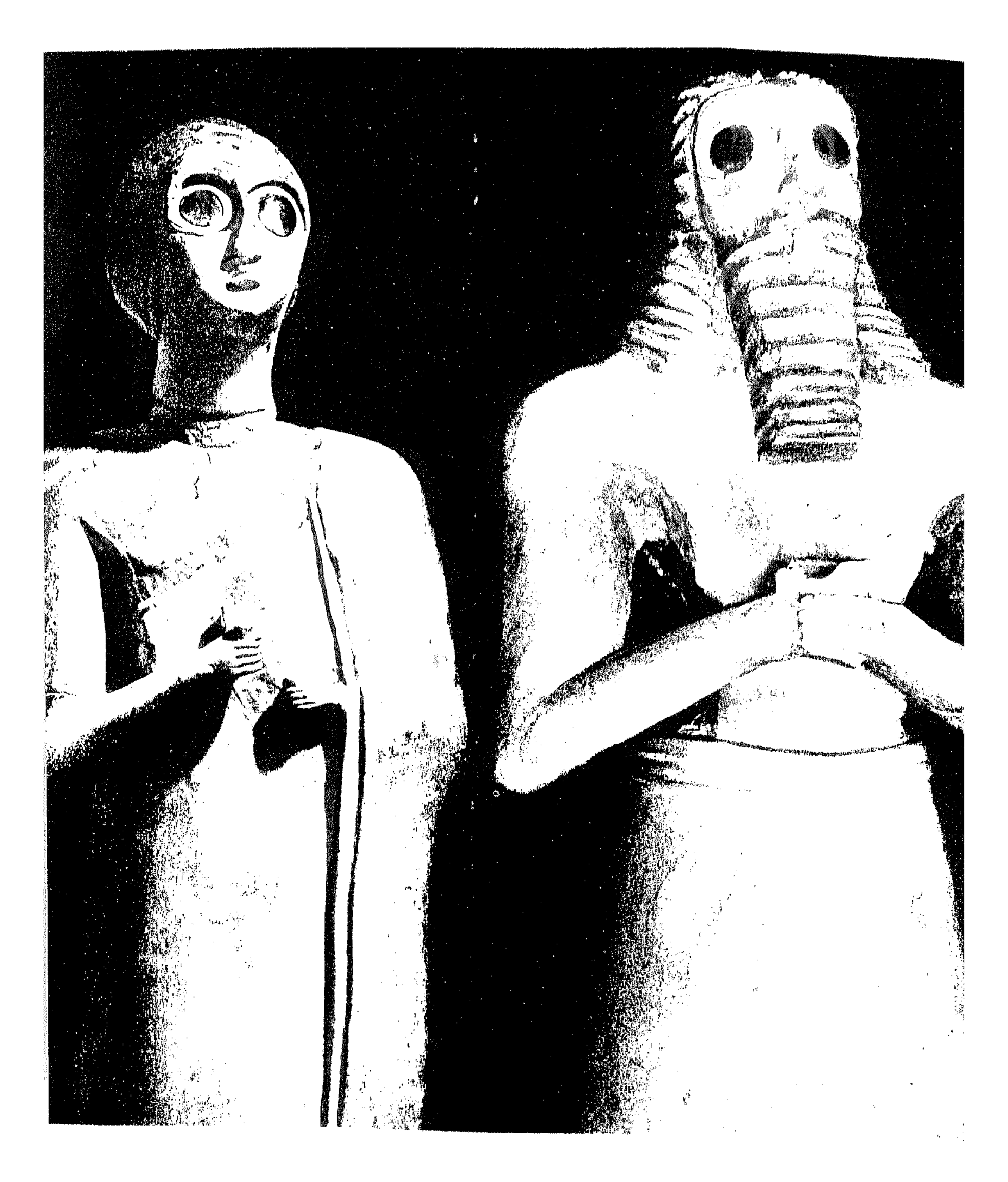
ملاحظة : بعض الاختلافات في الاسماء ، والاعضاء متأتية من اختلافات في الترجمة.

١) هناك ايقاع مشترك بين كل مفردة من مفردات الحقول الأربعة للجدول فالمفردة الاولى وهي أكل إنكي للنبتة المتشجرة وتشير هذه النبتة إلى الرأس لأنه مرض في رأسه حيث أن التشجر يبدو لنا مثل رأس هذه النبتة التي يمكن ان تكون نخلة أو صنوبرة أو غير ذلك، ولذلك نجد أن الاله المشافي هو إله ذكر يمثل رأس أو أعلى النبات والكائن فلذلك اصبح مصيره «إله النباتات وملكها». إن الإله (أبا - أو Aba - au) ويسمى (آبو) هو أقدمُ إله يعني بالنباتات والحشائش والخضرة شكل (٦١) ويرى الباحثون أن الاله آبو يرتبط بالحياة النباتية والقطعان والماشية ويشير إلى خصب الحقول وتكاثر الناس والماشية عن طريق (الزواج المقدس) مع الالهة وهذا الزواج يحصل عادة في الربيع ويشكل الجزء الرئيس من احتفالات رأس السنة السومرية.

وقد ذهب باحثون إلى مدى ابعد حيث اعتبروه الشكل الآخر أو الاسم الآخر لدموزي إله الحظائر والرعي. أو أن دموزي له شكلان نباتي هو آبو وحيواني وهو دموزي إله الحظائر، ويمكن أن يكون هذا حلاً معقولاً ولكننا نصطادم بتلك النظرية المتماسكة التي يقدمها جاكوبسن في كتابه (نحو تصور لتموز ومدخل لتاريخ وتراث وادي الرفدين) (انظر Jacobsen1970) حين يرى أن دموزي يمثل الطاقة او القوة الكامنة في كل أشكال الحياة ويرى ان شكله النباتي يتمثل في الاله (دموزي أشموگال أنّا) وهو الاله المحفز على تلقيح النخيل والنبات بعامة.

المهم في الأمر ان الاله (آبو) حظي باحترام شديد وتقديس خاص في مملكة أشنونا (في منطقةديالى) حيث عثر في تل اسمر على مجموعة كبيرة من التماثيل بينها تمثالان كبيران للإلهين (آبو وزوجته التي لا نعرف اسمها) ولكن مما يثير الانتباه ان قاعدة تمثال الزوجة تُظهر قدماً لاله آخر يعتقد انه ابنهما وبذلك يشكل الاله آبو وزوجته وابنه ثالوثاً الهياً فريداً لا بد ان يأتي الوقت لإظهار النصوص الخاصة بأدوراهم في المناطق الشمالية السومرية. ويرجع تاريخ هذه التماثيل الى النصف الأول من الألف الثالث قبل الميلاد.

٢) ان النبتة الثانية هي النبتة الحلوة (نبتةالعسل) التي يبدو أنها أثرت مرضياً على الفك (لا أرجح الشعر ولا الورك) فيبدو أن الإلهة التي خلقت من أجلها هي ننسيگلا التي ترد على أنها إلهة مكان وإلهة دلمون، وفكرة أنها الهة حامية لمدينة او مكان لا يعفيها من وظيفة نوعية أخرى ما زلنا نجهلها الى هذا الوقت، رغم أن هناك ما يوحي بارتباط هذه



شكل (٦١)

الإله آبو وزوجته

الإلهة بالماء العذب لانها هي التي طلبت منه أن يخرج لها الماء العذب (ماء اللج) من الأعماق ويغمر أرض دلمون ففعل ذلك بمساعدة الإله (أوتو) ويرى جيوفري بيبي ان وجود ينابيع عذبة وخاصة قرب معبد باربار في دلمون حيث تنبعث المياه العذبة للبحر السفلي للعالم الى السطح ولربما كان هذا النبع بالتحديد هو النبع الذي جعله إنكي(إله اللج) يتدفق عالياً في دلمون، حسب وصية الالهة ننسكلا ، ولربما كان الينبوع هو سبب وجود المعبد هنا على الاطلاق ، ولربما كان بئراً للدعوات (انظر بيبي ١٩٨ : ٣٥٢) .

٣) أما النبتة الثالثة نبتة الطريق فقد ادت إلى مرض في الأنف أو السن ويبدو أن احد الالهتين (ننكيري) أو (ننسوتو) قد خصصت لعلاج هذا المرض وهي التي اصبحت فيما بعد زوجة لاله الطب ننازو وسميت (ننغيردا)

٤) نبتة الماء (آنومون) أمرضت الفم ، وخلقت الالهة (ننكاسي) وهي الهة الكأس، أي الهة الخمر والشراب التي تشبع شهوة القلب لتعالج مرض الفم، أو حاجة الفم إلى الشراب والخمرة.

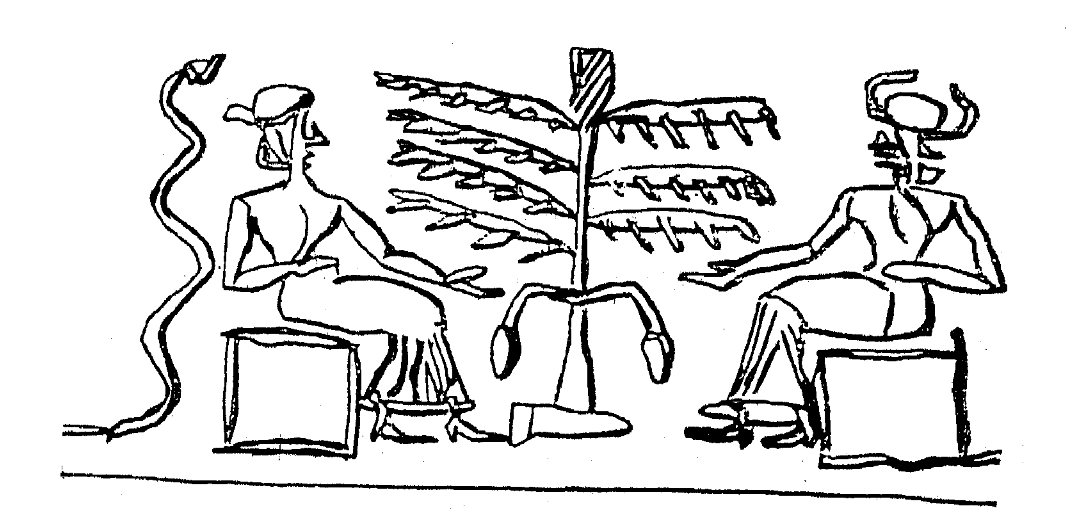
٥) نبتة الشوك أمرضت الحنجرة التي خلقت لها الإلهة نازي التي يعتقد أنها الإلهة نانشة الهة السمك ومفسرة الأحلام لأن زوجها هو الإله نندرارا .

٦) النبتة ذات الأزرار (الكبر) التي أمرضت الذراع وخلقت لها الإله ، نن اوزموا، زوجة الإله ننجشزيدا الذي نظن ان له أهمية كبيرة جداً وقديمة جداً في المثولوجيا السومرية، ويرتبط اسمه بالاله دموزي وهو حامل التاج وسيد الشجرة الطبية ويمثله ثعبانان ملتفان على هذه الشجرة. وهذه الالهة هي ام الاله (دامو) الطفل الذي يصعد كنسغ في سيقان النباتات وله اساطير تشبه اساطير دموزي .

وربما كنت هذه الالهة (نن - اوزموا) هي مصدر الأفعى في القصة التوراتية، لانها زوجة ثعبان هو ننكشزيدا .

٧) النبتة السابعة ما زالت مجهولة الاسم ولكنها تسبب مرضاً للضلع واسمها (ننتي)، ويبني صموئيل نوح كريمر (وقبله الباحث المسماري الشهير الأب شايل) فرضية مهمة حول هذه القضية، يرى أن الكلمة السومرية (تي Ti) تعني معنيين هما (الضلع) و(الحياة أو يحيي) وبذلك يكون معني (ننتي) سيدة الضلع أو السيدة التي تحيي (حواء) ،

ولأن هذا كله يحصل في الجنّة السومرية (دلمون) فيعقد كريمر صلة بين حواء وخلقها من الضلع في الرواية التوراتية وبين ما يسميه بهذا التطابق عن طريق التوررية والتلاعب بالألفاظ (انظر كريمر ب. ت : ٢٤٣).



شكل (٦٢)
عناصر الفردوس التوراتي في رقيم سومري

ونحن نميل لهذه الفكرة إذا أخذنا بنظر الاعتبار أن هناك حادثة تشكل خلفية آدم وحواء التوراتية، وهي تناول الثمر اوا لنبات المحّرم. وهو ما فعله إنكي وما فعله آدم وحواء.

اما مصير الالهة ننتي أو (حواد) فإنها اصبحت الهة للشهور وقد يبدو الأمر محيراً ولكننا لو أحصينا عدد الأضلاع في كل جهة من جهات القفص الصدري لوجدناه (١٢) وهو عدد الشهور في السنة الواحدة.

٨) اما نبتة القاسيا (الأكاسيا) وتسمى أيضاً الآمخارو وتصيبُ أكتاف أو متون إنكي

فيخلق لمرضها الإله إنشاج (إنزاك) الذي هو إله دلمون وربما كان هو زوج ننسكيلا وله معابد كثيرة في دلمون.

وإنه لما يثير في هذه الأسطورة تسلسلها ومنطقها الخفي، فأول إله ذكر وفي مملكة سومرية شمالية وآخرها إله ذكر وفي مملكة سومرية جنوبية وكأن جسد انكي من رأسه لغاية أكتافه موزعٌ على أرض سومر . . وخلقت منه ولأجله هذه الآلهة.

ولا شك أن هذه الاسطورة تذكرّ بالكثير مما في قصة التكوين التوراتية لو أمعنا في المقارنات دون أن نتخذ من التطابق الحرفي سبيلاً، فهناك رموزٌ في القصتين تتقافزُ هنا وهناك ويتخذ كل منهما له طريقةً في الظهور والمعالجة.

o

وبالرغم من اننا نعتبر الأُسطورة السابقة أهم اسطورة ثيوغونية إنكية، الاّ أن هذا لا يعني عدم وجود اساطير أخرى (ما زالت غير مكتشفة) توضح كيفية ولادة ابناء إنكي الآخرين. ولكننا عموماً بسب ذلك سنقسم أبناء إنكي الى ثمانية أصناف أو أنواع وهي كما يلي :

١ . الالهان عديما الجنس (المخنثان): اللذان بعث بهما الى العالم الاسفل لإنقاذ الإلهة إنانا عندما قتلتها هناك اختها ارشكيگال وهما (كوركالا، كولاتور) الالهان الوحيدان اللذان خلقهما إنكي من وسخ أظافره وبعث بهما إلى العالم الأسفل، إذ ليس هناك آلهة مخصصة للعالم الاسفل من أبناء إنكي حصراً، ربما ظهرت منه بنات تزوجن من آلهة العالم الاسفل، وهذا حصل تماماً، لكن إنكي لا يملك نسلاً اختصّ بأمر من امور العالم الأسفل كأساس لوظيفته (وما حصل مع دموزي وكشتن أنّا امرٌ له ضرورات اخرى سنأتي عليهما).

وعندما ينزل كوركالا وكولاتور فإنهما يحملان ماء الحياة. وطعام الحياة وهو من صنع إنكي ليعيدا به الحياة للإلهة إنانا .

٢ . آلهة المياه : وهي الآلهة التي اختصت بالمياه بكل أنواعها ولعل أهمها هو الإله دوزي – أبسو.

١ . دموزي – أبسو وهو الابن البار لمياه الاعماق أو لنقل انه الابن المرتفع من مياه الاعماق والذي يمثل المياه العذبة التي تسقي النباتات والحيوانات ، وهذا الإله هوا له مدينة كينيرشا في منطقة لكش .

ونحنُ نرى ان هذا الاله ليس هو الاله دموزي الذي دارت حوله الاساطير أو أنه أحد أشكاله المرتبطة حصراً بالمياه، وهناك من يرى أنه القوة الكامنة وراء الخصب والحياة المتجددة في المستنقعات . ولأن الرحم يمثل الاعماق التي يرقد في مياهها الجنين، فأن هذا الاله كان يعبر عنه أحيانا كإله محرك للأجنة في الأرحام . أي إله مياه الرحم العميقة .

ويرى اذزارد بأن دموزي أبسو هو « إلهة من آلهة محيط مدينة لكش والهة مدينة كنيرشا . وهذه الإلهة التي اتضح تأنيثها لا علاقة لها البتة مع دموزي، على عكس ما كان يعتقد سابقاً، وكما يشير الاسم فهي ترتبط بإله المحيطات العذبة (أبسو) وقد ورد اسمها في هذا السياق في قوائم اسماء الآلهة وفقدت أهميتها بعد العصر البابلي القديم لتضاؤل دور مدينة لكش السياسي » ، (اذزارد ١٩٨٧ : ٩٨).

٢ . سيرار : إله البحر وهو تحديداً إله الخليج العربي .

٣ . أنبيللو : وهو الاله العارف بشؤون الانهار ويمثل الاله المسؤول عن نهري دجلة والفرات، ويظهر في الثيوغونيا الإنليليلة أحد ابناء إنليل في العالم الأسفل . ويمكن ان يشير هذا إلى أخذ الأنهار مياهها من مناطق مجهولة في العالم الأسفل ترتفع فيها بشكل مستمر .

٤) ايسمود : ويسمى ايضاً الاله (اسيمو) الذي يوصف بأنه متعدد الوجوه فله أربعة وجوه أو إثنان، وهو وزير الاله إنكي والمنفذ لأوامره .

٥) نندارا : وهو جابي البحر وزوج الالهة نانشة ونازي

٣ . آلهة النبات : وهي الآلهة التي اختصت بكل ما يخص النباتات وزراعتها وفلاحتها وثمارها وبذورها . . ولعل الاسطورة الثيوغونية السابقة وضعت الاله (آبو)ملكاً او الهاً لمملكة الآلهة النباتية .

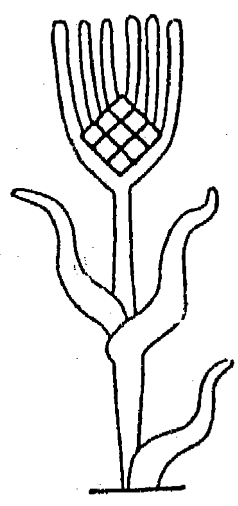
١ . الإله آبو : وقد تحدثنا عنه .

٢ . دموزي أمّا اشموكال أنّا: وهو القوة المخصبة التي تكمن في النخيل وتسبب الطلع والخصب لها. وهو ايضاً غير دموزي الراعي الذي ستتحدث عنه لاحقاً.

٣ . أنكمدو: وهو الاله الفلاح أو إله الفلاحة.

٤ . نصابا: وهي الهة الحبوب(وربما تحديداً الشعير) وتلقب ايضاً بـ (ننشيبارغونو) التي توصف بأنها أم الالهة (سود) التي اصبحت فيما بعد ننليل زوجه الإله إنليل. وزوجها (حايا) او (هايا) إله الصوامع، وقد اصبحت (نصابا) الهة الكتابة في سومر وكانت تسمى ايضاً ندابا واصبحت زوجة (نبو) منذ الألف الأول ق. م ومركز عبادتها في أوما واريش.

٥ . اشنان: الهة الغلّة ورمزها السنبلة



شكل (٦٣)
رمز الالهة اشنان
رسم: علي محمد آل تاجر

٦ . ننموخ: الهة الغابات

٧ . ننغيردا: وسميت ننكيري او ننسوتو وهي زوجة الإله ننازو.

٨ . گشتن - أنّا: سيدة دالية الكروم، الهة العنب، واخت دموزي الراعي الذي أدى به المصير الى النزول الى العالم الاسفل حيث أصبحت بديلته فبدأت تنزل مكانه إلى العالم الأسفل في الوقت الذي يخرج هو منه كل نصف عام بالتبادل، وقد أصبحت كاتبة العالم الأسفل وسميت بالاكدية (بعله صيري)، وهناك ما يشير إلى أنها أصبحت زوجة للإله ننگشزيدا.. الذي ما زالت علاقته غامضة بالإله دموزي.

٩ . نازي : زوجة الاله نندارا وهي الهة نباتية .

١٠ . آزيموا : زوجة الاله ننكشزيدا وهي الهة منطقة (آزيموا) في لكش .

١١ . ننكيزي اوتو : الهة نباتية .

١٢ . ننسار : سيدة الخضار والنباتات التي تؤكل

١٣ . ننمو : سيدة النباتات ذات الألياف .

١٤ . إيمر : كاله الحبوب .

١٥ . أزينو : اله الحبوب والزمن خصوصاً في احتفالات رأس السنة (ازينو)

١٦ . كوسو : اله الحبوب

١٧ . باسيكيل : إله الحبوب

٤ . آلهة الحيوان : وهي الآلهة التي اختصت بالشكل الحيواني للحياة اصولاً ومكونات ورعاية وتربية :

١ . دموزي : الاله الراعي ، وهو راعي الاغنام والماشية ، ودموزي Dumu - zi دمو تعني ابن ، زي تعني مخلص وكذلك تعني البار وتعني ايضا الذي يعلو او يرتفع ، وبذلك يحق لنا ان نفس اسم دموزي (بالابن المخلص، الابن البار، الإبن المرتفع او المنبعث ، الابن العلي]) ، ويقدم جاكوبسن في كتابه (نحو تصور عن تموز) تفسيراً آخر لاسمه فيقول انه يعني (الذي يعجل بالصغار اي يكسبهم الصحة) معتمداً على انه الاله المسؤول عن الأغنام والماشية ، أي ان دموزي يمثل الموسم القصير للحليب في الربيع ، أي القوة الدافعة للحليب وعندما تتوقف الاغنام عن درّ الحليب فإن ذلك يعني موت هذا الاله .

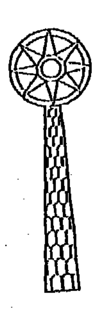
ولا يحظى دموزي بأية أهمية في البانثيون أو مجمع الآلهة السومري كما نلاحظ شجرة الآلهة السومرية ، ولكنه حظي باهتمام شعبي كبير فأصبح الإله الذي يرمز لكل قوى الطبيعة المنتجة والمخصبة ، ودارت حول أساطير كثيرة ارتبط أغلبها مع إنانا إلهة الحب والجمال وراعية كوكب الزُهرة. وقد فسرت علاقة الإله الراعي بالنجمة على أنها علاقة طبيعية بين من يرعى الاغنام فجراً فترافقه هذه النجمة ويعود بالأغنام مساءً فترافقه ايضاً في الظهور (وهي نجمة الصباح ونجمة العشاء).

وهناك ملاحظة هامة عن (دموزي) وهو وجوده في العالم الأسفل ورعاية الملكة اريشكيگال له وزواج اخته گشتن أنا من الاله ننكشزيدا (إبن أريشكيگال) فهو صديق ونسيب إبنها ، بحيث اننا نرى وجود علاقة غامضة وخاصة بين الالهين (دموزي وننكشزيدا). لأن وجودهما ثانية في السماء السابعة عند بوابة الإله آن في اسطورة آدابا يثير اسئلة كثيرة عن حياتهما وموتهما وبعثهما.

وهناك في التراث السومري دموزي الاله. ودموزي الملك الذي حكم مرة قبل الطوفان في مدينة بادتبرا لمدة ٣٦٠٠ سنة وهو الملك الراعي. اما الملك الثاني فيظهر كأحد ملوك اوروك بعد الطوفان ويوصف بانه كصياد السمك وهو في مدينة كوا وحكم ١٠٠ سنة.

وقد تناول الباحثون بالبحث والدرس شخصية دموزي الملك والاله وخصوصاً مورتغات (انظر مورتغات ١٩٨٥). و(انظر زايبرت ١٩٨٨) و(انظر فريزر ١٩٧٩).

والرمز الثابت للاله دموزي هو جذع النخلة المشبك والذي يكون على شكل مخروطي طويل تعلو قمته عجلة شمسية تحتوي على رمز الألوهية.



شكل (٦٤)

رمز الإله دموزي نهاية الألف الثالث قبل الميلاد

رسم : علي محمد آل تاجر

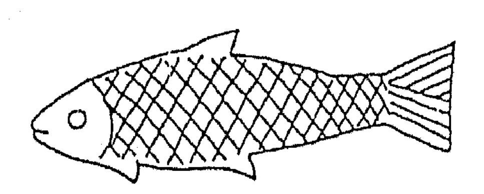
٢ . لهار (لخار Lakhar) وهو اله الاغنام والحظائر ومنتوجاتها المعروفة اسطورته او محاورته مع إلهة الغلة (أشنان).

٣ . نسنون Ninsun : أو ننسونا وتوصف بالبقرة الوحشية وهي أم الإله دموزي الذي يوصف بانه (الثور الوحشي) لانه ابنها . وهي الهة (كلاب)



شكل (٦٥)
الإلهة ننسون أم دموزي وكلكامش

٤ . نانشة : الهة مدينة نينا (سرغل) جنوب شرقي لكش وهي إلهة السمك وصيد الاسماك ورمزها السمكة شكل (٦٦)، وتوصف أيضاً بأنها مفسرة الأحلام. ويصفها السومريون بأنها راعية العدالة الاجتماعية وزوجها هو نيندار جابي البحر. وهناك تراتيل وأدعية كثيرة بحق هذه الالهة وكان الأمير گوديا يؤمن بها ويقدسها كل التقديس ويعتبرها أمه .



شكل (٦٦)
رمز الإلهة نانشة
رسم : علي محمد آل تاجر

٥ . ننمار Nimar : الهة مدينة (غبا) جنوب شرقي لگش وتعتبر الهة الطيور ورمزها الطير شكل (٦٧)وهي ابنة نانشة من زوجها ننداز وبذلك تكون حفيدة انكي وليست ابنته .

٦ . زبابا : وهو اله (كيش) وهو اله الحرب والقتل وله علاقة بذبح الاغنام وحقولها وقد ارتفع شأنه في عصر الكيشيين ، وزوج (إنانا) المحاربة .

٧ . بليلي : وهي اخت دموزي تظهر دائماً الى جانب (كشتن أنا) وتقطن في حظيرة قطعان الماشية . وتلعب دوراً في ألقاء القبض على دموزي وتسليمه للعالم الأسفل .

٥ . آلهة العمران :

للاله إنكي ابناء كثيرون اهتموا بتفاصيل حياة المدينة والأرياف وشؤونها العمرانية ، وحقيقة الأمر أن هذا يتطابق مع طبيعة هذا الاله لانه راعي العمران على الأرض . وهو الذي امتلك نواميس الحضارة وقواها على شكل الـ (مي Me) الآّ انه بالرغم من ذلك ولد له مجموعة من الآلهة التي شكلت عصب العمران وهي :

١ . ممّو : اله الحرف والمهارات .

٢ . ننتي : الهة الشهور وراعية الزمن

٣ . إنشاج : إله دلمون واسمه ايضاً (إنزاك)

٤ . ننسكلا : إلهة دلمون ومگان (عمان)

٥ . ننكاسي : إلهة الخمرة .

٦ . كبتا : إلهة الفأس والقرميد

٧ . كولا : إلهة الطابوق وصناعته

٨ . مشدما : إله المساكن

٩ . هايا : إله الصوامع زوج نصابا

١٠ . نندوب : اله المعمار ومصمم المعابد

١١ . ننكورا : إلهة الاصباغ

١٢ . أتو : إلهة النسيج

١٣ . أشموگال گلاما : إله الموسيقى (القيثارة)

١٤ . تيبال (تابيرا) : إله المعادن

١٥ . ميرسو : إله الري

١٦ . طقطوق : إله الصناعة

١٧ . ساتران (اله مدينة دير) : ويوصف بعلاقته بالطب ويعتقد أن أصله عيلامي، وهو الذي ذهب إلى العالم الأسفل فكان له رسول هو الاله (نيراح)

١٨ . (نيراح) أو (نيراه) المأخوذ من أصل سومري (نتّر) الذي يجسد القوة الحامية للبشر ويرمز له بنصف علوي لرجل ونصف سفلي كثعبان ، وأحياناً كثعبان يصور على منحوتات الحدود كإله حامي .

٦ . أسلّوحي Asalluhe

وهو الأبن الوريث للاله إنكي، ويمثل الغيوم المرعدة ،وقد صار هذا الاله الجذر السومري للاله مردوخ فيما بعد رغم أن الاله مردوخ في اصله يأتي من المقطعين السومريين (Amar- Utu) الذي يعني (عجل الشمس) أو (طفل الشمس) وكان هذا يشير الى كوكب المشتري الذي يمثله مردوخ، والذي يرتبط من ناحية أخرى بظهور الغيوم المرعدة (أسلوحي) . ويعتبر هذا الاله الهاً للسحر والتعاويذ حيث يحل محل ابيه والاله اسلّوحي اله مدينة قصار قرب أريدو، وهو ابن إنكي و(مبلل الناس) .

٧ . الهات الولادة السبع

وهن سبع إلهات ثانويات مخصصات للولادة ويساعدن الالهة ننماخ ساعة الولادة للانسان أو الآلهة ويبدو أن لكل واحدة دوراً خاصاً:

١ . نن إمّا : Nin - Imma

٢ . نن مادا Nin - Mada

٣ . نن بارا Nin - bara

٤ . نن مُكك Nin - mug

٥ . نن گونا Nin - guna

٦ . سوزي أنّا Suzianna

٧ . موسار غاباMusargaba

٨. لولوّ : Lullu : وتعني الاله الضعيف أو الاله الميت والمقصود به الانسان ، وهذه الكلمة مستعارة من المقاطع السومرية Lu- ux- Lu التي تعني حرفياً (الإنسان البعيد أو السحيق) أو (الانسان الاول) أو (الانسان المتوحش والبدائي) . اما الكلمة السومرية (لو Lu) فإنها تدل على الإنسان العادي أو البشر المعروف ومرادفتها الاكدية Awelu التي ترتبط باسم الاله وي – ايلا We - ila ومعناه الحرفي (الاله الذي كانت له شخصية) الذي ذبح وصنع من لحمه ودمه مع الطين الانسان وهذه اسطورة أكدية .

ويبدو لنا الانسان الذي خلقه أو صنعه إنكي في بداية أمره أو الذي صنعته ننخرساج ناقصاً مشوها ، لكنه أصبح فيما بعد بشراً عادياً منحه إنكي الحكمة ثم منحه الملوكية واعطاه نواميس الحضارة .

إن كون الإنسان ابناً أو مخلوقاً من مخلوقات الاله أمرٌ متعارف عليه في المثولوجيا السومرية ومثولوجيات الامم الأخرى ولكنه مخلوق أو إله ضعيف ، ومحكوم عليه بالموت وسنناقش ذلك تفصيلياً في أساطير خلق الانسان .

إن شجرة الآلهة السومرية ثيوغونياً اعطتنا اكثر من ايحاء أو نتيجة منها أن أغلب ذكور سلالة انليل تزوجوا من أغلب اناث سلالة انكي سواء من بناته او حفيداته ، حتى ان انليل نفسه تزوج من حفيدة انكي (سود) التي أصبحت الزوجة الوحيدة للإله إنليل والتي أنجبت كل سلالته القوية .

ويبدو أن هذا هو العرف السائد عند الآلهة ، الاّ أن حالةً واحدةً شذت عن هذا وهي أن دموزي إبن الإله إنكي تزوج من إنانا حفيدة الإله إنليل وهذا لا يجوز كما يبدو ، ولذلك اخترعت اسطورة موت دموزي الذي كان لا بد ان يعاقب ضمناً على هذا السلوك او هذا المصير والذي انتهت حياته إلى العالم الأسفل .

كما أن شجرة الآلهة السومرية بأكملها تشير إلى ثالوث أكبر عظيم مكّون من الالهة نمّو الام السومرية الكبّرى والأولى، وانليل / انكي أبناء الآلهة والابن المشترك لكل منهما (دامو من سلالة انليل)، (دموزي من سلالة إنكي) الذي يعني في كليهما الطفل ابو الابن.

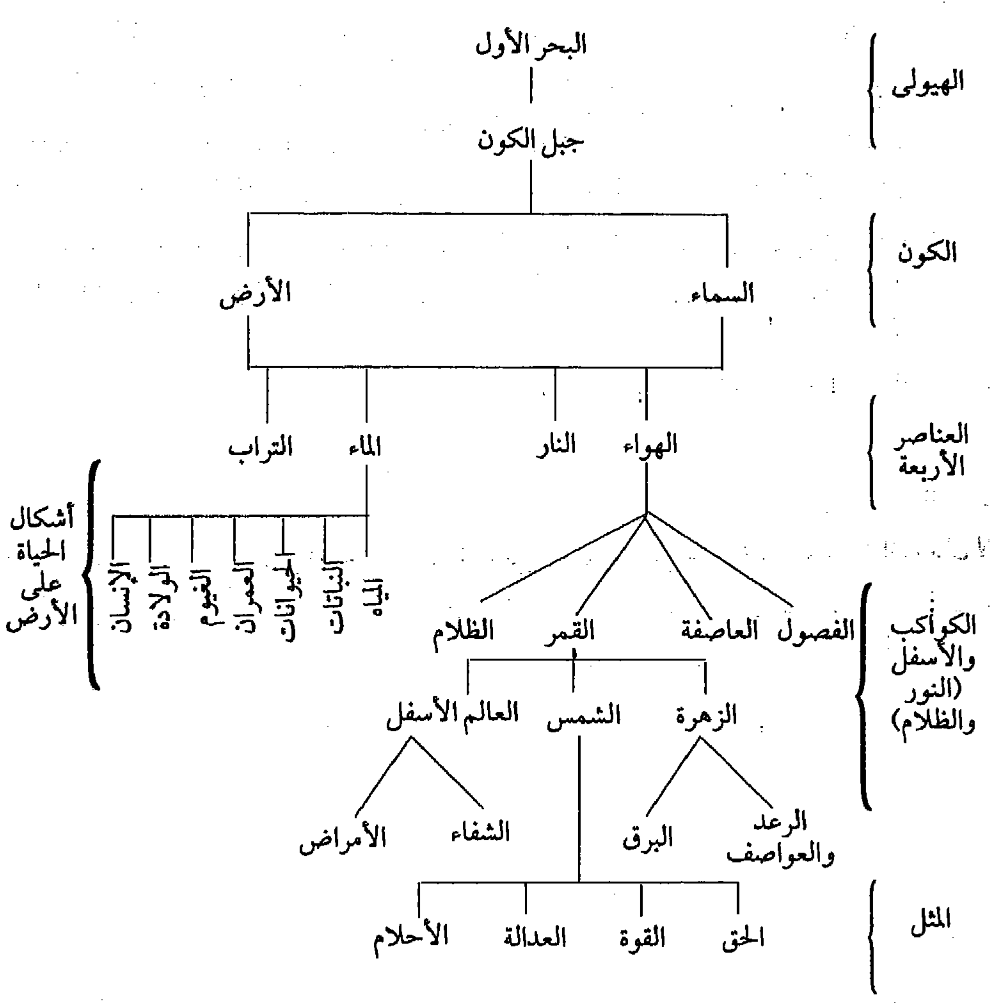
ان الام والاب والابن هو ثالوث سومري يمسك شجرة الآلهة السومرية ويشكل إطارها كلياً أو تفصيلياً.

وإن الاله الطفل دامو الذي يبدأ رحلة الصعود في نسغ النباتات الى العالم الاعلى والإله الإبن دموزي الذي يعلو إلى الأرض من العالم الأسفل أيضاً يشيران إلى عود أبدي يبدأ بصعودها نحو الأرض ثم يدور بين الأرض والعالم الأسفل، ثم اننا نجد دموزّي في السماء (وهذه دورة أخرى من الأرض إلى السماء وبالعكس) بعد أن أُعطى كوكب الجوزاء مسحةً منه (وهو يدل عليه) . ان هذه الرحلة تحيلنا إلى تفكير عميق في التماسك الدقيق لشبكة الآلهة والمعاني العميقة التي تختفي وراء كل تفريعاتها وأشكالها.

العمق الفيزياوي والبايولوجي للمثولوجيا السومرية

قبل ان ننتهي من تتبع شجرة الآلهة السومرية والأساطير المرتبطة بها، التي ذكرناها والتي سنذكرها، لا بد لنا من فحص العمق الفيزياوي والبايولوجي الذي يكمن خلف هذه المثولوجيا وخلق تسلسل الآلهة فيها.

لو اننا حورلنا تلك الشجرة لالهية الوارفة الى مفردات طبيعية دون ذكر اسماء الآلهة لنتج لنا هذا العمق الفيزياوي والبايولوجي والفكري كما في المخطط (٩).



مخطط (٩) العمق الفيزياوي والبايولوجي لشجرة الآلهة السومرية

أصبح من الواضح أن الهيولى الأولى أنتجت الكون الذي كان غير مميز إلى سماء وأرض ،ثم ظهر الهواء الذي فصل بين الأرض والسماء ونتج عن ذلك ايضاً ظهور المياه على الأرض باعتبارها المادة الذكورية السماوية .

وبذلك ظهرت العناصر الأربعة (الهواء والنار والماء والتراب) من السماء والأرض، وسيطر على الكون بشكل اساس عنصر الهواء ومعه النار ونتج عنه عوالم الكواكب والظلام .

أما الأرض فسيطر عليها عنصر الماء الذي ظهرت منه اشكال الحياة بمختلف ألوانها النباتية والحيوانية والبشرية ثم ظهرت أدوات ونواميس العمران على الأرض .

إن ما تدفع به الطبيعة من كوراث وفيضانات وزلازل وعواصف وأمراض سببها سلالة انليل. وإن ما تحاول أن تصلحه الطبيعة وتحييه وتصد الكوارث عنه صار من حصة سلالة إنكي .

وعلى ضوء الذي تحدد نقول بأن ظهور الاسطورة الشعبية السومرية (دموزي وإنانا) كما قلنا هو لقاءٌ بين نسلين متعارضين لا نفترض ان يحصل بهذه الطريقة، فلو أن إنانا تزوجت اخاً لها أو من نسل إنليل، ولو أن دموزي تزوج من إحدى بنات إنكي لما كان قد حصل كل هذا الذي حصل بين دموزي وإنانا .

إن أنانا التي ظهرت من نسل إنليل الهوائي المتقلب الذي فيه ما يقود الى العالم الأسفل هي غير دموزي المنحدر من نسل مائي مخصب حي ومخضّر، وهذا اللقاء كان لا بد أن تنتج عنه دورة صراع أزلية . . أو أوربوس ينغلق وينفتح بين إنليل وانكي ، الهواء والماء، إنه صراعٌ بالنيابية بين أخوين متضادين وتكمن خلف هذا الصراع اسرارٌ عميقة يعبر عنها بصراع الموت والحياة وهذا في رأينا أول بذور فكرة العود الأبدي .

ج- أساطير نشوء الإنسان (الأنثربوغونيا)
Anthropogony

حفل التراث المثولوجي السومري بعدة أساطير أو أفكار ميثوبية تبين كيفية خلق الانسان، واذا كان الكثير من الباحثين قد توقفوا عند اسطورة واحدة أو أسطورتين فإننا سنبين سعة التصورات الانثروبوغونية السومرية.

هناك خمس انثربوغونيات سومرية توضح خلق الانسان، وكل منها يرجع الانسان إلى أصل مختلف في خلقه وتكوينه وهذه الأصول هي (الأصل الطيني المائي، الأصل النباتي، الأصل الحيواني، الأصل الالهي، الأصل اللوغوسي).

١. الانثربوغونيا الطينية المائية (إنكي ونمّو وننماخ وطين الأبسو)

تشير هذه الاسطورة (وهي الأكثر شهرة) إلى أنه بعد أن تمّ خلق الكون والآلهة توجب على الآلهة العمل وتزويد أنفسهم بالطعام والشراب، فقد وصل الآلهة الصغار العاملون إلى مرحلة الإجهاد والشقاء فذهبوا ليشتكوا للإله إنكي الذي كان نائماً في أعماق المياه ولكنهم لم يدخلوا اليه، غير أن الالهة (نمّو) وهي الالهة السومرية الام الأولى، التي ولدت كل الآلهة، أخبرت ولدها إنكي بشكوى الآلهة قائلة:

«يا بني أخرج من غرفة نومك

فأنت من خلال حكمتك تدرك كل فن

إصنع بديلاً عن الآلهة حتى يحمل سلّة العمل عوضاً عنه.

نهض الاله إنكي على كلمات والدته الالهة (نمّو)

ودخل إلى القاعة المقدسة، وأخذ يضرب فخذه وهو يفكر

الحكيم، العليم، البصير، الذي يدرك كل شيء وكل فن

جلب الأيدي وصاغ صدره (أي صدر الإنسان)

إنكي، الخالق وصنع داخل مخلوقه (الإنسان) شيئاً من حكمته

ونادى أمه الالهة نمّو (وقال لها)

امي : المخلوق الذي إوجدته ، إربطي به عمل الآلهة .

وبعد ان تخلطي الطين الذي تأخذينهُ من مياه الأبسو

عليك ان تصبغي الـ . . والطين وتكوني المخلوق (الإنسان)

وعسى أن تساعدك في ذلك الإلهة ننماخ)

(رشيد ١٩٨١ : ١٩).

بعد أن قرر الإله إنكي شكل الإنسان وطبيعته وأعطاه في داخله شيئاً من حكمته، ترك أمر ولادته لننماخ وإلهات الولادة السبع وهنّ (نن إيما، نن مادا، نن بارا، نن موكك، نن كونا، سوزي أنّا، موسار غابا) واللائي يساعدن ننماخ في استيلاده ، من هذا الوصف يظهر الإنسان ويقرر إنكي شكله وطبيعته وروحه ثم يزرعهُ في رحم إحدى الالهات (ربما ننماخ) ثم يولد منها بمساعدة إلهات الولادة. بعدها تقرر (نمّو) مصيره، أما ننماخ فتقرر العمل الذي سيقوم به من أجل الآلهة .

ثم يقيم الإله إنكي حفلة للآلهة ليريهم كيفية ولادة المخلوق الجديد (الانسان) فتقوم الإلهة (نمّو) بصنع القالب الأولي له، ثم تأخذ الالهة ننماخ الصلصال من مياه الأبسو (بعد ان تكون هي وإنكي قد شربا خمراً كثيراً) وتشكله وتولده . . ويبدو انها صنعت ستةأنواع من الإنسان كلهم يعانون من ضعفٍ أو مرض، لكن إنكي يقرر لكل منهم مصيراً وهؤلاء البشر الأوائل هم :

١ . الإنسان المتصلب المفاصل : يدخله إنكي في خدمة الملك

٢ . الإنسان الأعمى: يجعله إنكي مغنياً، ومنشداً للملك

٣ . الإنسان المشلول الساقين: يجعله إنكي بهياً خارقاً للطبيعة .

٤ . الانسان الذي لا يستطيع الاحتفاظ بمنيه: يغسله ويعوذّه إنكي فيشفى .

٥ . الانسان المرأة العاقر : يعيّنها إنكي في بيت الحريم

٦ . الإنسان الذي لا قضيب له ولا فرج : سمّاه إنليل - كيگال) ليبقى تحت تصرف الملك .

ثم قام إنكي بصنع مخلوقة البشري وتساعد ننماخ على ولادته وسمي هذا المخلوق ب(أومول) ومعني اسمه (يومي بعيد) وكان يعاني من عدة عاهات (رأس خامد، و نفس قصير، قفص صدري ناقص، بطن خامد، قلب خامد، يداه تتحركان بصعوبة ، كتفاه منهارتان، رجلاه غير قادرتين على السير حافيتين).

ويبدو أن إنكي تعمد صنع مثل هذا الإنسان المشوّه ليحرج ننماخ ويثبت عجزها، بعد ان استطاع ان يتدبر مصير ستة من الأنواع الإنسانية البدائية التي خلقتها هي، وهكذا يقول لها تدبري أمر مخلوقي هذا وعيّني له مصيراً وامنحية وسيلةً لمعيشته:

«استدرات ننماخ عندئذ نحو (الأومول) وتأملته

اقتربت منه ونادته

ولكنه لم يستطع الإجابة

قدمت له خبزاً

ولكنه لم يستطع تناوله

لم يكن قادراً على . . .

إذا كان واقفاً، لم يكن قادراً على الجلوس أو الاستلقاء،

وكان غير قادر أن يعدّ لنفسه مأوى أو غذاءً!

ولذلك فقد أجابت ننماخ إنكي :

«إن ما صنعته هنا ليس بالحي ولا الميت

إنه غير قادر على عمل أيّ شيء!»

(الشواف ١٩٩٦ : ٧٠).

ويذكر إنكي ننماخ كيف أنه منح وسيلةً لمعيشة البشر الذين صنعتهم هي وعيّن لهم مصيراً، ويبدو ان ننماخ بررت ذلك بأنها في أزمة فقد تركت مدينتها ومعبدها بسبب الهجوم عليها وأنها اضطرت إلى الالتجاء لمعبد إنليلَ في نفّر . الاّ ان فشلها كان واضحاً. ثم يطلب منها إنكي إبعاد مخلوقه العاجز عن حضنها ويقول لها أن تكون راضية عن المخلوقات التي خلقتها بعد أن قرر هو مصيرها ثم يطلب الاحتفاء بمقدرته الخلاّقة والإنشاد له، ويطلب من الآلهة إنشاء معبد خاص له.

توضح لنا هذه الاسطورة قدرة الاله إنكي على صنع الإنسان العادي المعافى دون ان تبين طريقة صنعه، ثم تبين كيف أن ننماخ صنعت ستة انواع من البشر العاجزين واستطاع إنكي تعيين وظائف لهم وشفاء بعضهم . . لكن ننماخ فشلت في مساعدة مخلوق إنكي الذي تعمد في جعله عاجزاً.

ومن جانب آخر توحي لنا هذه الاسطورة ان الانسان الاول كان مريضاً مشوباً بالكثير من الاخطاء الجسدية والعاهات التي لولا إنكي لما استطاع هذا الانسان أن يشق طريقَهُ في الحياة.

كما أنها توضّح إلى حد ما أن الإنسان صنع من قبل إنكي ولكنه ولد من قبل إلهة وساعدت على ولادته سبع إلهات ولادة .

وهذه اشارة مفيدة جداً لأن الانسان يعتبر في هذه الاسطورة إبناً للإله أو الإلهة ولكنه ابن ضعيف عاجز محكوم عليه بالموت . . كما أن واجبه هو خدمة الآلهة وتنفيذ أوامرهم وليس العيش معهم ومشاركته لصفاتهم .

٢. الأنثروغونيا النباتية (حشيش انليل)

في هذه الاسطورة نلمح منحىً مختلفاً عن الاسطورة السابقة حيث يقوم الإله إنليل بوضع بدايات البشرية (أي بذورها) في شقوق الأرض وبعدها بدأ البشر يظهرون من هذه الشقوق مثل الحشيش .

إن فكرة هذه الاسطورة السومرية التي ترجع الخلق البشري الى الإله انليل وليس انكي لا تتفق مع ما قررناه من وظائف انليل وانكي ولذلك نرى انها ترجع إلى أصل بعيد لم تكن فيه العقيدة الدينية والمثولوجيا قد وضعت علي أسس سومرية دقيقة . وحقيقة الأمر أنها تعود الى مكان بعيد وزمان بعيد، أي إلى حوالي ٥٠٠٠ ق.م عندما كان أجداد السومريين في القسم الشمالي من وادي الرفدين وفي مناطق سامراء والمحيطة بها مثل تل الصوان، حيث كان الانسان العراقي القديم يمارس الزراعة الديمية معتمداً على الأمطار وكان ظهور النباتات كالحشائش منظره الدائم، وفي هذه المرحلة ظهرت بدايات الإله الذكر متمثلاً بالهواء وهو ما يقابل الإله (إنليل) الذي يحرك المطر ويتحكم به . وفيما يلي هذا المقطع من الاسطورة المسماة باسطورة المعول:

«السيد الاله (إنليل) قد جعل كل ما هو نافع يبدو ناصعاً
السيد الذي تقريره للمصير لا يمكن ان يتغير
قد أسرع لفصل السماء عن الأرض، وقد أسرع لفصل الأرض عن السماء .
وبعد ذلك جعل في (اوزو - موا) الإنسان الأول يظهر
وحفر شقاً في الأرض وفي منطقة دور إنكي
وخلق المعول، وعندها انتهى النهار
وقرر واجبات العمل وقرر المصير
وبينما كان يثبت مقبض المعول ومقبض سلة العمل
مجد الإله إنليل معوله (أي الذي خلقه)
وجلب المعول الى (أوزو - ايا)
ووضع بدايات البشرية في الشقّ
وعندما بدأ البشر يظهر مثل الحشيش من الأرض
كان الإله إنليل مرتاحاً الى شعبه السومري
ووقفت الى جنبه آلهة الأنونا
واضعةً اياديها على أفواهها
وهي تقدم الصلوات للإله إنليل
ووضعت المعول في أيدي الشعب السومري،»

(رشيد ١٩٨١ : ٢٠).

٣. الانثربوغونيا الحيوانية (على جبل الكون قبل ظهور النعجة)

تصف هذه الاسطورة، التي غالباً ما تسمى اسطورة (أشنان)، ظهور الآلهة العظام المبكر على جبل السماء والارض (الكون) حيث لم يخلق بعد أيّ شيء لا الآلهة الصغيرة ولا الحيوانات كالنعجة والعنزة ولا الحبوب كالشعير، ولم يكن في ذلك الزمن الأول

يعرف الانسان شيئاً ، ويبدو لنا أنه خُلق على تل الكون المقدس (ان - كي) اي قبل ان تنفصل السماء عن الأرض، أي بلغة أخرى، قبل ظهور الآلهة وانه قد ظهر مثل الكون من الهيولى الأولى المائية ولكنه ظهر كحيوان يمشي على يديه ورجليه. وهذا مقطع من هذه الاسطورة:

«البشر الأوائل لم يعرفوا أكل الخبز بعد

ولم يعرفوا ارتداء الملابس

وكانوا يسيرون على أيديهم وأرجلهم

وكانوا كالخراف يعلفون الحشيش

ومن القنوات يشربون الماء .

آنذاك في المكان الذي كانت فيه الآلهة

في معبدهم ، التل المقدس، قررت الآلهة ظهور إلهة النعج (لاهار)

وإلهة الشعير (أشنان)

في المعبد، المكان الذي تأكل فيه الآلهة الخبز

تجمعوا على انتاج النعجة والشعير

وأكل آلهة الأنونا ، آلهة التل المقدس

ولكنهم لم يبلغوا مرحلة الشبع

المشروب اللذيذ ، إنتاج حضيرة الاغنام

شربت آلهة الانونا ، الهة التل المقدس

ولكنهم لم يبلغوا مرحلة الارتواء .

في حضيرة الاغنام الطاهرة تركوا ما يسعدهم

تركوا البشرية روح حياتهم »

(رشيد ١٩٨١: ٢٠)

وهكذا انتهت الهة النعجة والشعير (لاهار وأشنان) من التل المقدس الى الأرض

ومعها الانسان حيث ذهب معها ، لقد كان الآلهة قد خلقوا الماشية والغلّة وخلقوا معها الإنسان . . ووجدوا أن الآلهة ما زالوا يتعبون في نيل طعامهم وشرابهم ، ولذلك أنزلوا الماشية والغلة والانسان الى الأرض لكي يعمل الإنسان على الاستفادة منها ويفيد معه الآلهة التي تريد من يخدمها .

اوضحت الاسطورة كيف ان الانسان كان حيواناً يمشي على أربعة اطراف ولا يأكل الخبز لانه لا يعرف كيفية صناعته ، وهو عار لانه لايعرف الملابس ، وغذاؤه الحشيش كالحيوان ويشرب الماء من القنوات بينما النعجة تأكل الشعير وتشرب الماء اللذيذ ولكنها لا تشبع أو ترتوي ، ولذلك نزلوا الى الأرض ليعلمّوا الإنسان هذه الامور ويجعلونه يقوم بها بدلاً من الآلهة .

٤ . الأنثربوغونيا الالهية (اسطورة الآلهة لمكا)

تعد هذه الاسطورة من اكثر الأساطير التي شاعت في تراث العالم القديم فهي تنفرد بقدم فكرتها التي تؤكد ان الانسان مخلوق من دم الآلهة المذبوحة (لمكا) وهي آلهة العمل ، وسنجد صداها في اساطير بابلية مماثلة . وتعرف هذه الاسطورة في مجال الدراسات المسمارية (KAR_4 - Mythos) وهذه مقاطع منها :

((جلست الآلهة آنو ، انليل ، أوتو ، وإنكي

الآلهة العظيمة والأنونا . الآلهة العظيمة على الكرسي العالي

ذي الرهبة المخيفة ، واخذوا يتحدثون مع بعضهم :

بعد أن وضعت الآلهة قواعد السماء والأرض

بعد أن نظمت الجداول والقنوات . وثبتت شواطيء دجلة والفرات

عندما قال الإله إنليل لهم : ماذا تريدون أن نعمل الآن ؟

ماذا تريدون أن نخلق الآن ايتها الانونا ، الآلهة العظيمة ؟

ماذا تريدون أن نعمل الآن ؟ ماذا تريدون أن نخلق الآن ؟

الآلهة العظيمة التي كانت موجودة ، وآلهة الأنونا ، التي تقرر المصير

قد أجابوا سويةً على سؤال الاله إنليل .

في أوزموا -من منطقة دورانكي-

نريد ان نذبح آلهة -لمكا -

حتى تسبب دماؤها في ظهور البشرية

وحتى واجبات عمل الآلهة تصبح واجباتها

وعليها (أي البشرية) أن تعمل إلى الأبد على تثبيت قنوات الحدود

وأن تصنع في يدها المعول وسلة العمل ، ،

(رشيد ١٩٨١ : ١٩).

ويعتقد أن لهذه الاسطورة جذوراً أكدية ، ولكنّ السومريين الجدد بعد أكدهم الذين تداولوها .

٥. الأنثربوغونيا اللوغوسية (اسطورة الاسم)

كانت (الكلمة) مصدر خلق عند السومريين وكان اطلاق كلمة الخلق بمثابة الخلق نفسه، ومن أبرز صفات الكلمة إطلاق الإسم على الأشياء، وكان ذلك يعني أن إطلاق الاسم على الشيء أو تسميته يعني خلقاً له وظهوراً له . وقد خلق الكون بتسمية السماء ثم الأرض، وخلق الانسان بعد أن تعين اسمه، وتم تقسيم العمل بالكلمة الآمره الناطقة ولنقرأ هذا المقطع من قصة كلكامش وانكيدو والعالم الأسفل السومرية :

« بعد ان تم إبعاد السماء عن الأرض

بعد أن فصلت الأرض عن السماء

بعد أن حمل (آن) السماء

بعد أن حمل (إنليل) الأرض ، ،

(تيزيني : ٢٣٦).

إن الأسم والكلمة هنا خالقتان وتعبران عن خلق الإنسان وهو ما سنجد صداه في

الأساطير العبرية والتراث التوراتي (وقال الله ليكن نور فكان نور) والتراث الإنجيلي (في البدء كان الكلمة وكان عند الله، وكان الكلمة الله).

إن كلمة إنليل، وكلمة إنكي اللتان تعبران عن نفسيهما بالمني وهو مادة الخلق تؤشران البعد المادي الجنسي وراء مفهوم فكري لاهوتي كبير هو اللوغوس، ويبدو أن الانسان في المعتقدات السومرية خلق عن طريق تعيين اسمه بالكلمة من قبل أحد الإلهين (إنليل) و(إنكي). «أما صيغة المجهول التي يتم بها هذا العمل فهي ذات أهمية خاصة في اللاهوت القديم الذي يعتبر الاله فيه مدبراً للموجودات، وليس متجبراً مطلق الحرية. وهذه الصفة هي التي وصلت إلى الاغريق تحت لفظة (تايوس) وهكذا يكون الآلهة انفسهم قد وجودا بتميّز واحدهم عن الآخر بحدودهم ووظائفهم وتميز مملكاتهم، كما وجد الانسان بتعيين اسم له، أي بتسميته»، (الحوراني ١٩٧٨: ١٣٣).

القسم الثاني

أساطير تنظيم الكون

MYTHS OF ORGANIZATION

كان الإلهان (إنليل) و(إنكي) معنيان على حدٍّ سواء بتنظيم الكون والعالم، فلكل منهما أساطيره الخاصة بهذا الأمر ولذلك وجدنا ان من الضروري، بعد ان ظهرت الآلهة وتوالدت التعريف بالوظائف التي خلقت من اجلها والاساطير التي صاحبت هذه الوظائف والتنظيمات التي قامت بها.

ووجدنا أن من الضروري تقسيمها إلى قسمين: هما الأساطير المرتبطة بالإله إنليل، والأساطير المرتبطة بالإله إنكي.

أ- أساطير تنظيم الكون المرتبطة بالإله إنليل

تتضمن هذه الأساطير تنظيم ما ارتبط بانليل من أمور العمل (الفأس) والفصول وتوزيع وظائف الماشية والحبوب ورحلة القمر إلى نفّر حيث مكان إبيه إنليل.

١ . اسطورة الفأس

وهي قصيدة طولها ١٠٨ سطراً، وتبدأ بمقدمة هامة تصلح أن تكون ضمن أساطير خلق الكون وتنظيمه ثم تبدأ بذكر الفأس وكيف أن انليل أعطى هذا الفأس للانسان هدية لكي يعمل به ثم يذكر مواصفات الفأس:

«هو الذي جاء بالفأس إلى الوجود وخلق اليوم

هو الذي خلق العمل وقدّر المصير

إن فأسه من الذهب ورأسها من جحر اللازورد

فأس بيته . . من الفضة والذهب

فأسه التي . . هي من حجر اللازورد ، ،

(كرير ١٩٧١ : ٨١).

ثم يخصص النص ذكره للناس من ذوي الرؤوس السود (أي السومريين) وكيف ان إنليل خصهم بالفأس ووضع الفأس هدية في أرضهم، وبعد ذلك تنتهي القصيدة بذكر فوائد الفأس :

«الفأس والسلة تبني المدن .

الدار الثابتة الأركان بنتها الفأس .

الدار الثابتة الأركان انشأتها الفأس .

الدار الثابتة الأركان هي التي سببت الإزدهار

الدار التي ثارت ضد الملك

الدار التي لا تستسلم لملكها

الفأس يجعلها تستسلم للملك

للرديء . . النبات تحطم الرأس

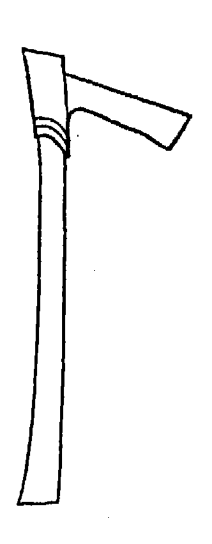
تجتث الجذور، تسقط على التاج

الفأس تطعن . . النبات

الفأس قرر مصيرها الأب (انليل)

المجد للفأس»

(كرير : ١٩٧١ : ٨٤).



شكل (٦٨)
الفأس رمز العمل ورمز إنليل
رسم : علي محمد آل تاجر

٢ ـ رحلة القمر إلى نفّر

يمكننا أن نعد هذه الأسطورة واحدة من ثلاث أساطير معروفة لحد الآن نستطيع أن نطلق عليها اسم أساطير رحلات الآلهة الى المدن، فقد رحل اليها نانا (القمر) ابن إنليل، وإنكي اخ انليل تبركاً، وهناك رحلة إنانا لمدينة أريدو لسرقة نواميس الحضارة.

لقد كانت مدينة (نفّر) هي المدينة المقدسة لبلاد سومر كلها وذلك لأن الاله القومي للسومريين وهو (إنليل) كان فيها، وله معبد كبير في وسطها هو معبد الـ (إيكور) وهو من أهم المعابد آنذاك.

تبدأ هذه الاسطورة بقرار الاله القمر (نانا) بالذهاب الى (نفّر) والمثول أمام أبيه إنليل ويسمي النص (نانا) بإسمين آخرين هما (سين) و(آشيگر بابر) أي الإله الحارس لمدينة اور.

وبعد القرار تبدأ الرحلة حيث يحمل الإله القمر بمركبه الهلالي الشكل أصناف الاشجار والنباتات والحيوانات ويقف خلال هذه الرحلة في خمس مدن هي (أم- ؟) و(لارسكا) و(ارك) وفي مدينتين أُخريين لم يتضح ذكر اسميهما، وفي كل مدينة يمر بها (نانا) يقوم الاله الحارس لتلك المدينة باستقباله والترحاب به حتى يصل إلى (نفّر) وفي نفّر

يرسي إله القمر مركبه ويقول لبواب إنليل أن يفتح بيت إنليل .

«البواب ، بمنتهى السرور ، فتح الباب

الجني الحارس الذي خلق الاشجار ، فتح الباب بكل سرور

ويلتقي الإله نانا مع أبيه ويفرحان ، ثم يطلب نانا من أبيه مجموعة من الأمور فيقوم الإله إنليل بتقديمها .

« في النهر أعطاه فيضاً من الماء

في الحقل أعطاه المزيد من القمح

في الأهوار أعطاه العشب والقصب

في الغابة أعطاه . .

في السهل أعطاه . .

في بستان النخيل وفي مزرعة العنب أعطاه العسل والشراب

في القصر أعطاه عمراً مديداً» ،

(كريمر ١٩٧١ : ٧٧).

بعدها يعود إنانا إلى مدينة (أور) حاملاً كل هذه العطايا . . ويتعزز مركز اور بعد هذه الزيارة .

٣. إيميش واينتين (الصيف والشتاء)

تعتبُر هذه الأسطورة اسطورة تنظيم للفصول ، الا انها في الوقت نفسه اسطورة صراع بين أخوين تذكّر بالصراع بين قابيل وهابيل في العهد القديم . . والاختلاف الوحيد بينهما انها تنتهي بالمصالحة لا بالقتل .

ويسمّى ايميش الذي هو الصيف براعي الآلهة ، أما اينتين (الشتاء) فيسمى بفلاح الآلهة . فهي اذ تعبر عن فصلين لكنها تخفي الصراع بين الفلاحة والرعي . وتنتهي بان يفضل إنليلَ الشتاء والفلاحة على الصيف والرعي .

وتعتبر هذه الاسطورة / القصيدة نوعاً من أدب المناظرات (أدمندوگا) الذي كان شائعاً في الادب السومري. وتتألف من أكثر من (٣٠٠) سطر وتبدأ الاسطورة بقرار إنليل خلق ورعاية الأشجار والقمح لينشر الرخاء على الأرض كلها، ولكي يعمل ذلك يخلق الإلهين الأخوين إيميش (الصيف) وإنتين (الشتاء) ويحدد لكل منهما واجباته :

هو الذي سبب وفرة البقر والعجول، وهو الذي زاد

في نتاج السمن واللبن

وفي السهل، هو الذي أدخل المرح الى قلب المعزى الوحشية

والخروف والحمار

طيور السماء، هو الذي مكنّها من بناء أعشاشها في الأرض الواسعة»

(كريمر ١٩٧١ : ٧٨)

ويقرر وظيفة ايميش كما يلي :

«إيميش خلق الاشجار والحقول وهو الذي أكثر من الإسطبلات

وزرائب الغنم

في المزارع، هو الذي انتج الوفرة

الغلة الوفيرة هو الذي ملأ بها البيوت

هو الذي وضع في الأهراء أكواماً عالية»،

(كريمر ١٩٧١ : ٧٩).

ويحدث الصراع بين الأخوين، ويدّعي (إينتين) انه فلاّح الآلهة فيتحداه (ايميش) فيقرران الذهاب إلى (نفّر) والمثول أمام (إنليل) ليفصل بينهما فيذهبان ويعرضان أمرهما. فيقول (إنليل):

«إن المياه التي تخلق الحياة في جميع البلاد، قد اوكل أمرها إلى (اينتين)

وبوصفه فلاّح الآلهة، فقد أنتج كل شيء

إيميش . . يا بني تقارن نفسك بأخيك إينتين

إن كلمات (انليل) السامية العميقة في معناها

والقرار المتخذ غير قابل للنقض، من ذا الذي يجرأ على نقضه؟

ركع (إيميش) امام (إينتين)

والى بيته جاء بالنبيذ والعنب والتمر

إيميش قدم لأخيه إينتين الذهب والفضة وحجر اللازورد

وفي نشوة الأخوة والصداقة، سكبا الخمرة بكل سرور ،

تمجيداً وتكريماً للآلهة

وعقدا العزم على العيش سوية بحكمة

وبنتيجة هذا الخصام

برهن إينتين فلاح الآلهة المخلص، على أنه اعظم من إيميش

سبحان الأب (إنليل)»

(كريمر ١٩٧١ : ٨٠).

إن هذه الاسطورة تؤكد أن فصل الشتاء في وادي الرفدين، رغم قسوة برودته، كان يمنح وفرةً هائلة من النباتات والحيوانات، وإن الإله إنليل أمرّ أرجحية هذا الفصل على الصيف بسبب حكمته العميقة.

٤. لاهار وأشنان (النعجة والغلّة)

تشبه هذه الاسطورة سابقتها فهي اسطورة مفاخرة أو مناظرة، ولكن أهميتها تكمن في مقدمتها التي تعطي فكرة عن خلق الانسان عندما خلق مثل الحيوانات يمشي وياكل ويشرب مثلها ولا يلبس لباساً مثلها.

تصف الأسطورة أولاً كيف خلق (لاهار وأشنان) على التل المقدس للآلهة في (الدلكو) ويبدو أن خلقهما تمّ من قبل إنكي، لكن إنليل هو الذي قرر مصيرهما.

«من أجل (أشنان) أسس داراً

الفدان والمحراث قدّماه له

(لاهار) يقف في زريبته

هو الراعي الذي يكثر العطاء في هذه الزريبة

(أشنان) تقف ما بين الغلة

إنها لعذراء ومعطاءة»

(كريمر ١٩٧١ : ٨٤).

ويبدو أن عطاء هذين الإلهين يزداد ويتضاعف وكانا يجلبا الخير العميم لمجمع الآلهة . ولكنهما كانا يحتسيان المزيد من النبيذ ويختصمان في الحقول والمزارع ويفخر كلّ منهما على الآخر يذّمان بعضهما . واخيراً يتدخل (إنليل) و(إنكي) لفض النزاع بينهما ويعلنان أن الآلهة (أشنان) إلهة الحبوب والزراعة هي التي تتفوق على الإلهة النعجة (لاهار) . وفي هذه الاسطورة ما يدل على أسبقية الحبوب والغلة على النعجة التي تعتاش عليها . .

وتعتبر هذه الاسطورة من ادب المناظرات (الأدمندوگا) ايضاً ، لكن أهميتها تكمن في اشارتها إلى أن الإنسان كان في تلك الازمان القديمة حيواناً يشبه الخراف . . وهي بذلك تعطي فكرة عن خلقه القديم .

ب. أساطير تنظيم الكون المرتبطة بالإله إنكي

ربما نجد في طيات القصائد والمدائح الكثير مما يشير الى وظائف إنكي ومهماته وتنظيمه للحياة على الأرض ، ولكننا سنقتصر الآن على تحليل اسطورتين هامتين تخص تنظيم الحياة على الأرض لإنكي هما تنظيم سومر وترتيله أريدو .

١. تنظيم سومر

هذه الاسطورة مكونة من جزء مهشم يبلغ حوالي ١٠٠ سطر لا نعرف عنه شيئاً سوى بعض السطور التي تصف قدرة إنكي الخصبية :

((عندما يقوم إنكي الموقر ، باجتياز الأرض المبذورة

تنتج (هذه الأرض) حبوبها بكثرة

عندما يزور (نوديمود) نعاجنا الحوامل

تلد عندئذ الحملان السمان

عندما يأتي لزيارة بقراتنا الخصيبة ،

تلد (عندئذ) العجول الممتلئة الجسم !

عندما يأتي لزيارة حقولنا وأريافنا

يجعل الحبّ يتجمع أكواماً وأكداساً على

السهل المرتفع .

وحين تقترب منها ، ولو قليلاً

فإن الاماكن الأكثر جدباً في البلاد

(تتحول الى مراعٍ مخضوضرة) .

(الشواف ١٩٩٦ : ٧٣)

ثم تمضي الأسطورة بوصف مكارم إنكي الذي يسمى هنا احياناً (نوديمود) وهو لقب يعني (الماهر الصنع والخلق) . . حتى تصل الأسطورة الى سومر فيقرر إنكي مصيرها على النحو التالي :

يا سومر ! أيها البلد االعظيم ، يا اعظم بلدٍ في العالم

لقد غمرتك الأضواء المستديمة ، والناس من مشرق الشمس

إلى مغربها ، هم طوع شرائعك المقدسة

إن شرائعك سامية لا يمكن إدراكها

وقلبك عميق لا يمكن سبر اغواره

إن . . كالسماء لا يمكن بلوغها

الملك الذي تلده يزين نفسه بالحلي الدائمية

الرب الذي تلده يضع التاج على الرأس

ربك هو ربٌ معظم، مع (آن) يجلس في المكان المقدس في السماء

الملك هو الجبل العظيم، هو الأب (إنليل)

وهو مثل . . أب البلدان جميعها

الأنوناكي، الآلهة العظام

في وسطك اتخذوا محل سكناهم

في بستانك الكبير، يأكلون طعامهم

إيه يا دار سومر! عسى ان تكثر اسطبلاتك ! عسى ان تكثر بقارك

عسى ان تزداد زرائبك ! عسى أن تكثر أغنامك بحيث لا يمكن أن تعد ولا تحصى» .

(كرير ١٩٧١ : ١٠١).

وتبدو لنا هذه الأسطورة . . اسطورة نموذجية لتنظيم الكون، ففي بدايتها نظّم إنكي الحياة على الأرض كلها ثم على سومر ثم على اور التي هي بمثابة واحدة من اكبر مدن سومر، ثم إن هناك اشارة توحيدية مع انها تشير الى التفريد في نفس الوقت .

«ربك هو ربٌ عظيم» والمقصود به طبعاً هو انليل رب سومر الاول لكن هذا الرب يجلس مع (آن) الذي هو رب العالم كله في المكان المقدس في السماء .

ولذلك نود أن نعيد القاء ضوء جديد على علاقة (آن) ب (إنليل) فالمسألة لا تتعلق بسيطرة الإبن إنليل على سلطات آن وظهوره كرب قوي، بل يبدو من هذه الاشارة وغيرها أن الإله (آن) اصبح يشير عند الكهنة ورجال الدين في سومر الى أنه ربٌ عالمي بدليل ان علامته (دنگر) اصبحت رمزاً لكل اله) أو لمن يراد له أن يكون إلهاً وهكذا أبعد هذا الاله الكوني من المهمات العملية المباشرة التي تخص سومر وأصبح الإله (إنليل) هو الذي يقوم بها وهو إله قومي سومري، أي اننا امام حالة توحيد monotheism يمثلها (ان) وحالة تفريد Henotheism يمثلها (انليل) .

المهم ان الاسطورة تمضي وتصف ما قرره إنكي من مصائر للعاصمة أور :

«لقد جاء الى (اور)

إنكي ملك الماء الذي لا يسبر غوره، وقدر مصيرها

أيتها المدينة التي ازداد طعامها

وغسلت بالوفير من المياه ووقفت كالثور الراسخ

يا دار الرخاء المقدسة على وجه الأرض

ايتها المتضرعة، إنك خضراء كالجبل

إنها الغابة (هاشور) الوارفة الظلال، . . البطولية

هو الذي قدّر مصيرك على أحسن وجه، ،

(كريمر ١٩٧١ : ١٠٢)

وبعد الأرض كلها والدولة سومر والعاصمة أور، يقوم إنكي بتقرير مصير مجموعة كبيرة من البلدان والمواقع والأشياء وهي كما يلي :

١ . ملّوخا (الجبل الاسود التي يرجح انها تقع على الساحل الشرقي من افريقيا) ويباركها كما سومر، ويبارك اشجارها وثيرانها وطيورها ومعادنها وبشرها .

٢ . دجلة والفرات يملأوهما بماءالرقراق ويوكل للإله (أنبيلولو) العارف بشوؤون الأنهار حماية هذين النهرين ، ويملاؤهما بالأسماك حيث (ابن كيش) يحميها .

٣ . الخليج العربي : يقرر نظامه ويعين الاله (سيرار) لحمايته

٤ . القلب الفضي لقلب السماء ويستدعي الاله إشكور لحمايته

٥ . المحراث والفدان والحقل والخضار ويجعل الاله انكيمدو مسؤولةً عنها

٦ . الغلة والحبوب ويجعل الالهة أشنان (قوة كل شيء) مسؤولاً عنها

٧ . الفأس وقالب الآخر ويعنى اله الآجر (كتبا) مسؤولاً عنها

٨ . أدوات البناء (كوكن) ويعين الإله (مشدما) بنّاء إنليل العظيم مسؤولا عن رعايتها .

٩ . نباتات وحيوانات السهول ويعيّن (سموكان) ملك الجبل مسؤولاً عن رعايتها .

١٠ . الاسطبلات وزرائب الأغنام ويملاؤها باللبن والعسل ويجعلها تحت رعاية الإله (دموزي) .

ويبدو أن القصيدة لم تنته بعد فبقيتها مهمشة ولكنها تشير إلى التنظيم الدقيق لكل مظاهر الحياة من قبل انكي ، ولا يمكننا مطلقاً اعتبارهذه الاسطورة اسطورة ثوغونية لانها لا تتضمن ولادة آلهة بل تقرير مصير ورعاية الارض والمدن والأماكن ومظاهر الحياة . وهي كما قلنا قصيدة نموذجية لهذا النمط من الأساطير .

٢. ترتيلة أرديدو (رحلة إنكي من اريدو إلى نفّر)

هذه الاسطورة / الترتيلة تمنحنا اشارةً جديدة مضادة لحقيقة معروفة وهي أن (نفّر) سبقت (أريدو) في الوجود ، بينما الثابت من خلال ثبت الملوك السومريين أن أريدو هي أول مدينة هبطت فيها الملوكية وهي أول المدن السومرية الخمس قبل الطوفان .

كما أن الآثار العلمية أثبتت أن أريدو هي أول مدينة مستوطنة في جنوب العراق (السهل الرسوبي) . . ولأن اريدو هي موطن الإله إنكي ونفّر هي موطن الاله انليل ، فإننا نعتقد أن هذه الاسطورة تشير الى صراع ديني كهنوتي حاول ان يعطي نفّر أهمية واسبقية على أريدو وفي هذا ما يشير الى شكل من اشكال الانقلاب الذكوري ومركزيته ، لأن إنكي لم يكن يمثل طرفاً ذكورياً صارماً ، بل كان انليل يمثل ذلك تماماً بينما إنكي يشير الى ما تبقى من الإلهة الأم لأنه ابنها وزوجها ووريثها .

تبدأ الاسطورة بمديح الإله إنكي وكيف أنه بنى بيته من الفضة وحجر اللازورد في مدينته (أريدو) وحلاّه بالذهب .

وتحتاج بعد ذلك إلى مباركة الإله الأعظم إله سومر إنليل الموجود في نفّر ولذلك يهيء قاربه للسفر ويخرج هو من مياه الأبسو مقره :

«حينما ينهض (إنكي) ، الأسماك . . . تنهض

وتقف المياه التي لا يسبر غورها بعجب واستغراب

المسّرة تدخل إلى البحر

الرعب يتسرب إلى الأعماق

الذعر، يسود النهر العظيم الشأن

ريح الجنوب، تحمل أمواج نهر الفرات»

(كريمر ١٩٧١ : ١٠٦).

ويثيرنا كثيراً وصف بيت الغور (إي - أنغورا) معبد إنكي حيث يظهر البيت مبنياً من الفضة والازورد وقد رقشّة بكل الزخارف وكان النور ينبعث منه وهو في الماء . . وكان مكسواً بالذهب وأسواره عالية ويبدو انه قد بني على ساحل أريدو :

«لا يقوى أحدٌ على متراسك

قفلك أسدٌ مرعب

عواميد سقفك ثور من السماء ! تزيأ بشكل وقّاد

ستائرك من اللازورد، حلية للعواميد ،

. . ثور متوحش ، رافع قرينة ،

مدخلك أسد يعترض الناس ، ،

كساء بابك اسدٌ مسلطٌ على الناس»

(فالكنشتاين ١٩٥١ : ١٨٧).

وحين يصل الإله إنكي إلى مدينة نفّر يجد حفلاً فخماً قد أقامه له الإله إنليل ودعا اليه الآلهة (آن، ننتو ، آلهة الأنونا) بمناسبة إكمال بيت الإله إنكي . . ويتقدم الشراب ويسكر الآلهة. بعدها يتكلم الإله إنليل بهذه المناسبة ويبدو من كلامه انه أب للإله إنكي حيث يقول (إن ولدي الملك إنكي قد بنى له بيتاً) وهذا امرٌ طبيعي اذ لا بد أن يتحول إنليل إلى أب لانكي حتى تتمّ له السيادة المطلقة وحتى تكون نفّر أصلاً لأريدو وهو ما فعله كهنة نفّر :

« عندما جعلوا من البيت

عندها غمرو انليل بالفرح

عندها تكلم انليل إلي آلهة آنونا

ايتها الآلهة العظمى، الذين حضرتم هنا،

يا آلهة آنونا، الذين ذهبتم الى فناء مجلس الشورى

إن ولدي الملك انكي قد بنى له بيتاً،

شيد أريدو ورفعها كالجبل الذي يرتفع من الأرض

لقد بنى البيت في مكان جميل

في أريدو، المكان، الذي لم يدخله أحد،

شيد بيتاً من الفضة وطعمه باللازورد

البيت الذي يجذبُ جميع المعوّذين الكهنة،

قد اعطاهم علم الرقى والتعاويذ،

وبالترتيلة المقدسة يحافظ البيت دائماً على سلامة الأرض،

ويحكمة إنكي وفصله الحسن بين الآجال،

فقد شيد المعبد فوق أبسو لقوي الآلهة الكاملة.

وإذ هو قد بنى لأريدو البيت من الفضة،

فالحمد للأب إنكي،،

(فالكنشتاين ١٩٥١: ١٨٩ - ١٩٠).

وتظهر تسمية الإله (نيراه) وهو (الإله الثعبان) الذي تظهر دئماً على الاختام الاسطوانية في طرف الصورة وخلف الإله إنكي أو خلف زوجته.

ويرى البروفسور فالكنشتاين ان هذه الترتيلة تنقسم الى عدة أقسام حسب موضوعاتها: فالقسم الأول يتناول وصف بناء المعبد على يد الإله إنكي ثم ان المعبد واجزاءه تتكلم معلنة عن الأعمال الخارقة لربها الاله، ويتضح من ذلك ان التماثيل والأشكال النذرية التي كانت تقدم إلى الإله إنكي وتوضع في المعبد كانت تصلي إلى الآلهة وتمجدها، فهي في تسبيح مستمر.

أما القسم الثاني فيتكون من خطاب المديح الذي قام به الخازن أسيمو والشبيهة بمديح يانوس السومري، فإنه يختص بالمعبد ووصفه ايضاً. وقد جاء العثور على الأسدين في اريدو اللذين كانا يحرسان مدخل المعبد مؤيداً لما جاء في هذه الاسطورة، وينتهي هذا القسم بوصف ضواحي المعبد وحواليه ويتناول الحديث وصف أحراش القصب المجاورة له والأثمار الكثيرة المثقلة بها أشجار جنته.

القسم الأخير من الأسطورة يصف الرحلة المائية للإله إنكي إلى مدينة نفّر (ويذكرنا برحلة إله القمر نانا إلى نفّر لتلّقي تبريكات وتقديس والده إنليل وينتهي هذا القسم بالوليمة الإلهية ومدائح إنكي (أنظر فالكنستاين ١٩٥١ : ١٩٠-١٩١).

القسم الثالث

أساطير تدمير الكون
MYTHS OF DESTRUCTION

اذا كانت الاساطير السابقة معنيةً بتنظيم الكون، وكان يقود هذا التنظيم تحديداً الإلهين إنليل وإنكي. فإن هذه الاساطير معنية بتدمير الكون والأرض والإنسان والحياة.

ويأتي تدمير الكون أو الأرض إما من العالم الأعلى بقرار اساسي من الإلهين انليل وآن .. ويكون ذلك من خلال الطوفان، فتنزلُ من السماء الامطار وينفتح قفل السماء فتفيضُ الأرض ويحصل الطوفان، لكن انكي المحب للحياة ينقذ الانسان والحياة من الطوفان عندما يُسِرّ الى زيودسدرا ببناء سفينة وإنقاذ الجنس البشري.

اما النوع الثاني من التدمير فيأتي من العالم الأسفل حيث تنطلقُ بين فترة وأخري مسوخٌ وكائنات سفلية مدمرة تحاول القضاد على المدن وتدميرها أو ايقاف الحياةَ او حتى خطف الآلهة .. مما يخلُ بتوازن الحياة لكن الآلهة الاقوياء يتصدون لكل تنانين العالم الأسفل ويدمرونها وسنتناول هذين النوعين من أساطير تدمير الكون:

١. الطوفان

(اسطورة الدمار القادم من العالم الأعلى).

أسطورة الطوفان السومرية هي واحدة من أهم الأساطير القديمة على الإطلاق لأنها كانت الأساس الذي بنيت عليه أساطير الطوفان البابلية والقديمة بأسرها .. اذ يندر ان تكون هناك أمةٌ قديمة ليس في تاريخها الروحي طوفان شامل وكبير.

وقد وصلنا من مدينة (نفّر) رقيم واحد نشر لأول مرة من قبل الباحث بوبل (انظر Poebel 1914) . ولم يكن بحالة سليمة، حيث كانت الاسطر السبع والثلاثون الاولى مهشمة يأتي بعدها ما يشير إلى أن أحد الآلهة (ربما إنكي) وهو يريد إنقاذ البشرية من الدمار ثم يتطرق النص الى خلق الانسان على يد الالهين آن وانليل وننخرساج ثم فجوة ثم نزول الملكية من السماء إلى الأرض وتوزيع السلطات بين الآلهة ليحكم كل إله في مدينة معينة. ويأتي ترتيب المدن متفقاً مع لائحة أو قائمة الملوك والمدن السومرية قبلّ الطوفان، ولكن الجديد فيها هو تولي كل إله أو إلهة لمسؤولية مدينة وكما يلي :

١ . مدينة أريدو - الإله إنكي (نوديمود)

٢ . مدينة بادتبيرا - الإلهة نوكگك Nugig ومعنى اسمها الخالية من الامراض

٣ . مدينة لرك - الالهة بابلساك Pabilsag ويقرأ ايضاً Hendursag وهو أحد آلهة العالم الاسفل

٤ . مدينة سبار - الإله أوتو اله الشمس

٥ . مدينة شروباك - الإلهة سود وهي الإلهة ننليل زوجة إنليل

وبعد هذه القائمة يكون الطوفان قد تقرر لاجتياح سومر والأرض كلها حيث نقرأ ما يشير إلى أن الإلهتين (ننتو) و(إنانا) تبكيان على مصير الناس القادم، لكن الاله إنكي رغم أنه أقسم لآن وانليل في مجلس الآلهة بعدم إفشاء قرار الطوفان، يقرر الإتصال بالملك زيو سدرا Ziusudra ومعنى اسمه (الذي جعل الحياة طويلة) :

«فسمع زيوسدرا وهو يقف بجانبه

كان يقف وإلى مساره الجدار

يا جدار ! اريد أن اكلمك ، فاستمع إلى كلماتي

واصغِ الى وصاياي!

سوف تكتسح الأعاصير كل المستوطنات في العواصم

إن هلاك ذرية الإنسان . . .

إن القرار الأخير، كلمة المجلس . . .

الكلمة التي نطق بها آنو وانليل وننخرساك

إن اسقاط الملوكية . . الآن »

(علي، ١٩٧٥: ١٢١).

ومعروف أن إسم زيوسدرا يأتي بعد آخر ملك حكم قبل الطوفان وهو (اوبار - توتو) Ubar - Tutu، كما أنه يذكر على انه إبن أوبار توتو وتطلق عليه نسخة اخرى من ثبت الملوك على أنه (ابن شروباك) الذي حكم فترة ٣٦٠٠٠ سنة.

ويبدو أن الإله إنكي ينصح زيوسدرا بصناعة سفينة تنقذه مع أهله.

ثم يأتي الطوفان ويدمر كل شيء

«وجاءت كل الأعاصير والعواصف المدمرة

واكتسحت الأعاصير والعواصم

وبعد أن أكتسحت الأعاصير البلاد سبعة أيام وسبع ليال

وجعلت الأعاصير المدمرة السفينة تتأرجح في المياه العالية

(وعندما انتهى الطوفان) بزغت الشمس فأنارت الأرض والسماء

(وعندئذ) فتح زيوسدرا كوةً في الفلك

فدخلت السفينة بأشعتها الى الفلك

فركع زيوسدرا أمام إله الشمس

ونحر الملك (زيو سدرا) أعداداً كبيرة من الثيران والأغنام)

(على ١٩٧٥ : ١٢١).

وبعد فجوة كبيرة في النص تنتهي الاسطورة بتقديم الصوات إلى الإلهين آنو وانليل ويركع زيوسدرا أمامهما:

«وركع زيوسدرا أمام آنو وانليل

اللذين وهباه حياةً ابدية مثل الآلهة

واللذين رفعاه إلى الحياة الأزلية مثل الآلهة

في ذلك الوقت أسكن (الآلهة) الملك زيوسدرا

الذي أنقذ بذرة الإنسان وقت الدمار

في بلد على البحر، في الشرق، في دلمون»

(علي ١٩٧٥ : ١٢٢).

ونريد أن نتوقف قليلاً عند اسطورة الطوفان عموماً واسطورة الطوفان السومرية بشكل خاص. فأسطورة الطوفان تثير الكثير من الموضوعات المترابطة أهمها فكرة العود الأبدي ودورة الساروس والاسكاتولوجيا الكونية (الموت الكوني وما بعده) واذا كانت هذه الأفكار الحديثة التي تتخفى بجذور يونانية، في الغالب، قد سادت في الفكر الحديث وفي علم الأساطير (المثولوجيا) بشكل خاص، فإننا نود أن نلّمح إلى أن جذورها الحقيقية تكمن في الشرق القديم ولعل بذرتها الأولى تكمن في سومر أيضاً.

إن العود الأبدي الذي يشكل موت دموزي وبعثه أبرز أشكاله السومرية يتمثل أيضاً في اسطورة الطوفان باعتبار ان الطوفان هو موت العالم القديم المتسخ الخاطئ وعودته بعد الطوفان جديداً نظيفاً معافى ولا تخرج فكرة العود الابدي عن فكرة الطوفانات المتكررة أو الحرائق التي تنتاب العالم وإلى الأبد.

أما دورة الساروس (Saros) اليونانية فمشتقة من الفكرة والكلمة البابلية (Shar, sar) التي تعني الدائرة ذات الأصل السومري الذي هو (Sar) والتي ترسم بأربع علامات مسمارية تشكل دائرة مغلقة ورقم هذه الدورة هو ٣٦٠٠، وتعني كلمة السار على المستوى الفلكي السومري والبابلي دوراً يبتدأ فيه العالم من جديد حيث ينتهي قبله عالم قديم اما بالطوفان او بالحريق.

وقد وضع اليونان أكبر دورة كونية واسموها الساروس الكبرى وتقدر بـ ٣٦٠٠٠ سنة وتكتب بالسومرية والبابلية وهي دائرة في وسطها الرقم (١٠) وقد يدل هذا في واحدٍ من معانيه على العاصفة وقد يدل على أن الدائرة بلغت ذروتها عندما

توسطها زحل الذي هو كوكب ننورتا وهوأبعد الكواكب المنظورة حينذاك.

إن دورة الساروس الكبرى عند اليونان باسمها السومري (سار أو) ودورة النيراس التي تقدر بـ (٦٠٠) سنة تسمى بالسومرية (گيش أو) اما دورة الساسوس التي تقدر بـ(٦٠) سنة فتسمى (گيش).

إن بداية الساروس تبدأ مع العصر الذهبي اوالفردوس (دلمون عند السومريين) إن نهايته تنتهي بالفيضان الشامل الذي يكافأ بطله بالذهاب الى دلمون ثانية ليعود الساروس من جديد.

أما الاسكاتولوجيا الكونية (نهاية او موت الكون وما بعده) فهي الاخرى كمقولة دينية أو مثولوجية تجد تطبيقها الحقيقي في الطوفان باعتباره نهاية وبداية العالم في نفس الوقت «فإلى جانب أساطير الطوفان، هناك اساطير أخرى تحكي عن دمار البشرية بواسطة كوارث على مستويات كونية: هزات أرضية، حرائق، دك الجبال.. الخ، إن نهاية العالم على هذا النحو ليست بالنهاية الجذرية، بل هي نهاية للبشرية يعقبها ظهور بشرية جديدة. لكن غمر المياه للأرض بصورة كلية أو حرقها بالنار كلياً، يعقبه ظهور ارضٍ عذراء، إنما يرمز إلى الإنكفاء وإلى العماءً وإلى ولادة كونية» (الياد ١٩٩١: ٥٥).

إن الاسكاتولوجيا (التي هي علم الموت وما بعده) في هذه الحالة تتجسد على شكل كوني أو (كوزموغوني) ويكون لها مغزىً جديد، حيث تبدو أيام الطوفان وكأنها لحظة موت العالم القديم البالي المعاقب أما ما بعده فهو خلقٌ جديد وعالم جديد جاء بعد لحظة الموت تلك، ويرى مرسيا إلياد أن الطوفان يرتبط بخطأ طقسي يثير غضب الكائن الاعلى. ويحدث احياناً نتيجة لشهوة كائن الهي لوضع حد للبشرية ولربما كان السبب الرئيسي المختفي خلف ذلك هو خطايا الناس وشيخوخة العالم ووهن قواه أيضاً.. وبذلك يفتح الطوفان الطريق إلى خلق جديد للعالم وولادة جديدة للبشرية.

إن الانحطاط التدريجي للكون يستوجب دماراً وإعادة خلق دورية. ومن هذا النوع من الأساطير، التي تتحدث عن كارثة نهائية هي في نفس الوقت علامة على خلق جديد وشيك للعالم، خرجت ونمت الحركات التنبؤية في ايامنا هذه. والالفية في المجتمعات البدائية (كل ألف سنةهناك دمار وخلق جديد) بل أنها تكاد تظهر حتى في العقائد السياسية الجديدة كالماركسية.

ولكننا نجد في العام الواحد في نظر القدماء صدىً لكارثة الطوفان أو الحريق هما الصيف والشتاء (ايميش وانتين) والتتابع بينهما بل وأعياد الزكمك الاول والثاني الربيعي والخريفي عند السومريين «وحسبنا أن نذكر بأن الرواقيين قد أخذوا عن هيراقليط فكرة نهاية العالم بالحريق (اكبيروسس)، وان افلاطون (تيماوس) كان يعرف أن النهاية سوف تكون بالطوفان. لهاتين الكارثتين إيقاع يتوافق نوعاً ما مع إيقاع السنة العظمى. بحسب نص مفقود لأرسطو (protrept)، الكارثتان قد حدثتا في اعتدالين: الحريق في الاعتدال الصيفي، والطوفان في الاعتدال الشتوي» (الياد ١٩٩١ : ٦٣).

٢. التنين

(اسطورة الدمار القادم من العالم الأسفل)

الدمار الذي يأتي من العالم الأسفل لا يشبه ذلك الذي يأتي من العالم الأعلى لسببين الأول هو أن دمار العالم الأعلى دمارٌ شامل دوري يبدو وكأنه يخضع لايقاع كوني هائل تقرره الآلهة، أما دمار العالم الأسفل فهو دمارٌ جزئي لا ايقاع له ولا يأتي بصورة منتظمة تنفذه تنانين وعقاريت وشياطين كبرى تقبع في العالم الأسفل.

أما السبب الثاني فهو الدمار الأعلى يتحول إلى نوع من نهاية عالم قديم بال وبداية عالم جديد نشيط، فهو لحظة موت وحياة في نفس الوقت، أما الدمار الأسفل فلا يشير إلى ذلك بل يدل على وهلة ارتباك أو فوضى في قوانين العالم ولحظة عدم توازن، وتخلخل، وترنح سرعان ما تعود بعدها الحياة إلى سابق عهدها وتواصل ماضيها.

إن انفجار العالم الأسفل بتنانين مفزعة بين الحين والآخر يعطي انطباعاً على أن كائنات هذا العالم غير مستقرة كما أن أغلبها يشير إلى ذلك العالم الهيولي القديم الذي دفنته الذاكرة البشرية في أعماقها. . كائنات هيولى الماء الأول مثلاً.

ان هذه القوى القديمة المدفونة في عالم سفلي تحاول دائماً إرجاع الكون أو العالم إلى فوضاه الأولى ولذلك تظهر بأشكال شيطانية وهولات جبارة لا تنتمي إلى العالم البشري او الحيواني او الالهي المعروف، فقد نراها على شكل كائنات ذات رؤوس متعددة أو أجنحة عملاقة أو طيور او افاع أو اسماك غير طبيعية تنبثق (كما ينبثق البركان) من باطن الأرض وتحدث تأثيرها المحدود في الحياة، لكننا نرى دائماً في النهاية كيف يتصدى لها بطلٌ الهي أو بشري ليقتلها ويعيد الحياة إلى ما كانت عليه.

لقد قدّم التفسير النفسي (فرويد وتلامذته) تفسيرات مقنعة وتوازيات دقيقة بين قوى العالم الأسفل المدمرة وقوى اللاشعور الفردي، وأوضحوا أن هذه القوى الفردية هي الـ(هو) أو الـ(أنا السفلى) في النظام الاصطلاحي الفرويدي وهذه تمثل الرغبات المدفونة والمكبوتة والقوى التدميرية ويسميها فرويد قوى الموت. وإن البطل الذي يقهر هذه القوى يأتي غالباً من (الأنا العليا) أو العالم الأعلى ليعيد التوازن الى الشخصية التي ترنحت بتأثير ما اندفع من داخلها.

ويقدم هندرسون (وهو احد تلامذه يونغ) تفسيراً آخر لهذا البطل الذي يخلص الفرد من طفولته وتعلقه بإمه باعتبارها سبباً عميقاً لعالمه الأسفل فيجده ضرورياً لبناء الشخصية وقوتها وتطورها (انظر الماجدي ١٩٩٦ : ٤٤٠)

وهناك مدارس نفسية أخرى وانثروبولوجية واجتماعية تحاول اعطاء تفسيرات أخرى.

ولا نريد أن نذكر كلكامش وقصصه مع خمبابا (هواوا) وثور السماء لان هذه القصص هي ملاحم سومرية وليست أساطير. ولذلك سنقتصر على وصف أساطير التنينين كور وأساج وصراعهما مع الآلهة العلوية.

أ. التنين كور وأساطيرهُ مع الآلهة (إختطاف ارشكيكال وإنكي، ننورتا، إنانا)

يرى صموئيل نوح كريمر أنه بالرغم من أن كلمة كور تدل على الأرض، والعالم الأسفل تحديداً.. إلا أنها تعني في بحوث المعتقدات الكونية الفراغ الكائن ما بين قشرة الأرض والبحر الأول. ومن المحتمل أيضاً ان المخلوقات المتوحشة التي كانت تعيش في قعر العالم الأسفل أُطلق عليها إسم (كور) ولئن صحّ ذلك فإن هذه المخلوقات تشابه إلى حد معين (تيامت) البابلية (انظر كريمر ١٩٧٠ : ١٢٢).

وإذا كنا نختلفُ مع كريمر في وصفه الفيزيائي لـ(كور) وفي مشابهته بـ(تيامت) كما سبق لنا ونوهنا عن ذلك، فإننا يمكن أن نتوصل من خلال أساطيره الثلاثة إلى وصف معقول. فهو تنينٌ على شكل ثعبان كبير يعيش في قعر العالم الأسفل الذي كان متصلاً بمياه البحر الأولى.. ويبدو أن هذا الثّعبان الكبير كان يسيطر على مياه هذا البحر المالحة أو

وتنتج الأرض الغلة والحبوب وثمار النخيل والأعناب وتتكدس في الأهراء والتلال . و بذلك يطيّب الإله ننورتا (كبد الآلهة) . وعندما تعلم ننماخ (التي تظهر في هذا النص كأم لننورتا) تقلق عليه وتتوسله أن تقوم بزيارته لتقر عيونها برؤيته فيخاطبها :

«أيتها السيدة! حيث انك ترغبين في القدوم إلى بلد أجنبي

بانناخ ! حيث انك ترغبين من أجلي في القدوم الى بلد معاد

وحيث أنك لا تأبهين بهول المعارك التي تحيط بي

لهذا فإن التل كومته ، أنا البطل»

(كريمر ١٩٧١ : ١٢٨).

وتنتهي الاسطورة في قسمها الأخير بزيارة ننماخ إلى الجبل الذي صنعه ننورتا ليصدّ به مياه كور ، ويقوم ننورتا إكراماً لننماخ بتسمية هذا الجبل بـ (خرساج) ويعينها ملكة عليه ويبارك ننورتا هذا الجبل كي ينبت أنواع الأعشاب والنبيذ والعسل والأشجار والذهب والفضة والبرونز والماشيه والاغنام . . ثم يلتفت الى الحصى ويلعن كل من كان مع (كور) ويمتدح كل من كان معه في تلك المعركة الفاصلة بينه وبين كور .

كور وإنانا

سنؤجل الحديث عن هذه الاسطورة ضمن القسم المنفصل الخاص بـ (أساطير إنانا)

ب. التنين أساج وننورتا

هناك أوجه شبه كثيرة جداً بين هذه الأسطورة وأسطورة كور وننورتا ، بل أن أساج (أساك) هذا يبدو لنا مساعداً لـ(كور) وهو الذي يقوم هذه المرة نيابة عن كور بمقاتلة ننورتا ويحصل ذات الشيء الذي حصل مع كور حيث يحث سلاح ننورتا(شارو) الالهَ ننورتا على مقاتلة (أساج) الذي يبدو وكأنه سلاح كور وساعده الايمن ، فيهزم ننورتا اولاً ثم ينتصر عليه ، ثم تفيض مياه كور من مكانها ويقيم ننورتا الجبل الحجري كسد بين هذه المياه وبين سومر لكننا نلحظ هنا عدم ظهور الإلهة ننماخ لمباركة هذا العمل وتختتم الأسطورة بمباركة ننورتا لما فعله .

خلاصة القول أن قوى الدمار القادمة من العالم الاسفل تمثلها أيضاً قوة واحدة هي

(كور) الذي يندفع مثل ثعبان مائي نتن من العالم الأسفل ليحاول تدمير الحياة وتعطيلها وخطف آلهتها . . ويبدو أن الاله ننورتا والالهة انانا هما أكثر من يستطيع القضاء على كور ومساعده اساج .

وبذلك تتضح صورة الدمار العليا (الطوفان) والسفلى (كور) ويقوم إنكي بمساعدة الإنسان زيوسدرا بانقاذ الأرض في الأولى، ويقوم ننورتا وإنانا، بانقاذ الارض في الثانية .

ورغم أن الطوفان شامل وساروسيّ ويمثل وجهاً من أوجه العود الابدي الآ أن (كور) لا يبدو كذلك ، بل انه يمثل اندفاعات محتقنه لعالم مهمل ودوني سرعان ما تكضمه الآلهة وتوقفه .

إن ما يلفت الانتباه إلى أن الاسكاتولوجيا السومرية ووسائل الدمار اقتصرت فقط على الماء (الماء الأعلى الذي هو المطر المؤدي للطوفان وهو ماءٌ سماوي الهي، والماء الاسفل الذي هو ماءٌ نتنٌ هيولي) . . ولم نجد في المثولوجيا السومرية ما يشير إلى نار أو أمراض أو إبادة بطرق اخرى . . ويأتي هذا منسجماً مع البيئة السومرية وما كانت تشكله من خير وشر عن طريق المياه .

وهناك اسطورة مدونة باللغتين السومرية والأكدية اسمها (السيدة المتعالية التي هي وحدها العظيمة) تقول أن الإله آن رفع إنانا، على ضوء طلب الآلهة العظام، إلى مرتبة قرينته (أنتوم) المعادلة لرتبته هو وجعل منها نجمة السماء (الزهرة) وزودها بإشارات الألوهية المناسبة لذلك.

ثم منحها الإله إنليل السيادة على الأرض، ويبدو أن الإلهة (إنانا) تحالفت مع الإله الشمس والإله القمر ضد (آن) لكنها تخلت عن ذلك ووقفت في نهاية الأسطورة مع آن وهي تحلم بسيادة السماء (انظر ادزارد ١٩٨٧ : ٥٩).

إنانا وانليل

لم ترتبط الإلهة إنانا بالإله إنليل باسطورة، بل ارتبطت معه بشجرة النسب فقط فهو جدها لانها ابنة إله القمر (نانا) الذي هو إبن الإله (إنليل) وهذا لا يمنع من وجود اساطير خاصة بهما لم يعثر عليها حتى الآن.

إنانا وإنكي

لعل أشهر اسطورة تربط الإلهة إنانا بالإله إنكي هي اسطورة النواميس المقدسة (مي) والتي يشير مضمونها إلى انتقال السلطة والملوكية من (أريدو) إلى (الوركاء) ويرى الباحثون أن «هذه الاسطورة الشيقة والقصة الممتعة، تدور حول (إنانا) ملكة السماء، وانكي سيد الحكمة، وتتسم بأهمية كبيرة بالنسبة لدراسة تاريخ التطور الحضاري، وذلك لأنها تضمنت قائمة ورد فيها ما يزيد على مئة مرسوم مقدس لتنظيم جميع المنجزات الثقافية التي وضعها الكتاب والمفكرون السومريون، وهذه القائمة، على ما تضمنته من تحليل سطحي، قلّ أو كثر، فإنها تؤلف السرى واللحمة في نسيج الحضارة السومرية» (كريمر ١٩٧١ : ١٠٧).

وتتلخص الاسطورة في أن إنانا كانت تريد المزيد من الرخاء لمدينتها (أوروك) ولذلك ذهبت إلى مدينة (أريدو) وهي الموطن القديم للحضارة السومرية ومدينة الاله السومري (انكي) فتصل الى الأبسو موطن انكي فيها، حيث يراها انكي هناك ويقف مذهولاً بجمالها ويستدعي رسوله (اسمود) ويأمره بأن يقدم لها كعك الشعير مع الزبد والماء البارد وخمرة التمر فيفعل ذلك اسمود، ويجلس الإلهان مع بعضهما ويسكران،

وتحدث انانا الاله انكي أن كان يستطيع تسليمها نواميس (الكهنوتية العليا ، والالوهية، والتاج الرفيع ، الخالد، عرش الملكية) فسلمها هذه النواميس ثم زاد عليها بقية النواميس

«رفع انكي كأسه وتقارع مع إنانا النخب مرة ثانية :

أصالة عن نفسي . . ونيابة عن مزاري المقدس

سأمنح ابنتي إنانا

الحقيقة !

الهبوط إلى العالم الأسفل ! الصعود من العالم الأسفل!

فن عمل الحب ! تقبيل القضيب !

إنانا أجابت :

أتسلمها !

رفع إنكي كأسه وتقارع مع انانا النخب للمرة الثالثة

أصالة عن نفسي! ونيابة عن مزاري المقدس

سامنح ابنتي انانا

كهانة السماء المقدسة!

إقامة المناحات! إنعاش القلب !

إصدار الأحكام! إصدار القرارات

إنانا أجابت : أتسلمها !

(أربع عشرة مرة رفع انكي كأسه لانانا

اربع عشرة مرة منح ابنته خمسة me، ستةme ، سبعة Me اربع عشرة مرة تسلمت انانا الـMe المقدسة ،»

(الشوك ١٩٩٢ : ٣٠)

بعدها أخذت النواميس التي بلغ عددها في النص (٨٠ ناموساً) ووضعت في زورق السماء وبدأت بالرحيل على ساحل أريدو إلى اوروك بينما كان إنكي يترنح في سكره،

ولعلّ العيد الأول كان يمثل الاحتفالات الكوميدية أما العيد الثاني فقد كان يمثل الاحتفالات التراجيدية، ولا نستبعد أن يكون مصدر الكوميديا والتراجيديا عند اليونان قد أخذ من هذه الاحتفالات التي استبدلت شخصية دموزي بشخصية الاله (ديونزيوس) أو (باخوس).

وقد حاولنا أن نقدم في هذه المعالجة الميثولوجية تصنيفاً معقولاً لأساطير وقصائد انانا ودموزي فاتبعنا المنهج السابق اي تقسيمها إلى نوعين: الأول كوميدي مفرح يعالج اساطير وقصائد الحب بين إنانا ودموزي، والثاني تراجيدي بكائي يعالج الأساطير والقصائد بينهما بعد أن حكم على دموزي بالموت. ووجدنا (حسب تصنيفنا)هذا) أن كل قسم له سبع عنوانات أساسية تندرج تحتها القصائد والأساطير.

القسم الأول

أساطير وقصائد الحب بين إنانا ودموزي

١) المنافسة بين دموزي وإنكمدو إنانا

تعد هذه القصيدة الاسطورة واحدة من أكثر القصائد شهرة، وهي من الناحية الادبية يمكن أن تصنف كنوع من البلبال (الحوار مع الموسيقى) أو الادمندوكا (المناظرات) وتبدأ بمخاطبة الإله أوتو إله الشمس السومري لاخته إنانا حول الكتان الذي بذره في الأرض وكيف أنه سيجلبه لها من الثمرة فتجيبه إنانا (أخي، بعد ان تجلب لي الكتّان، من سيحلجه لي؟) فيجيبها أوتو بانه سيجلب الكتان لها محلوجاً.. وهكذا تستمر الحوارية على نفس النسق بعد الحلج يأتي الغزل ثم الجدل، ثم السداء، ثم النسج، ثم القصر حتى تقول انانا لأخيها (أخي وبعد أن تجلب ملاءة العرش من سينام معي؟ (فيقول لها بأن عريسها الذي هو دموزي الراعي هو الذي سينام معها لكنها تقول ترفض ذلك وتقول بأن انكمدو الفلاح هو رجل قلبها وأنه سيكّوم لها اكداس الحبوب. فينصحها أوتو بالزواج من الراعي بسبب قشدته الشهية وحليبه ولبنه لكن انانا ترفضه بسبب ملابسه الرثه وصوفه الخشن وتفضل عليه الفلاح الذي يزرع الكتان لملابسها ويزود مائدتها بالشعير، وهنا ينتفض دموزي ليقول:

«لماذا تتحدثين عن الفلاح؟

لماذا تتحدثين عنه؟

إذا اعطاك صوفاً أسود ،

إذا اعطاك طحيناً أبيض ،

سأعطيك صوفاً أبيض

إذا أعطاك جعة

سأعطيك حليباً صراحاً

إذا أعطاك خبزاً

سأعطيك جبناً حلواً

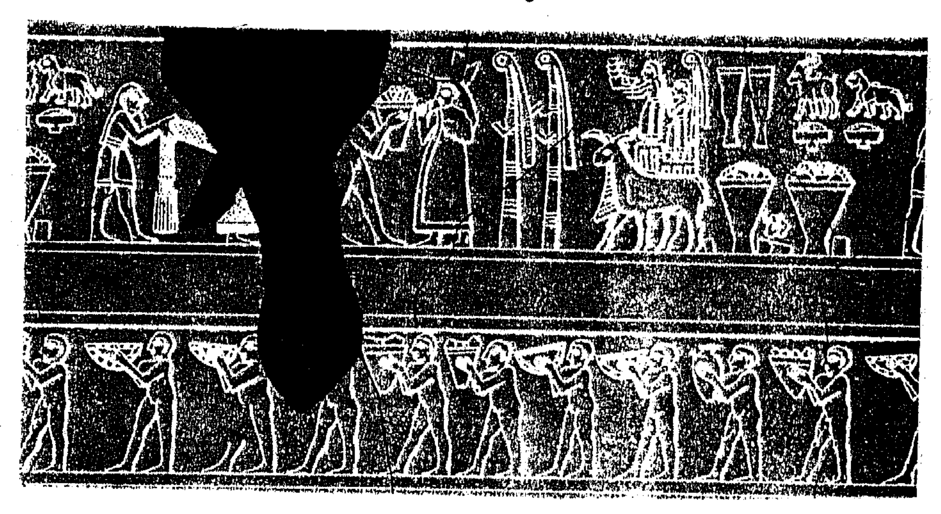
أنا الذي سأعطي الفلاح بقايا قشدتي

أنا الذي سأعطي الفلاح بقايا حليبي

لماذا تتحدثين عن الفلاح ؟

ماذا لديه اكثر مني ؟ ، ،

(الشوك ١٩٩٢ : ٥٠).



شكل (٧٠)

تقديم الهدايا إلى إنانا من قبل دموزي وأتباعه

٤. إنانا تلتمس موافقة أبيها القمر

تخبرنا هذه القصيدة أن انانا تشعر بالحاجة لكي تلتمس موافقة أبيها الإله نانا (إله القمر) قبل أن تمنح نفسها الى عاشقها دموزي. . وتبدأ القصيدة بذكر تفاصيل عن زينة انانا لمختلف انحاء جسدها بمختلف انواع الحجارة الكريمة والمجوهرات والحلي واللآلئ فصدرها مزينٌ بحجر اللازورد، وأردافها ورأسها مزينة بالخرز البيضوي، وضفائر شعرها مزينة بحجر الدورو وآذانها مزينة باقراط برونزية، ووجهها وانفها وعجيزتها بأنواع الحلي، سرتها مزينة بالأبستر اللامع، وفرجها مزين بالصفصاف، وأقدامها مزينة بخفين.

وبعد أن تتزين إنانا بزينتها هذه وتخرج ترى دموزي واقفاً لها بباب حجر اللازورد (باب جيبار) لكنها ترسل رسالةً إلى أبيها تخبره فيها بأنها تريد الزواج من دموزي:

«سوف آخذ الى هناك رجل قلبي،

سوف آخذ إلى هناك أمّا وشوم گال آنّا،

سوف يضع يده بيدي

ويضم قلبه إلى قلبي

وضعه اليد باليد - ينعش الفؤاد

ضمّه القلب الى القلب - لذته بالغة الحلاوة»

(كريمر ١٩٨٦: ١١٢).

٥. إنانا تلتمس موافقة أمها ننكال

في هذه القصيدة تلتمس انانا موافقة ونصح امها حيث يأتي دموزي الى بيت انانا وهو يحمل هداياه من اللبن والقشدة والجعة ليطلب يدها، فتبدي انانا تردداً في قبول مجيئه لكن أمها تحثها على الإذن له بالدخول:

«هو ذا الفتى، هو أبوك

هو ذا الفتى، هو امك

أمه تدللك كما تدللك امك

ابوه يدللك كما يدللك أبوك ،

افتحي البيت ، اي مليكتي ، افتحي البيت»

(كريمر ١٩٨٦ : ١١٢).

وتقوم الإلهة انانا بالاستعداد والتحضير لاستقبال دموزي . .

«استحمت ومسحت جسدها بزيت الطيب

غطت جسدها بالرداء الملكي الأبيض

أحضرت بائنتها

نسقت خرز قلادتها الفيروزية حول عنقها

حملت ختمها بيدها

دموزي كان ينتظرها بصبر فارغ

إنانا فتحت له الباب

من داخل المنزل كانت تشع أمامه

مثل ضوء القمر

دموزي تطلع اليها والبهجة تغمر قلبه

ثم أطبق عنقه على عنقها

وقبلها ، »

(الشوك ١٩٩٢ : ٥٣).

٦. اللقاء السري بين إنانا ودموزي

كانت إنانا توصف دائماً بالفتاة اللعوب ، وهي رغم استشارتها لأمها وأبيها بشأن دموزي ، الاّ أنها كانت تختلي بحبيبها سرّاً لوحدهما على ضوء القمر . ففي قصيدة رائعة من قصائد الحب تبدأ إنانا بالحديث عن نفسها كملكة وكالهة لكوكب الزهرة ثم تروي كيف أنها تمضي الوقت طوال النهار في الرقص والغناء حتى يأتي الليل فيلتقي بها دموزي

أ) الكهنة يهيئون الفراش المخصب للعروسين في معبد إنانا :

في معبد إنانا (اي - أنّا) اي بيت السماء يقوم الكهنة (لابسو الكتّان) باعداد الهيكل وغسله بالماء ثم يخبرون دموزي الذي كان قد قدم إلى المعبد بأن انانا قد جاءت ويحثّونه على التقدم نحو عرشها . فيتقدم دموزي نحوها وتعده انانا بانها ستحقق الرفاه للبلاد وللناس وسيسود العدل ، فيقوم دموزي بالطلب من انانا ان توزع الشراب والطعام :



شكل (٧٣)

كاهنان بدور دوموزي وإنانا ، نفر: الألف الثاني ق.م

«صدرك يا اينين هو حقل

أي إنانا ، صدركِ هو حقل :

حقلٌ متسعٌ ينتج الزروع

حقلٌ فسيحٌ يسكب الحبوب!

إنشري من أجل الملك

الشراب بوفرة ، إنشري من أجل الملك ،

فيضاً من الأطعمة

الشراب بوفرة ، من أجل الملك والأطعمة انشري

فيضاً من الأطعمة

تقبلي أن أحصل عليها من قبلك ، ،

(الشواف ١٩٩٦ : ١٢٢) .

ب) اله النار يطهر الفراش المخصب للعروسين في معبد إنانا :

في معبد إنانا ايضاً يقوم اله النار (جيبيل) بتطهير الفراش المخصب للإلهين ، ويمكن أن يكون هذا طقساً سحرياً ثم يزينه بحجر اللازورد ويقيم لهما مذبحاً في بيته المليء بالقصب لتأدية الشعائر ، ثم يلتمس من انانا لكي تبارك الملك دموزي في ليلة الحب وتمنحه الصولجان والمحجن ، ثم يظهر تحرق الملك لاشتهاء اللقاء واعداده الغطاء لفراش الزواج وأمانيه بأن تجعله انانا حلواً يبهج القلب ، ثم يعرفنا النص بالإلهة ننشوبر وزيرة انانا التي تقوم بقيادة الملك إلى حضن عروسه راجية أن تباركه وتبارك حكمه لبلاد سومر وما جاورها ، وأن يزيد زواجهما خصوبة التربة والأرحام والوفرة للجميع :



شكل (٧٤)
كاهنان بدور دوموزي وإنانا
سوسة : الألف الثاني ق.م

وما أن يلتقيان حتى يتضاجعان ويتدفق من حضن دموزي (ماء القلب) الذي هو المني ، فتبدأ الحبوب بالنمو ويطلع الزرع في السهوب والمروج أما إنانا فيملأ قلبها السرور وتطلب منه ان يقدم لها اللبن الدسم والطازج من يده، وأن يدفق من أجلها لبن الماء ويملأ مخضّتها المقدسة وتعده بأن تحافظ على مستودعه وحظيرته وتسهر على بيت الحياة حيث تقرر مصائر الناس والكائنات الحيّة .

د. منتهى سعادة انانا هو النوم بقرب دموزي

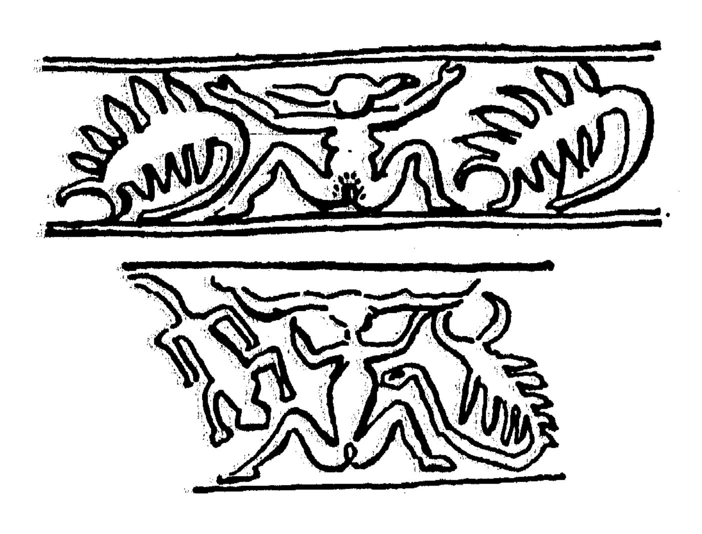
في بلبال صغير هناك حديث لمرافقات انانا للإشادة بدموزي صهر الإله القمر وننكال حيث تكيل مديح له باعتباره قائد سفينة (ماجور) وسائق العربة والأب والقاضي والذي يزود أُمها بكل الخيرات فتجيب انانا .

«قدومك يبعث الحياة

قدومك إلى البيت يحمل الكثرة

النوم بقربك ، منتهى سعادتي ، »

(الشواف ١٩٩٦ : ١٢٦).



شكل (٧٦)

إنانا إلهة الجنس ، ختم اسطواني من أور

هـ. موسيقى مخضّة الحليب

يدور هذا النشيد المكوّن من أربعة مقاطع حول موسيقى مخضّة الحليب وكيف ان هذه الموسيقى تجعل إنانا تتهيج وتفرح ، وفي المقطع الثالث يغوي دموزي حبيبته الدخول إلى الحظيرة التي ستتهلل أمامها وعندما تقترب من المغالف فالنعجات سينشرن صوفها في حضنها ، وبعدها ستنضج القشدة واللبن وتكون الحظيرة خصبة ليتمكن دموزي من تمديد حياته وأيام الكثرة .

«يا للنغم العذب ، مثل صوت بقرة

يا للصدى العذب ، مثل صوت عجل

أي إنانا ، انت التي تطوفين في الحظيرة

ما أن تصلي اليها ايتها الصبيّة

حتى تُسمع المخضّة نغمها . . أي إنانا !

مخضّة حبيبك سوف تُسمع نغمها !

مخضّة دموزي سوف تسمع نغمها

المخضّة سوف تسمع نغمها . . أي انانا !

مخضة دموزي سوف تسمع نغمها »،

الشواف ١٩٩٦ : ١٢٧).



شكل (٧٧)

كاهنان بدور دوموزي وإنانا ، في طقوس الزواج المقدّس

يا حبيب امه، انت لي!

انت ذو اليدين الناعمتين والرجلين الجميلتي الشكل!

إغمرني بحنوك إلى الأبد!

أنت الذي بحيوية وإقدام، سحرت لي

سُرّتي (يا حبيب أمه، أنت لي)

أي . . ذو حلقات الشعر الجميلة : الخس

الذي ينمو قرب الماء،،

(الشواف ١٩٩٦ : ١٣١).

ح. آه . . كم هو مرتفعٌ صدري

هذه قصيدة حوارية طويلة بين انانا ودموزي ويظهر مرافقات انانا قربها وتبدأ القصيدة بالحوار بين العاشقين وسؤال دموزي لها عن ما فعلته في دارها فتجيبه بانها استحمت وتزينت بكل ما لديها من ادوات زينة، اما هو فيجلب لها الهدايا وخصوصاً الارغفة التي يرتبها حول صورتها ثم تأمر إنانا تابعاتها ان يجلبن القشدة والجعة له. أما دموزي فيجلب لها الجداء الجميلة والنعاج، وبعدها تتحرق إنانا شوقاً للقاء دموزي وتخبره بما حصل بها:

«آه، كم هو منتفخٌ صدري

وأية فروة كست فرجي

لتكّن سعيدات، أنا التحقُ بحضن حبيبي

سيد الكرم والجود

إرقصن، ارقصن جميعكن

قسماً بـ (باو) لتكّن مبتهجات من أجل فرجي

إرقصن، إرقصن جميعكنّ

سوف تكون خاتمة هذا اللقاء جيدة

بل ممتازة من أجله

أحضرن، إحضرن، إحضرن القشدة كثيفة

والجعة مثملة، ،

(الشواف ١٩٩ : ١٣٤).



شكل (٧٩)

رجل وامرأة في مشهد الزواج الالهي المقدس فوق جذع شجرة والى جانبهما الحيّة؛ طبعة ختم مسطح من الألف الرابع ق.م تبة كاورا - العراق

ط . يتجه نحوي تحت حرّ الظهيرة

هذه قصيدة غزل قصيرة توضح كيف أن دموزي أدخل إنانا إلى حديقته وجعلها تركن معه على زهراء مرتفعة وكيف أنه وضعها تحت شجرة تفاح، ويبدو أنه تركها في الحديقة فقامت هي بانتاج خضار وحبّ له وعندما جاء سكبتها أمامه

بد ان نعثر عليها ذات يوم . ونرى إنانا تعترف بأنها سببت له هذا المصير القاسي القادم .

،،أنا التي بدون شك سببت لك هذا المصير القاسي يا أخي ياذا الوجه الجميل !

لقد وضعت يدك اليمنى على فرجي

وكانت يدك اليسرى تداعب شعري

وفمك كان ينضغط على فمي

وعلى فمك كانت شفتاي منضغطين :

ولهذا السبب ، أصبحت هدفاً لمصير في منتهى القساوة !

هذا ما سيكون يا (ملتهم) النساء ، يا أخي

يا ذا الوجه الجميل !

كم كان إغراؤك عذباً ، يا حامل أزهاري

يا حامل أزهاري ،،

(الشواف ١٩٩٦ : ١٤١)

إذن نحن أمام سبب جديد هو ما فعله دموزي مع إنانا من أفعال الحب فهل كانت غير راضية ؟ لا نعتقد لانها تقول (كم كان إغراؤك عذباً) . . إذاً ما هو السبب ؟ ما زلنا نرى أن في أصل دموزي يكمن السبب . .

فهل كان دموزي بشراً أو ملكاً ومنح الألوهية . . وكان لا بد بسبب أصله البشري أن يواجه الموت كما يواجه البشر ، ولكنه بسبب من الوهيتة أيضاً واجه موتاً دائرياً ، يخرج ويدخل إلى العالم الأسفل إلى الأبد كل نصف سنة .

أم أن دموزي من الآلهة الثانوية (ربما الايجيجي) أو آلهة العمل بحكم كونه راعياً ولذلك كان من المستحيل عليه الزواج بآلهة عظيمة مثل إنانا . . وعندئذ حصل هذا وأحبت النجمة الراعي وكان لا بد أن تبيّت له مصيراً قاسياً ، وفي هذا أيضاً ما يدفعنا للقول بأن دموزي هو الإله الوحيد من نسل انكي الذي تزوج الهة من نسل انليل فكان لا بد أن يموت .

أم نبتعد أكثر فنقول أن مستوى حب الآلهة كان روحياً ورفيعاً، فعندما هبط به دموزي إلى الأرض ومرّغه بالجنس المكشوف والحاجة الملّحة للطعام والشراب، أصبح دموزي هدفاً للموت.

كل هذه الاسئلة وغيرها تثيرها هذه القصيدة وغيرها، لكننا قد نجد مفتاحاً للأسئلة عندما نقرأ مصير دموزي والنصف الثاني من حياته.

القسم الثاني

أساطير ومراثي دموزي

لا شك أن أسطورة نزول انانا للعالم الأسفل هي الحادثة التي تفصل بين القسمين الأول والثاني من هذه الأساطير، وسنتناول هذه الاسطورة لاحقاً حيث تنتهي بخروج انانا من العالم الأسفل ومعها جنود ذلك العالم (الكالا) الذين يرافقوا إنانا كي تأتي ببديل عنها ليعودوا به إلى العالم الأسفل وحين تمّر بمدنها التي تركتها قبل ان تنزل واحدة بعد اخرى ترى أن الجميع كان حزيناً عليها لكنها حين تصل إلى أوروك فإنها تجد دموزي فرحاً ومن هنا تبدأ المأساة.

١. إنانا تختار دموزي بديلاً عنها

في أوروك وقرب شجرة التفاح الكبيرة كان دموزي، زوج انانا، مرتدياً ملابسه الزاهية من الـ(مي) وكان يجلس على عرشه العظيم، فعندما رأته انانا هكذا نظرت اليه بعين الموت وأطلقت ضده صرخة الغضب ونطقت بحقه القرار بالجرم (خذوه! اخذوا دموزي معكم).

«الغالا الذين لا يعرفون ما هو الطعام، ولا يعرفون ما هو الشراب

الذين لا يتناولون تقدمات، ولا يشربون مهراقاً،

الذين لا يتقبلون هدايا، أمسكوا بدموزي

أجبروه على الوقوف، أجبروه على القعود

وضربوا زوج إنانا

جرحوه بالفأس

دموزي انتحب عالياً

رفع يديه إلى السماء إلى أوتو إله العدل وتضرع اليه»

(الشوك ۹۹۲ : ۹۱).

۲. فرار دموزي الأول

يطلب دموزي من الاله أوتو أن يحوّل ذراعية إلى ذراعي أفعى وكذلك قدميه حتى لا يمسك به العفاريت فيستجيب له اوتو :

«اوتو الرحيم تقبل دموع دموزي

أحال ذراعي دموزي إلى ذراعي أفعى

أحال قدمي دموزي إلى قدمي أفعى

فهرب دموزي من عفاريته

ولم يعد بمقدورهم الأمساكبه»

(الشوك ۱۹۹۲ : ۹۲)

ويبدو أن دموزي رحل إلى بيت بلدته حيث بيت اخته گشتن أنا ولكنه قبل ان يصل البيت حلم حلماً

۳. حلم دموزي

كان دموزي قبل الوصول إلى بيت اخته حزيناً وقد رثى نفسه وهو في طريقه اليها

«أيتها البرية ، إعولي من أجلي

أيتها السرطانات في النهر ، تفجعي عليّ

أيتها الضفادع في النهر، نقّي من أجلي

يا أمي، سرتور، إبكي من أجلي

إن لم تجد أرغفة القربان الخمسة

إن لـم تجد أرغفة القربان العشرة

إن لـم تعلم بيوم موتي

أنت ، أيتها البرية ، خبريها ، خبري أمي

في البرية ، ستذرف أمي الدموع من أجلي

في البرية ، ستحزن شقيقتي الصغيرة عليّ ، ،

(الشوك ١٩٩٢ : ٩٢).

ومن شدة تعبه وبكائه استلقى بين الاعشاب وحلم حلماً مفزعاً وحين وصل إلى بيت اخته روى لها الحلم :

«أسلٌ يشطأ فيما حولي ، أسلٌ ينمو بغزارة حولي

قصبةٌ فريدة نامية اهتزت أمامي

من قصبةٍ ثنائية المنبت ، اختفت واحدة أول الامر ، ثم الأخرى .

في أجمة أشجار ، تعالى رعب الاشجار من حولي

ماءٌ أهرق فوق موقدي المقدس

قعر ممخضتي انفصل عنها

كأس شرابي هوت من مشجبها

عصاي اختفت

نسرٌ خطف حملاً في الحظيرة

بازٌ انقضّ على عصفور حط على السياج القصبي

شقيقتي ، عنزاتك تجرجر ذقونها الفيزوزية على التراب

خرافك تخط على الأرض بحوافر معوجة

الممخضة مهملة هناك : لا حليب يُصب

الكأس ملقاة مهمشة: دموزي لا وجود له

حظيرة الغنم تصفر فيها الرياح ، ،

(الشوك ١٩٩٢ : ٩٤).

هذه الصورة البديعة لحلم دموزي تنبئ عن مصير شديد القساوة فعلاً فقد فُزعت أُخته وفسرت له الحلم فقرةً فقرةً وكانت كل فقرة تقول بموت دموزي واخته . .

٤. العثور على دموزي

تقوم گشتن أنا مع دموزي وصديقه بالصعود إلى التل والنظر إلى الطريق واذا بهم يرون أن الگالا الكبار قادمون ويحملون خشبةً لقيد الرقبة فتقول اخته له اذهب واختبئ، ويختبى دموزي بين النباتات الصغيرة والأشجار الكبيرة وفي قنوات أرالي . وتعده اخته وصديقه بأن لا يكشفا مكانه ويرى الگالا بأن دموزي لا يختبىء في بيت اخته أو صديقه أو صهره، فيذهبون لأُخته ويغروها لتفشي سر مكان دموزي (قربوا السماء نحوها . . قربوا الأرض نحوها، گشتن أنا لم تحر جواباً مزقوا ملابسها . . سكبوا قطراناً في رحمها، گشتن أنا لم تحر جواباً) ثم ذهبوا لصديقه وأغروه بالحبوب كهدية فقال دموزي اختبأ في العشب لكني لا أعرف المكان ثم بحثوا بين النباتات الصغيرة ثم الأشجار الكبيرة ثم قال صديقه (دموزي اختبأ في قنوات أرالي) وهكذ وشي الصديق بصديقه فقبضوا على دموزي الذي صرخ قائلاً (شقيقتي أنقذت حياتي . . صديقي سبب موتي) .

وهكذا أحاط بدموزي الگالا وقيّدوا يديه ورقبته وضربوه، لكنه رفع يديه إلى السماء وطلب من أوتو إله العدل أن يغيّر يديه إلى يدي غزال وقدميه إلى قدمي غزال ليدعه يهرب إلى كوبيرش حيث العجوز بليلي فيفعل .

٥. فرار دموزي الثاني والثالث والقبض عليه

ويفّر دموزي بقدمي ويدي غزال إلى مدينة (كوبيرش) حيث بليلي العجوز ليلتجيء اليها وتصب له الماء ليشرب والطحين ليأكل ثم تغادر المنزل، واذا بجموع الگالا يدخلون المنزل حين خرجت ولكن دموزي يهرب مرة ثالثة الى حظيرة اخته فيلحقونه .

«عندما شاهدت گشتن أنّا دموزي في الحظيرة ،بكت

قربت فمها من السماء

قربت فمها من الأرض

حزنها غطى الأفق كرداء»

وخمشت عينيها وفمها وفخذيها وكان الگالا يتسلقون سياج القصب فوجدوا دموزي، وتقدم الأول وضربه على خده بمسمار حاد، والثاني على خده الآخر بعصا الراعي، والثالث هشّم قعر المخضّة، والرابع أسقط كوب الشراب من مشجبها، والخامس حطم المخضّة، والسادس حطم الكأس أما السابع فصاح :

«أفق دموزي !

زوج إنانا ابن سرتور، شقيق گشتن أنّا

أفق من نومك الزائف

نعاجك صودرت ! حملانك صودرت

عنزاتك صودرت ! جدياتك صودرت

إخلع تاجك المقدس من رأسك

إخلع رداء الـ (مي) من جسدك

دع صولجانك المقدس يسقط على الأرض

إخلع نعليك المقدسين من قدميك

عرياناً، تمضي معنا،،

(الشوك ١٩٩٢ : ١٠٦).

وهكذا قبضوا عليه، وتركوا الحظيرة تعزف فيها الرياح وذهبوا به الى العالم الأسفل بديلاً عن إنانا.

٦. مراثي إنانا وتسليم دموزي إلى يدي الأبدية

حين اختفى دموزي حلّت الفاجعة في مدينة أوروك، وعلى غير ما توقعت إنانا بأنها ستكون فرحة بأن يذهب بديلاً عنها إلى العالم الأسفل ساد الحزن كلّ شيء واقيمت

المناحة في المدينة ، وبكت انانا بكاءً مراً على زوجها ومنزلها ومدينتها :

«أسائل التلال والوهاد : أين زوجي

أقول لها : لن يكون بمقدوري بعد الآن أن آتي له بالعطام

لن يكون بمقدوري بعد الآن أن اقدّم له الشراب

إبن آوى ينام في فراشه

الغداف يقيم في حظيرته

تسألونني عن مزماره؟

لا بد أن الريح تعزف به الآن له

تسألونني عن اغنياته العذبة ؟

لا بد أن الريح تغنيها له»

(الشوك ١٩٩٢ : ١٠٨).

وتفعل سرتور ذات الشيء وتبكي ابنها بمرارة وتذهب إلى مكانه المهجور وكذلك تفعل اخته گشتن انا ، وحين تشاهدها انانا تقول لها (ان منزل شقيقك لم يعد له وجود وأنا لا اعرف مكان دموزي) فتظهر الذبابة وتحوم فوق رأس انانا وتقول لها (إذا اخبرتك اين هو دموزي ماذا ستقدمين لي) فترد انانا (إذا أخبرتني سأجعلك تترددين على حانات البيرة والخانات حيث تسمعين أحاديث الحكماء واغاني المغنين) فتقول الذبابة انه هناك على مشارف البرية فتذهب إنانا وگشتن أنا إلى دموزي ويجدونه يبكي ، حينها تمسك انانا بيد دموزي وتقول :

«ستمضي في العالم الأسفل

نصف السنة

وشقيقتك ، حسب ارادتها ،

ستمضي النصف الآخر

وفي اليوم الذي تستدعى أنت ،

في ذلك اليوم سوف يأخذونك

في اليوم الذي تستدعى كشتن آنا

في ذلك اليوم سيطلق سراحك

إنانا أسلمت دموزي الى يدي الأبدية ، ،

(الشوك ١٩٩٢ : ١١٢)

وعند هذا الأمر يتقرر المصير الأخير لدموزي فهو الى الأبد سيبقى أسيراً بين العالم الأرضي والأسفل يدور بينهما

٧. إنانا والعجوز بليلي (بليلو)

هذه اسطورة غريبة ورائعة في نفس الوقت ، ولها أهمية خاصة في توضيح جذر فكرة (العشاء الاخير) المسيحية من خلال ما حدث لدموزي وإنانا وبليلي .

تبدأ الأسطورة بوصف حظيرة دموزي وكيف أنها أصبحت خربةً وأن البكاء مستمر عليه فتستأذن إنانا أمها ننگال لتسمح لها بالذهاب الى حظيرة أغنام زوجها لترى بنفسها ما حدث ، وتذهب إلى هناك وهي (العارفة جداً، الذكية جداً) وتجد أن أغنام دموزي قد تشتت في البوادي فتقوم بجمعها ، ثم تصوغ مرثيةً لدموزي تدعوه فيها أن يُبعث وأن يقوم من رقاده :

«أنت يا من ترقد ، أيها الراعي ، أنت يا من ترقد ، قم إرع شؤوني دموزي ، أيها الراقد قم ارعها

نهاراً ، منتصباً ، فلترع شؤوني

ليلاً ، مضطجعاً ، فلترع شؤوني ، ،

(كرير ١٩٨٦ : ١٨٨).

ثم تصادف انانا عائلة إلهية في تلك الأماكن مكونة من ثلاثة أفراد هم :

١ . العجوز بليلي (بليلو) وهي قيّمة ، تعرف شغلها وسيدة هبات .

٢ . جرجير : إبنها وهو رجل متوحد سريع البديهة ولص ماشية وحبوب .

٣ . سرو : حفيدها وهو فتى لا أصدقاء له يمضي وقته في محادثة أبيه .

ويبدو أن موقف بليلي العجوز من دموزي وهربها من بيتها بعد أن جاء وقدمت له الماء والطحين، بحيث كان هروبها سبباً في دخول الكالا والقبض على دموزي ، هذا الموقف هو السبب في جعل إنانا تقرر مصائر جديدة لهذه العائلة وهي :

١ . قتلت العجوز وحوّلتها (وربما حوّلت جلدها) الى قربة ماء بارد .

٢ . جعلت إبنها إلى جانبها ليصبح (اودوج) القفر و(لاما) القفر .

٣ . جعلت حفيدها يجوب ارجاء القفر ويسكب الماء ويرش الطحين ثم يقيم محلين للراحة وأن هذا كله سوف يجعل العجوز بيليلي مسرورةً .

ويبدو أن ما قامت به انانا يذكّر بما قدمته بليلي لدموزي (الماء والطحين) فقد ارادت ان تبقي ذكرى لآخر ما تناوله دموزي وان تعمل ما يشبه الثواب أو ما يذكّر به ، فقتلت العجوز وصنعت من جلدها قربةً وجعلت الماء يقدّم في محل والطحين يقّدم في محل آخر . وإن هذا كله سيكون بمثابة الخبز الربانيّ الذي يقدّم في تلك البرّية استذكاراً (للعشاء الأخير) الذي تناوله دموزي .

ومن المؤكد أن كل حياة دموزي تذكّر بقصة السيد المسيح وأن لنا ما سنقدمه في هذا المجال لنؤكد صلة الأديان ببعضها . . وكيف أن الدين السومري رغم قدمه شحن الأديان اللاحقة باساطيره وطقوسه الكثيرة حتى وان كانت هذه الاديان موحدةً كالمسيحية .

٣. إنانا وملوك سومر

يعتبر طقس الزواج المقدس وأناشيده وأساطيره واحداً من أهم الطقوس الدينية والدنيوية، فقد أصبح زواج انانا ودموزي، مثار اهتمام ملوك سومر منذ القدم وتحديداً منذ الملك اينمركار الملك الثاني من ملوك اوروك . . ويقينا ان الكثير من ملوك سومر (بل جميعهم) قد مارسوه وتركوا لنا نصوص الاحتفال به لكننا سنخص بالذكر ستة نصوص جاءت من أربعة ملوك هم شولجي الملك الثاني لأور (٢٠٩٣ - ٢٠٤٦) ق.م والملك شوسين الملك الرابع لأور (٢٠٦٣-٢٠٢٨) ق.م ، والملك إيدين - داجان ملك مدينة إيسين (١٩٧٤ -١٩٥٤) ق.م، والملك إيشمي داجان ملك مدينة إيسين (١٩٥٣ -١٩٣٥) ق.م .

ولا بد من الاشارة هنا إلى أن انانا في هذه النصوص تمثلها الكاهنة العليا التي يتزوجها الملك مع بداية عيد رأس السنة .

ولا بد قبل ذكر نصوص الزواج المقدس الملكية التطرق لاسطورتي انانا وكلكامش باعتباره ملك اوروك قبل هؤلاء الملوك زمنياً .

١. إنانا وكلكامش

أ. اسطورة الثور السماوي: وهي من القصص السومري الخاص بكلكامش ولكنها ترتبط بالإلهة إنانا، فقد أدهش كلكامش ببطولاته وقررت إغواءه وجعله حبيباً لها وعرضت ذلك عليه، لكن كلكامش رفض عرضها هذا وذكرها بالذين أحبتهم: دموزي الذي نفته إلى العالم الأسفل وطائر الشقراق المرقش الذي ضربته وكسرت جناحه، والأسد الذي وضعت له المصائد ، والحصان الذي سلطت عليه السوط، والراعي الذي مسخته ذئباً . . الخ. فشكت إنانا كلكامش إلى الإله آن وطلبت منه جراء هذه الاهانة أن يسلط على أوروك مدينة كلكامش الثور السماوي فرضخ مرغماً لها، وهكذا نزل هذا الثور السماوي على مدينة كلكامش وكانت إنانا تراقب ما يفعله بها من على أسوار المدينة ودمّر الثور المدينة، وبث في أهلها الرعب والهلع وقتل الناس وهدم البيوت وتداعت سقوفها على الشيوخ والأطفال.

وحين رأى كلكامش ما يفعله هذا الثور بمدينته قرر منازلته وتصدى له وصرعه في

وسط المدينة وتجمع الناس حول گلگامش، أما إنانا فقد غاضها ما حصل لثورها السماوي وانتصار گلگامش على ارادتها . ويسمى الثور السماوي بالسومرية (گو أنّا) وفي الأكدية (ألو).

ب. اسطورة شجرة الخولبو: وتسمى شجرة الخلاف ويعتقد أنها شجرة الصفصاف التي كانت لإنانا ترعاها على شط الفرات حتى هبت ذات يوم الريح الجنوبية واقتلعتها فحزنت إنانا وقدمت بها وغرستها في حديقتها المقدسة ورعتها راغبة، إذا كبرت الشجرة، صنع كرسيّ وسرير لها من خشبها . . وبعد وقت من الزمان كبرت الشجرة وارادت إنانا تنفيذ رغبتها فامسكت الفأس وحاولت قطعها لكنها فوجئت أن طائر الصاعقة (زو) قد بنى عشه على اغصانها ووضع فراخه فيها، وأن عذراء الأرض المقفرة الشيطانة (ليليث) التي كانت تهيم في البراري ليلاً قد نخرت وسطها وسكنت فيه، وأن الحيّة استقرت في قاعدتها . بكت ابنة السماء بكاءً مرّاً لما حصل لشجرتها وحين علم (أوتو) أخوها نصحها بأن تنادي گلگامش ليعالج الأمر.

وحين جاء گلگامش إلى شجرة الخولبو ورأى طائر الزو فوقها وليليث وسطها والحية في قاعدتها شهر فأسه وضربها فماتت الحية، وذعرت ليليث وهربت، أما طائر الزو ففر من أعلى الشجرة حاملاً صغاره الى الجبال. وبعدها قام گلگامش بتقطيع الشجرة وحوّلها الى أخشاب صنع منها كرسياً وسريراً لإنانا . . وفي مقابل ذلك صنعت انانا لگلگامش طبلاً اسمه (بكّو) ومن اغصان الشجرةصنعت مضرب الطبل اسمه (مكّو) وأهدتهما إلى گلگامش ليستمتع بعزف الطبل ومضربه.

وفي النص السومري ثم النص الأكدي لگلگامش يرد ذكر الطبل ومضربه حيث كان گلگامش يستعملها في حياته الخاصة ثم تذكر لنا اسطورة أو قصة كيف سقط الطبل ومضربه في العالم الاسفل وكيف حاول إنكيدو اعادتهما إلى گلگامش من هناك دون جدوى بل أن أنكيدو فقد حياته على الأرض بسبب ذلك (كما في القصة السومرية).

هذه الاسطورة حرّرها كريمر في كتابة عن الأساطير السومرية (انظر كريمر ١٩٧١).

٢. أنانا وشولجي :

تبدأ القصيدة بوصف شولجي باعتباره (الراعي الأمين) وهي أوصاف دموزي، وهو

يحمل نواميس الـ(مي) في سفينته متوجهاً من اور إلى اوروك ومعه القرابين والهدايا ليلقى انانا في معبدها (بيت السماء) ، وحين شاهده الإلهة بهذا المنظر المهيب والمتألق وهي تتحدث بكلام مليء بالشوق والرغبة :

«عندما ساستحم من أجل الملك ، من أجل الإله

وعندما من أجل الراعي دموزي ، سوف أستحم

وبعد أن أزين ردفيّ

وعندما أدهن شفتيّ بالمرهم العنبريّ

وأضع الكحل حول عيني

وعندما ستضغط يداه الساحرتان على قطني

وبعد أن يعمد الاله الراعي دموزي ،

المضطجع بقربي ، أنا إنانا المقدسة

بعد أن يعمد إلى دعك ثدييي اللبني والطلّي ، ،

(الشواف ١٩٩٦ : ١٦٦).

وبعد أن تتابع ما سيحصل معها وما تبادله ، تقوم بتوضيح وتفصيل المصير المجيد الذي تخصصه له وكيف أنها ستكون معه في المعارك وكيف أنه يستحق التاج والعرش والصولجان وتقرر مصيره الذي لا بديل له (انانا تحبك وأنت مفضل امها ننليل) ثم يصف الشاعر زيارة شولجي لمعبدين سومريين آخرين وبعدها يعود إلى مدينة أور حيث يباركه الإله نانا أب إنانا وإله مدينة اور .

وفي حوارية بين الملك شولجي وإنانا من أجل إخصاب الحقول والبساتين يطلب شولجي أن يذهب معها ويرى ما تفعله ، فتأمر احد الفلاحين ليحرث أرض شولجي ثم يذهب انانا وشولجي الى البستان ويتفقدان اشجاره وفواكهة .

٣. أنانا وشوسين

الملك شو سين معروف بحبه للنساء المكرسات للإلهة إنانا ، وهناك ما يدعو

للمقارنة بين أناشيد الزواج المقدس لشوسين وإنانا ونشيد الإنشاد لسليمان.

هناك قصيدتان شهيران الاولى مفعمة بالفاظ الحب واللذه

«أيها العريس، الغالي على قلبي،

عظيمة هي مسرّتك، حلوة كالعسل

أيها الليث الغالي على قلبي

عظيمة هي مسرّتك، حلوة كالعسل

لقد أسرتني، أقف مرتجفة أمامك

أيها العريس لو تحملني الى الخدر»،

(كريمر ١٩٨٦: ١٣٥).

وتمضي القصيدة طافحة بالنشوة والحب والجمال بوتائر متشابهة.

أما القصيدة الثانية التي كانت فيها (كوباتم) الكاهنة هي القائمة بدور انانا والمقربة إلى شوسين والملقبة بالملكة، فتبدأ بالإشادة بولادة الملك ثم تطلب منه الملكة ان يدير وجهه نحوها وتمجد شوسين كملك عظيم ثم تعود الحبيبة لاثارة الملك:

«عذب يا الهي هو شراب الساقية!

فرجها هو كالشراب! فرجها عذبٌ كشراب

فرجها وشفتاها هي عذبة كشراب

وشرابها فائق الحلاوة، فائق الحلاوة شرابها»،

(الشواف ١٩٩٦: ١٧٦).

وهناك قصيدة ثالثة وصلت إلى الملك شوسين حيث تستعد الحبيبة للاقتران بالملك الراعي، ولذلك تطلب من والدتها تسريحة شعر مرفوعة إلى الأعلى مثل الخسّ:

«شعري هو خسّة تنبت بجوار الماء

خسة جاكول تنبت قرب الماء

مشطت تجعيداته ولمعت

شعري جمّعته مرضعتي عالياً

كما كثّفته بواسطة الماء»

(الشواف ١٩٩٦ : ١٧٧)

ثم تأتي القصيدة على مديح شوسين من قبل الكورس ثم من قبل الحبيبة .

٤. اننانا وإيدن داجان

في هذه القصيدة هناك تفاصيل واضحة عن مراحل الزواج الإلهي وطقوسه ، ان الملك إيدين داجان (١٩٧٤ - ١٩٥٤) ق.م هو ثالث ملك لمملكة إيسين التي تلت مملكة اور.

المرحلة الأولى من الزواج الالهي تبدأ بتهيئة القصر حيث يتم نصب الفراش الذي سيتم عليه الطقس/ الزواج الذي تحيط به أغصان واخشاب الارز وباقات الأسل.

ثم تبدأ مرحلة استحمام الاله والملك معاً وهو نوع من التعميد أو الاغتسال قبل الزواج ثم تنقل الإلهة إلى القاعة الخاصة بالزواج حيث تنثر الطيوب على أرضها ثم يتبعها الملك ويقوم بمضاجعتها في الفراش المقدس .

أمر الملك بأقامة منصة لسيدة القصر ،

حيث اضطجع معها العاهل الإلهي

من أجل ضمان حياة كامل البلاد

وللاحتفال بمناسبة اليوم الاول (من العام) ،

ولكي ينفذ بحرص الطقوس المقدسة

لـ (يوم المضاجعة)

في رأس السنة ، حلول (تنفيذ) تلك الطقوس

نُصب عند ذلك فراش من أجل ملكتي

طهر (الفراش) بواسطة الأسل والارز العاطر ،

(الشواف ١٩٩٦ : ١٧٩).

ويوصف الملك في هذه القصيدة بأنه الملك - الشمس وهذا الوصف ساد طويلاً في حضارات وادي الرافدين والحضارات المجاورة، كذلك يوصف الملك بأنه دموزي من خلال أحد القابه (آما اشموكال آنّا) وهو دموزي طلع النخيل واخصاب النباتات، وفي رأينا تؤشر تلك الصفات بدء ترسيخ الصورة الشمسية الذكورية لدموزي بعد أن كانت جذورهُ غارقة في أصلٍ قمري أنثوي.

ولنستمع إلى السومريين وهم يرددون كلاماً بعد نهاية الطقس :

«وأمام إنانا رددّ ذوو الرؤوس السود (قائلين) :

«على وقع الطبل الذي يفوق الرعد هديره

والقيثارة ذات الموسيقى العذبة، التي

تسحر القصر

(وعلى النغم) الرباب المهدئ لقلب البشر

أيها المنشدون، إسمعونا انغام البهجة ، ،

(الشواف ١٩٩٦ : ١٨١).

٥. إنانا وايشمي داجان :

هناك علاقة واضحة بين هذه القصيدة مع قصيدة لدموزي (اذا ما دخلت إنانا الحظيرة) حول مخضّة الحليب ، ويبدو ان صوت الملك ايشمي داجان كان عذباً وكان يغني في هذا الاحتفال على صوت البقرة والعجل ومخضة الحليب، هذه هي الاجواء السومرية الخصبية :

« يا للنغم العذب - مثل (صوت) بقرة !

يا للصدى العذب - مثل (صوت) عجل !

أي إنانا عندما تصلين إلى الحظيرة

وما أن تدخليها، أيتها الصبيّة

حتى تسمع المخضّة نغمها أي إنانا

مخضّة حبيبك سوف تسمع نغمها

مخضّة ايشمي داجان سوف تسمع نغمها ،،

(الشواف ١٩٩٦ : ١٨٢).

٤- إنانا والأنسان

رغم أن صلة الإلهة إنانا بالإنسان واضحة وهامة وبالذات من خلال ممثلاتها العشتاريات على الأرض ونعني بهن من تتخذ صفة (الكاهنة العليا). ولكن المقصود هنا ليس هذه العلاقة بل تحديداً اسطورتها مع الفلاح أو البستاني (شوكاليتود Shukaletudai) والذي يظهر في اسطورة مشابهة على أنه بيلولو (وربما كانت اسطورة قائمة بذاتها).

وتروي أسطورة (إنانا وشوكاليتودا) في بدايتها كيف أن الإلهة إنانا الموجودة في السماء وفي معبدها الأرضي في أوروك (إي- أنّا)، هذه الإلهة تقرر النزول من السماء إلى الأرض وذلك للتفريق بين الأشرار والأبرار، ولسبر القلوب في البلاد والفصل بين الحق والباطل، لقد كانت الإلهة انانا تمتطي الثور السماوي وهي في السماء، والأسد الأرضي وهي على الأرض وفي الحالين كانت معها النواميس المقدسة السبعة التي حملتها معها يوم نزلت إلي العالم الأسفل.

وهكذا في الوقت الذي هبطت فيه من العالم الأعلى علم بذلك الاله إنكي وهو إله الأرض فطلب منها بأن يلتقيها مباشرة قبل بدء جولتها، ولسبب لا نعرفه (بسبب انقطاع النص) يقوم الإله انكي باعطاء تعليماته إلى الغراب عن كيفية خلق وزرع شجرة النخيل، وهي أول شجرة مثمرة في أول بستان على الأرض :

«أيها الغراب لدي ما أبلغك إياه : استمع إليّ

كحل التعويذ في أريدو

الموضوع في وعاء المرهم من اللازورد

والموجود في غرفة بيت الأمير

(هذا الكحل) فتتّه ونعّمه

وازرع حبيباته بين المساكب

بجوار المستنقع ذي الكراث ، ،

(الشواف ١٩٩٦ : ٨٨).

ويقوم الغراب بإنبات هذه (الشجرة الأبدية) كما يسميها النص ، ويعدد فوائدها : حيث لسانها يمنح اللب ، ولحيتها تنسج منها الحصر ، السعف المحيط بساقها يستعمل كمساطر قياس ، وسعفها يرافق المراسيم الملكية واقراط تمورها ستقدم كتقدمات للآلهة .

وبعد أن يروي النص قصة النخلة يأتي على ذكر الفلاح شوكاليتودا الذي يعاني بستانه من الجفاف وهبوب الريح ولكنه يقوم بتأمل السماء ومعرفة الأفلاك وعلى ضوء ذلك يقرر كيفية زراعتها حتى أنه في خمسة وعشرة من مواضع البستان يغرس صفاً من أشجار الصفصاف الكثيفة التي ظلالها لا تختفي في الصباح والظهيرة والمساء .

ثم تعود الأسطورة لذكر انانا التي بدأت جولتها السماوية والأرضية فبعد ان عبرت عيلام والسوبور تعبت واذ لاح لها بستان شوكاليتودا وصلت أو نزلت اليه وتمددت لكي ترتاح ثم ربطت أمام شقها النواميس السبعة المقدسة ونامت .

وكان الفلاح يراقب كل هذا فقام بحل رباط الستر الواقي (أي النواميس المقدسة السبعة) وولجها وجامعها ثم عاد الى الطرف الآخر من البستان . وعندما صحت إنانا فجراً عرفت أنها إغتُصبت وكان لا بد لها من الانتقام لـ(فرجها المهان) وبذلك بدأت بتسليط ثلاث كوارث على الأرض : الأولى انها ملأت جميع آبار البلاد بالدم ثم جرّت الدم إلى أحواض البساتين كلها ، وكان الناس عندما يريدون ماءً لا يجدون سوى الدم (ولم تشرب الرؤوس السوداء كلها سوى الدم) ، وكان ذلك كله لكي تخرج الفلاح من مخبئه ولكن ذلك لم يحصل .

وذهب شوكاليتودا إلى الأب الإله إنكي ليتحاشى عقاب إنانا ، فنصحه إنكي بأن

يختفي مختلطاً لأهله واخوته من ذوي الرؤوس السود (السومريين) ولن تجده إنانا. ولكن إنانا لم تهدأ فقامت بتسليط الكارثة الثانية على الأرض إذ حلّت، وهي راكبة على الغيوم، وثاق الرياح السيئة واطلقت التفاف الزوابع وارتفعت وراءها الرياح المثيرة للعواصف الرملية الـ (بلي بلي) ودوامات الغبار وساعدها في ذلك (سبعة في سبعة) من السحرة في الصحراء ولكن شوكاليتودا ذهب الى أبيه فأجابه بنفس النصيحة السابقة.

وحلّت الكارثة الثالثة التي يفهم منها سدّ طرق البلاد ربما بالماء أو بتفجير أعماق العالم الأسفل (لا نعرف على وجه الدقة!!) دون أن تجده ولكنها ادركت أنه يختبىء عند إنكي. فرحلت الى أبسو إنكي في أريدو وطلبت منه أن يسلمها المذنب. ووعدت إنكي بأن تاخذه دون أذى إلى معبدها (أي-أنّا). وهكذا تأخذ إنانا شوكاليتدا من أبسو أريدو إلى إيانا أوروك، وإلى أعالي السماء حيث تظهر إنانا كقوس قزح ويبدو أنها تستجوبه لتعرف كيف تمكن من ذلك. فيروى لها ذلك شوكاليتودا ببساطة ودون أسف، فتغضب عليه إنانا وتحكم عليه بعقوبة تحويله إلى نجم سماوي لكن ذكراه، كما تعده، تبقى على الأرض في قصائد الشعراء تردد في قصور الملوك وفي أغاني الرعاة وهم يمخضون قربه الحليب.

وفي أسطورة (بيلولو) يتحول بيلولو (المشابه لشوكاليتودا) الى قزم ثم يصغر أكثر من ذلك حتى لا يعود له أي تأثير أو وجود واضح.

٥. إنانا والعالم الأسفل

العالم الأسفل مكان معروف في الدين السومري وهو العالم الذي يحتوي على أرواح الموتى على شكل الجسد الذي كانت عليه الآ إنها مريّشة تشبه الطيور، وتقضي هذه (الطيور الروحية) اغلب وقتها في التراب تأكله ولا تتنفس سوى الغبار. الآ ان هناك مرادفات أو أماكن شبيهة بالعالم الاسفل مثل (كور) الذي وصفناه في مكان آخر، وجبل ايبخ (Ebich) الذي يبدو وكأنه جبل عدو أو شرير.

أ. إنانا وكور

أما قصة إنانا والتنين (كور) فيأتي من المحاولات الكثيرة التي حاولها الآلهة لقهر هذا التنين، ويبدو أن انانا كانت واحدة من هذه الآلهة حيث تتصدى له وتتغلب عليه وتنال لقب (قاهرة كور) ورغم أن الإله آن يحذرها من المخاطرة الآ انها بحماس شديد ترميه بالحربة الطويلة ثم تقتله وتطأه اخيراً بقدميها.

" سأرميه بالحربة الطويلة

وسأوجه ضده كل أسلحتي

وبالغابات المحيطة به سأضرم النار

وفي . . . . سوف أغرس فأسي البرونزي

وكجبل أراتّا سأنزع عنه هيبته

وكما يفعل جيبيل اله النار المقدسة سأجفف ماءه

وكمدينه لعنها آن لن يعود سيرته الاولى

وكمدينه نبذها انليل، لن ينهض ثانيةً "

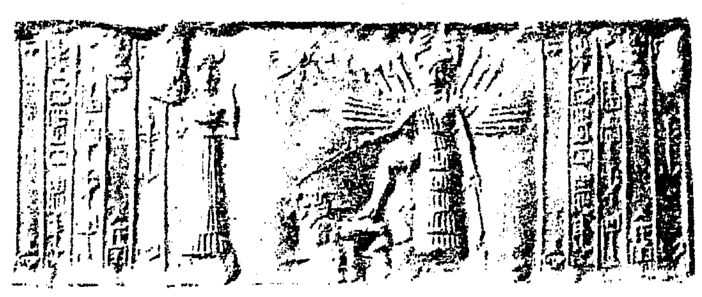
(السواح ١٩٨٦ : ٢٠١)

ب. إنانا وايبيخ

أما (جبل ايبيخ) فيبدو انه مكان يصعب السيطرة عليه لكنّ انانا تستطيع ذلك. وتشير هذه الحادثة إلى مكان بعيد وقصيّ، وربما عكست هذه الاسطورة نضال السومريين قبل وبعد انتصار اتوحيكال (حاكم أوروك) على الكوتيين الجبليين البرابرة حوالي ٢٠٦٠

ق. م لأن محورها يدور حول حملة شنتها الالهة (انانا) ضد (ايبيخ) الذي هو (جبل حمرين) حيث رفض الخضوع لها والاستسلام لها وكأنه مثل عفاريت الأساكوّ. ولذلك بدا هذا الجبل وكأنه قطعة من العالم الأسفل (انظر اذزاد ١٩٨٧ : ٦٢).





شكل (٨٠)
إنانا تستلم النذور والهدايا وتظهر كآلهة محاربة تضع رجلها على الأسد وتلبس بزتها المحاربة

ج. هبوط إنانا إلى العالم الأسفل

إن الأُسطورة النموذجية بامتياز حول انانا والعالم الاسفل هي (اسطورة هبوط انانا للعالم الأسفل) التي تأتي في سياقها الصحيح بين حب وزواج دموزي من انانا وحكم انانا عليه بعد ان خرجت من العالم الأسفل بأخذه إلى هناك بديلاً عنها ثم مطاردته وموته ومراثيه.

الا أننا فضلنا معالجة هذه الاسطورة بصورة مستقلة هنا حرصاً على التصنيف الذي وضعناه لأساطير إنانا.

وتبدأ الأسطورة من رغبة أو توق الإلهة إنانا للهبوط إلى (الأسفل العظيم) وهنا آراء كثيره حول سبب هبوط إنانا إلى هذا العالم، فهناك من يرى أنها ذهبت لتسيطر علي هذا العالم وتحكمه بدلاً من اختها ارشكيگال وهناك من يرى انها ذهبت لتقيم عالم الأموات كنوع من النشور، وهناك من يرى أنها ذهبت لتنال الخلود والرأي الأخير فيه ضعف كونه لا يتناسب مع إلهة خالدة أصلاً مثل إنانا.

وفي رأينا أنها نزلت إلى هذا العالم لتجسد وجهها المظلم والمحارب والسفلي في الوقت نفسه، وأن تقوم بتحدي قوانين العالم الأسفل بحكم كونها إلهة مغامرة.

إنانا اذن هجرت السماء وتركت الأرض لتكمل سيطرتها على هذا العالم. فقد عرفنا من اسطورة شوكاليتودا انها هبطت من السماء إلى الأرض وأصابها نوع من الأذى الجسدي (الأغتصاب) الأ أنها هنا هبطت من الأرض إلى العالم السفلي وسيصيبها ايضاً أذىً جسدي اكبر هو (الموت) وفي كلا الحالتين يقوم الاله انكي بمعونتها.

وهي قبل الهبوط إلى العالم الأسفل تقوم بعملين: أولهما أنها تربط إلى جسدها النواميس المقدسة السبعة ويبدو أنها نواميس الزينة، ثم تضع في يدها بقية النواميس المقدسة.

وثانيهما انها توصي وزيرها / وزيرتها (ننشوير) بأن يملأ السماء صراخاً وان يبكي في بيت الآلهة ويلبسُ ثوباً ممزقاً ثم يذهب إلى أنليل ويخبره بأن انانا ذهبت إلى العالم الاسفل وان يقوم بمساعدتها والحول دون موتها، وان لم يستجب انليل فعليه بالذهاب الى الاله نانا إله القمر، وان لم يتسجب هذا فعليه الذهاب إلى الاله إنكي إله الحكمة الذي يعرف طعام وماء الحياة ليعيدها إلى الحياة.

وهذا يعني أنها كانت تعرف مسبقاً بأنها ستموت ولذلك فإنها ذهبت متحدية قوانين العالم الأسفل.

وأول مرحلة من هبوطها لهذا العالم هي انها واجهت البوابة الأولى للعالم الأسفل وطرقتها، فخرج لها كبير حجاب العالم الأسفل (نيتي) وسألها من تكون فاجابته انها ملكة السماء، فقال لها (ما الذي اتى بك الى الارض التي لا عودة منها) فأجابته انانا بحجة ضعيفة (أي أنها كذبت) حيث قالت له أنها جاءت لتحضر مراسيم جنازة زوج اختها إريشكيگال وهو (گوأنّا).

فذهب (نيتي) إلى ملكة العالم الأسفل اريشكيگال وأخبرها بذلك وأخبرها بأن إنانا تحملُ معها النواميس المقدسة السبعة (التاج، الصولجان، العقد، الجواهر، الخاتم، الدرع، الثوب) فأمرت اريشكيگال حاجب العالم الأسفل بأن يدعها تدخل ويطبق قوانين العالم الأسفل التي تقضي بأخذ هذه النواميس المقدسة منها وكأنه يجردها من قواها.

وحصل ذلك فقد قام الحاجب عند كل باب من بوابات العالم السبعة بأخذ أحد هذه النواميس المقدسة السبعة في حين كانت انانا تستغرب من هذا التصرف كل مرة.

وبذلك دخلت انانا إلى قلب العالم الأسفل وهي عارية مجردة من نواميسها المقدسة، وعندما دخلت الي قصر اريشكيگال كانت الأخيرة بانتظارها جالسة على عرشها يحيط بها (الانوناكي) وهم القضاة السبعة الذين يصدرون الاحكام على كل من يتجاسر ويذهب الى هذا العالم متحدياً، فقاموا بتوجيه نظرة الموت على إنانا ثم اطلقوا كلمة (تعذب الروح) فتحولت إنانا المتعبة إلى جثة وشُدت هذه الجثة على عمود منتصب.

ومرت ثلاثة أيام وثلاثة ليال، بعدها قام رسولها ننشوبر بما أوصته به فذهب الى بيت الاله إنليل (الايكور) واخبره فَاستغرب انليل كيف ذهبت انانا إلى هناك وهي تعرف قوانين العالم الأسفل وهكذا لم يقف الاله انليل معها بل خذلها، فذهب الى بيت الإله نانا الـ (ايكيشرگال) ولكن نانا خذلها أيضاً، فذهب إلي بيت الاله انكي في اريدو فابدى انكي قلقه عليها، ثم أخذ طيناً من تحت اظافره فصنع منه كائن الـ (كوگارو) وهو كائن لا جنس له، ثم أخذ من تحت إظفره المصبوغ بالأحمر طيناً فصنع منه كائن الـ(كالاتور) وهو كائن لا جنس له فاعطى الأول طعام الحياة وأعطى الثاني ماء الحياة. وأخبرهما بالنزول إلى العالم الأسفل وإحياء الإلهة الميتة بأن يوجّها عليها أشعة النار أولاً ثم ينثراها بماء الحياة ستين مرة ويطعام الحياة ستين مرة فإنها ستحيا وتنهض من عالم الأموات.

ويبدو ان الموت في هذه الاسطورة له مدلولٌ واضح وهو الإصابة بستين مرض (وهم رقم كلي مقدس كأنه يعني عدداً لا نهائياً عند السومريين) اي ان هناك ستين عضواً مصاباً وان كل مرة ستعمل علي إحياء أحد الاعضاء المصابة.

وفعل الكائنان ذلك ونهضت انانا، الا أنه فيما يبدو لنا أن قوانين العالم الأسفل صارمة، وكان يجب على إنانا الإتيان ببديل عنها من العالم الأعلى الذي ستعود اليه شرط

أن يرافقها جند العالم الأسفل الـ(گالو) وهم عفاريت صغيرة كأنها من القصب .

سار العفاريت امام وجنب انانا يحملون في ايديهم العصي ويتمنطقون بالأسلحة وتصف الاسطورة هؤلاء العفاريت بأنهم لا يعرفون الطعام ولا الشراب ولا يأكلون خبز القمح او يشربون خمر القرابين ويخطفون الزوجة من حضن زوجها والطفل من صدر امه اي انهم شياطين الموت .

وعندما خرجت انانا معم رآها ننشوبر فرمى بنفسه على قدميها واقعاً على التراب ملطخاً نفسه بالطين فاراد العفاريت حمله بدلاً عنها إلى العالم الأسفل فمنعتهم لأنه ادى ما عليه من واجبات تجاهها اثناء غيابها ، فذهبوا الى الـ (سيجور شاكا) في مدينة (اوما) حيث كان هناك الاله (شارا) الذي فعل مثلما فعل ننشوبر ، ثم ذهبوا إلى (ايموشكالاما) في مدينة بادتبيرا حيث فعل (لتراك) ما فعل السابقان ، ثم ذهبوا إلى مدينة (كولاب) حيث وجدوا (دموزي) وهو يرتدي ثياباً فاخرةً ويعتلي على عرشه فانقضّ العفاريت السبق عليه كما يفعلون مع الرجل العليل فانقطع الراعي عن نفخ فايه ومزماره حيث كان يعزف عليهما في ذلكا لوقت . وقامت انانا الغاضبة عليه بتركيز نظرة الموت عليه قم نطقت بالكلمة التي تعذب الروح ، ثم امرتهم بأن يأخذوه بديلاً عنها فيبكي دموزي ويرفع يديه إلى الاله (اوتو) اخ زوجته انانا ويرجوه ان يحول يديه وقدميه الى افاعي لكي يهرب منهم .

عند هذا الحد تنتهي اسطورة النزول لكنّ هناك نصاً آخر يحكي لنا مصير الاله دموزي وجد موزعاً على (٢٨) لوحاً وكسرة تشكل ما تحدثنا عنه في القسم الثاني من اساطير انانا ودموزي : اساطير ومراثي دموزي .

ان اسطورة نزول انانا الى العالم الاسفل السومرية هي من اكثر الاساطير شهرة في العالم القديم ولذلك فإننا نرى اسطورة أكدية مشابهة لها واساطير قديمة تدور في فلكها وهي معروفة للقراء والباحثين .

ونعتقد أن بعض أفكار هذه الأسطورة السومرية صُوِّرت على إناء مرمري (شكل ٨١) تظهر في جانب منه إرشكيگال وهي محاطة برموزها كالثعابين واللبوات ، وفي الجانب الآخر إنانا وهي محاطة برموزها (الماء والنبات والحيوان) ، وهناك من يرى أن هذه الصور تمثل طقس استنزال المطر وهذا أمرٌ بعيد عن مضامين هذه الصور .





شكل (٨١)

إناء مرمري رسم عليه شكلان

الأعلى : إرشكيكال محاطة برموزها كالثعابين واللبوات

الأسفل : إنانا محاطة برموزها كالماء والنبات والحيوان)



الفصل الثالث

اللاهوت السومري

(دراسة في المعتقدات والأفكار الدينية السومرية)



يكّون اللاهوت السومري الوجه العقائدي للأساطير والطقوس السومرية وتكاد الأساطير بأحكامها ونواميسها الكونية والالهية والأخلاقية والمعرفية تشكل الرحم الذي ظهر منه اللاهوت السومري.

وإذا كنا قد لمحنا الكثير من أوجه هذا اللاهوت ونحنُ نقرأ اساطير السومريين ونظامهم المثولوجي العميق، فلا شك أننا بحاجة في هذا الفصل لفرز منظومات هذا اللاهوت ومعرفة شبكته الروحية والعقلية.

١. الآلهة

عرفنا الكثير من الآلهة السومرية في الفصل السابق، بل وتوغلنا في أدق تفاصيلها وحياتها وتاريخها وسلالاتها ولكننا لم نعرف على وجه الدقة كيف كان الانسان السومري ينظر إلى آلهته هذه وكيف يتعامل معها وما هي صورتها العقلية والدينية والروحية عنده.

ولنبدأ أولاً بفكرة الألوهية التي هي، فكرة المقدّس وقد تهذّب وتعالى وأصبحت له طاقة الفعل كما يريد وطاقة الخلود ايضاً. لقد اصبح الإله بعيداً عن الإنسان بعد أن تجسد في أزمان الباليوليت في الحجر وفي النار وفي الحيوان وفي المرأة وفي الرجل. أما العصر السومري فقد أبعد الإله نسبياً عن الإنسان، لكنّ فكرة الالوهية ما كان لها ان توجد لولا الانسان، ولذلك فقد وصف الانسان في النصوص الإلهية نفسه، ولعبت فكرة الالوهية دوراً كبيراً في توازن الانسان مع الطبيعة والكون، إذ كيف يمكن له تصور كل هذا الذي حوله دون ان تكون الالوهية هي الحاجز بينه وبين الكون الرهيب اللامتناهي، وبدون فكرة الألوهية كن الإنسان سينضغط وينحصر ويتهشم عندما يواجه الكون مباشرة «ولهذا

فإن وصف الألوهة في هذه النصوص لم يكن سوى وصف مباشر لمشاعر الانسان نحو الكون وجبروته . ولم يكن الحسّ الذاتي بالإلوهة سوى الحسّ بعلاقة كونية حيوية غامرة راح الذهن القديم يفلسفها ويشخص فعلها كتجربة يومية من تجارِب وعي الانسان . . ولهذا لم يستطع المفكر القديم تخيل انسان بدون فكرة ما عن الألوهة وبدون ميل للتعبد لها وطريقة للتعليل معها ، بحثاً عن استقراره النفسي ، مبرهنا بذلك عن أن وعي الانسان لذاته هو دائماً متوازن مع وعيه للكون الكلي» (الحوراني ١٩٧٨ : ١٥٢) .

وكان الإنسان يشعر بوجود الآلهة ولكنه لا يراها رغم أنها كان تسيّر الكون وتسيطر عليه وتمرح في أرجائه . والكون من ناحية أخرى مكوّن من أجساد ومادة الآلهة فالسماء هي جسد أو مادة الاله (آن) والأرض هي جسد ومادة الإلهة (كي) والمياه (إنكي) والهواء (إنليل) وهكذا الكواكب وغيرها . لكننا لا نملك دليلاً (كما في اللاهوت والأساطير الأكدية والبابلية) بأن مادة الكون هي من جسد الإلهة الأم تيامت بل ان مادة الكون هي أجساد الآلهة المختصة بكل جزء فيه .

أما الإنسان فقد عرفنا أن مادته وجسده وروحه تتكون من مادة وجسد وروح الآلهة (وهذا ما عبرت عنه أساطير خلق الإنسان) ومن هذا المنطلق رأى السومري أن في كل إنسان روحاً الهية أو إلهاً شخصياً يرافقه ويرعى شؤونه ويحميه :

«ليس بمقدور الانسان ، بلا إله (شخصي)

أن يكسب خبزه ،

ولا بمقدور الفتى ان يحرك ذراعه ببطولة في المعركة »

« عندما تخطط للمستقبل يكون إلهك إلهك

وإذا لم تخطط للمستقبل ، ليس إلهك إلهك »

(فرانكفورت ١٩٨٠ : ٢٤١)

والإله الشخصي إله صغير يعنى بعائله الإنسان أو الإنسان نفسه ، وأقرب صورة له هو الحظ والنجاح في الحياة ، الانسان لا يؤثر في الكون والاحداث لانه أضعف من ذلك بكثير ، بل إن إلهه الشخصي هو الذي فعل ذلك وشجعه واهتم به ودفعه للنجاح ولذلك كان يرى السومريون أن الشخص الناجح المؤثر هو (من حصل على إله) .

إن الالوهية هي قوة داخل الانسان ترقى به إلى المثل العليا، وكلما بحث الانسان عن هذه القوة (عن طريق التدين والتقوى) اقترب منها واستطاع ان يتحاور معها (اي مع الآلهة) كما كان يحصل مع الملوك العظام والحكماء مثل زيود سدرا الذي أنقذ البشر من الطوفان . . والانسان الصابر وغيرهم كالكهنة والأنبياء . واذا كان تصور الآلهة ومكانتها قد جرى في العراق القديم وفق تصورات ذهنية وعقلية الا أن ذلك لم يخلُ من تأثيرات واضحة من المحيط البيئي والسياسي والاجتماعي والاقتصادي، ففي الألف الرابع قبل الميلاد مع صعود السومريين وظهور منجزاتهم العظيمة في الزراعة والرعي وبناء المدن والمعابد واستمراراً مع اكتشاف الآلهة الكونية الشاملة ظهر الاعتقاد قوياً بالآلهة الكونية الشاملة (آن ، انليل، كي، انكي) ومعها آلهة الكواكب الاساسية (أوتو، نانا، إنانا) وكانت هذه الآلهة السبعة هي الاساس في البانثيون الالهي.

أما في الألف الثالث قبل الميلاد وبسب الحروب بين المدن السومرية نفسها وبين السومريين والغزاة من حولهم فقد رجحت كفة العبادة لآلهة المدن والآلهة المحلية لكل منطقة وهذا يؤكد انكماش الناس على أنفسهم. وفي الألف الثاني وبعد انهيار سومر واهتزاز ثقة الانسان بالكثير من آلهته الكبرى والمحلية ظهر مبدأ الإله الشخصي أكثر رجحاناً في العبادة رغم ظهور آلهة جديدة وقوية شمولية ومحلية.

وفي الألف الأول وبعد تداعي الامبراطوريات والدول والمدن واستبدالها ببعضها عمّ الاعتقاد بالشياطين والخوف من العفاريت بحيث عبد بعضها خوفاً. ورغم ان الانسان السومري اعتقد بأن الآلهة تشبهه في صورتها الا إنه تخيلها كبيرة وعملاقة بل وتخيلها مضيئة مشرقة، أما أماكن سكناها فلا شك أن الأعالي كانت هي هذه الاماكن ، فأولاً تصور ان جبل الكون (أن ـ كي) هو مكان الآلهة الأول ثم نزلت من هناك الى الأرض ، وصعد بعضها الى السماء . واتخذ بعضها من الكواكب والنجوم مساكن ، وذهب بعضها مثل (ارشكيگال ونركال وابناؤهما) إلى العالم الأسفل المظلم المترب ليحكموه ويعيشوا فيه .

واذا كان السومريون قد عكسوا حياتهم السياسية والاجتماعية (اي وجود مجلسين للشيوخ والشباب بالاضافة الى الملك) في شكل وهيكل اللاهوت الخاص بالآلهة، فكانت السلطة الإلهية انعكاساً للسلطة السياسية والاجتماعية وكان هناك مجلس كبار الآلهة الذي

يقابل مجلس كبار القوم (الشيوخ) ومجلس الآلهة الشباب (آلهة الكواكب) الذي يقابل مجلس (الشباب ، العوام) . . وكان الملك هو سيد السلطة الاكبر والذي يمثله في المجمع الإلهي الاله إنليل الذي يمثل السلطة الالهية كاملة

«آه يا انليل

عندما خلقت السموات والأرض

كنتَ انتَ الملك »

(الطعان ١٩٨١ : ٣٦٨).

ثم أصبح الاله إنليل مصدر كل سلطة على الأرض فهو الذي يعّين الملك وهو الذي يهب القوة لمن يشاء

«أنت الذي تلفظ اسم الملك ، وإسم الحاكم

ذلك لأن خلق الإله ، والملك

امتياز خاص بك ، ،

(الطعان ١٩٨١ : ٣٦٨).

وكان الملوك يتباهون أنهم أبناء آلهة بعينهم ، وانهم استمدوا الحكم والسلطات من إله محدد .

وللآلهة أيضاً رموز مرسومة أو منحوته تدلّ عليهم وتكون في الغالب مشيرةً إلى أحد صفاتهم ، وكانت رموز الآلهة تتطور من عصر إلى آخر ، وقد تبقى ثابتةً . ومن الضروري الاشارة إلى أن رموز الآلهة لم تبدأ مع السومريين بل بدأت منذ عصر حسونة وسامراء وحلف حيث أراد الإنسان أن يشير لبعض قوى الكون بالعلامات والاشارات والرموز (انظر الماجدي ١٩٩٧) .

وكانت الرموز ضرورية لتجريد الإله ولجعله مفارقاً العالم المادي الذي كان الإنسان يقع ضمنه ، ورغم ذلك لم يكفّ الإنسان السومري عن تصوير الآلهة رسماً ونحتاً بالاضافة إلى رموزها . وقد جمعنا وفصّلنا شرح رموز الآلهة السومرية في الفصل الثاني .

وكان للآلهة الكبيرة رسلاً أو وزراء ينفذون أوامرها ويؤدون المهام المتعلقة بهم وكان رسل وسفراء الآلهة الذكور ذكوراً ورسل وسفراء الآلهة الاناث إناثاً ونذكر فيما يلي أهمهم :

١ . ببسوكال : رسول الإله آن والاله زيابا

٢ . ننشوير : رسولة الإلهة إنانا ، ورسول الإله آن . ويقابل اسمه هنا في الأكدية (إلبرات) ويعادل ببسوكال .

٣ . نسكو : رسول الاله إنليل .

٤ . أسيمو (ايسمود) : رسول الإله إنكي .

٥ . ممّو : رسول الإله أبسو .

٦ . بوننه : رسول الإله أوتو .

٧ . نمتار : رسول الإله ارشكيگال .

٨ . أشوم : رسول الإله إيرا .

كذلك كانت هناك أرقام خاصة ببعض الآلهة (الكبيرة منها بالذات) وكانت الأرقام السومرية الالهية مرتبطة بالنظام الستيني الرياضي للسومريين وهذا جدول بسيط بالاعداد الرمزية او السريّة لكبار الآلهة السومرية والفاظها :

الاله السومري	رقمه السّري	لفظ الرقم باللغة السومرية
١ . آن	٦٠	كش
٢ . انليل ، ننورتا، ننگرسو	٥٠	نينو
٣ . إنكي	٤٠	نيمين
٤ . نانا	٣٠	اوشو
٥ . اوتو	٢٠	نيش
٦ . إنانا	١٥	إي أو
٧ . أدد	١٠	أو

٢. القوة الألهية

كانت القوة الالهية تتجسد عند السومري بما خلقته الآلهة من عوالم واكوان وكائنات حية وبشر، ولكن سّر القوة الالهية أو جوهرها كان يكمن في أربع انواعٍ من القوى الالهية وهي :

أ. الكلمة (Inim , gü)

حين حلّ العصر الحجري الحديث في العراق القديم، وظهرت المكانة المتميزة للإلهة الام وللمرأة باعتبارهما عنصر الاخصاب في الطبيعة ساد اعتقاد خلقي الهي اساس هو قوة الولادة عن طريق الرحم، وكان هذا المبدأ الالهي النيوليثي يعتمد في ذلك على ما يلمسهُ الإنسان من قدرة المرأة على الانجاب.

وما أن حلّ الكالكوليت (الحجري المعدني) حتى انقلبت القوة الإلهية في الخلق وساد مبدأ جديد هو البزر وقوة البذور علي التوالد عن طريق المطر وكان المنيّ هو اساس المعتقد الجديد حيث الاله يلقح الكون بمنيّه.

وفي العصر السومري ظهر مبدأ جديد هو (الكلمة) الذي حلّ محل الرحم النيوليثي والمني الكالكوليتي . . وصار الإله يخلق لا لأنه يضاجع أو يقذف منيه فحسب بل صار له القدرة على الخلق كلما نطق أو قال للأشياء : كن فتكون. وهكذا يرى صموئيل نوح كريمر «إن فلا سفتنا السومريين طوروا مبدءً صار فيما بعد عقيدةً في أنحاء المشرق الأدنى كافة، وهو مبدأ القوة الخالقة الكامنة في الكلمة الالهية. فكل ما كان على الإله الخالق ان يفعله، وفقاً لهذا المبدأ، هو أن يضع خططه ينطق بالكلمة ويعلن الاسم، » (كريمر ب.ت: ١٥٢).

ويمكننا تقسيم قوة الكلمة (آنيم) إلى ثلاثة أنواع هي :

١ . الفكرة (نا)

٢ . الكلمة (گو)

٣ . الاسم (نام)

والفكرة هي القوة الخالقة غير المنطوقة وهي قوةٌ إلهية فاعلة رغم أنها كامنة ، أما

الكلمة المنطوقة فهي المقدسة عند السومريين وبها يخلق العالم فقد كانت كلمة انليل لا تتبدل وهي حياة جميع البلاد :

«*حكمتك هي الزرع، كلمتك هي الحبوب*

كلمتك هي الماء الغامر، حياة جميع البلاد»،

(كريمر ١٩٨٦ : ٨١).

وكانت الكلمة تأخذ صيغة المني عند إنكي بشكل خاص، حيث مني إنكي هو المياه التي فيها سرّ الحياة وفي هذه الصيغة مزج بين عناصر كالكوليتية وعناصر سومرية في الخلق.

وقد تطور مفهوم الكلمة عند اليونان وصار (اللوغوس) واستعمل للتعبير عن الخلق في انجيل يوحنا «في البدء كان الكلمة»

أما الأسم فهو شكل آخر من أشكال الكلمة وكان السومريون يعتقدون أن إطلاق إسم على الشيء هو بمثابة خلق له، ولذلك كان الوليد الجديد يطلق عليه الاسم مباشرة ويعتبر ذلك بمثابة العماد له.

وأعظم ما فعله السومريون إطلاقهم الأسماء على الاشياء وتصنيفها وتوبيبها حتى أن مدنيات الأرض ما زالت تدين لذلك الإجراء، لأن اطلاق الاسم على الشيء هو بمثابة فرزه ومعرفته قياساً لغيره . .

وكان الساحر إذا أراد عمل سحر فإنه يستخدم قوة الكلمة أو الاسم لأن فيها قوة الشيء نفسه. ويمكن لقانون التشابه السحري أن يؤكد هذا فاسم الانسان او الشيء شبيه به ولذلك يستعمل في الطقس السحري على أنه هو ذاته . . وكان على الساحر معرفة اسم المريض الذي يشافيه متلفظاً اسمه بصوت ملائم او كاتباً له بطريقة ملائمة. ولذلك احتلت التعاويذ السحرية مكانةً مهمة في السحر السومري لانها كلمات واسماء له المقدرة على التأثير .

ب) الـ (نم) أو سمة الشيء وصفاته :

هذه الكلمة تعني صفة أو صفات الشيء وسماته وطبيعته وتقابلها في الأكدية كلمة

(شمتو) اي سمة الشيء وطبيعته «وكمثال على استعمال الكلمة السومرية نجد لفظة (لولو) لديهم تعني الانسان، وعندما تقرنه بها كلمة (نم) تصبح (نملولو) وتعني عندئذ (الانسانية) دلالة على السلوك الانساني وليس إلى مجموعة الناس»، (الحوراني ١٩٨٧ : ١٢٠).

ويبدو أن إطلاق (نم) الاشياء من قبل الإله يعني تحديد صفاته وسماته وتعيين جوهره في ذاته .

ج.الـ(مي) أي النواميس المقدسة

تعني (مي) نواميس الآلهة المقدسة التي يستطيع بها الانسان أن يتحكم ويسيطر ويستخدم الأشياء أو ظواهر الأشياء والطبيعة . فإذا كانت الـ (نم) تحدد طبيعة الشيء ذاته فإن الـ(مي) تعبر عن الشيء كموضوع خارج ذاته اي الوجه الاجتماعي والحضاري والفني الذي يستخدم فيه ولذلك فإن كلمة النواميس الالهية أو المقدسة ترجمة صالحة له .

والمقابل الأكدي لهذه الكلمة هي (فرضو) أو (برضو) أو (برصو) وهي تشير الى كلمة (فرض) العربية وتدل القوانين المفروضة الثابتة للطبيعة (الفروض) .

وقد قدمت لنا (اسطورة انانا وانكي) ونقل نواميس الحضارة الالهية الـ(مي) من أريدو إلى أوروك التي يقال انها في حدود المئة ناموس ولكننا احصيناها فوجدناها ثمانين وهي كما قدمتها الاسطورة متسلسلة بالشكل التالي : (الشوك ١٩٩٢ : ٣١) .

١ . الكهنوتية العليا
٢ . الألوهية
٣ . التاج الرفيع، الخالد .
٤ . عرش الملكية .
٥ . الصولجان السامي
٦ . العصا
٧ . ذراع القياس المقدس
٨ . العرش السامي
٩ . فن الرعاية
١٠ . الملكية

١١ . كاهنة الأميرة (مقام السيادة النسوية الدائم).
١٢ . كاهنة الملكة المقدسة
١٣ . كاهن التعاويذ (إيشيب)
١٤ . الكاهن السامي (لوماخ)
١٥ . كاهن الإهراق (جودا)
١٦ . الحقيقة (الصدق)
١٧ . الهبوط إلى العالم الأسفل
١٨ . الصعود من العالم الأسفل
١٩ . الكوركآرا Kurgarra
٢٠ . الخنجر والسيف
٢١ . الرداء الأسود
٢٢ . الرداء الملون
٢٣ . إسدال الشعر
٢٤ . عقص الشعر
٢٥ . الراية
٢٦ . الكنانة
٢٧ . فن عمل الحب
٢٨ . تقبيل القضيب
٢٩ . فن البغاء
٣٠ . فن النجاح
٣١ . فن الكلام الصريح
٣٢ . فن اللسان السليط
٣٣ . الكلام المنمق
٣٤ . البغاء المقدس
٣٥ . الحانة المقدسة
٣٦ . المزار المقدس

٣٧ . كاهنة السماء المقدسة

٣٨ . الآلة الموسيقية المدويّة

٣٩ . فن الغناء

٤٠ . فن رئيس الكهنة

٤١ . فن البطل

٤٢ . فن السلطان

٤٣ . فن الخيانة

٤٤ . فن الاستقامة

٤٥ . سلب المدن

٤٦ . إقامة المناحات

٤٧ . إبهاج القلب

٤٨ . الخديعة

٤٩ . البلاد المتمردة

٥٠ . فن الحنان

٥١ . السفر

٥٢ . المأوى الآمن

٥٣ . حرفة النجار

٥٤ . حرفة النّحاس

٥٥ . حرفة الكاتب

٥٦ . حرفة الحداد

٥٧ . حرفة صانع الجلود

٥٨ . حرفة القّصار

٥٩ . حرفة البناء

٦٠ . حرفة ناسج القصب

٦١ . الأذن المصغية

٦٢ . ملكة الانتباه

٦٣ . طقوس التطهير المقدسة
٦٤ . الحظيرة التي توفر الطعام
٦٥ . تكويم الجمر
٦٦ . الحظيرة
٦٧ . الخوف
٦٨ . الذعر
٦٩ . الفزع
٧٠ . الأسد ذو الاسنان الفتاكة
٧١ . إضرام النار
٧٢ . إطفاء النار
٧٣ . الذراع الناحلة
٧٤ . العائلة الملتمة الشمل
٧٥ . الإنسال
٧٦ . تأجيج المشاحنات
٧٧ . المشورة
٧٨ . تهدئة الخاطر
٧٩ . إصدار ا لاحكام
٨٠ . صنع القرارات

ويمكن أن نلاحظ أن هذه النواميس تشمل أغلب جوانب الحياة بوجوهها الايجابية والسلبية، وقد كان هذا مقصوداً للإشارة إلى السيطرة على كل ما في الحياة.

٤) لوح القدر (لوح المصائر):

يشكل هذا (اللوح المحفوظ) أقدار ومصائر العالم والناس من قبل الآلهة وتحديداً من قبل الإله انليل الذي يحتفظ به تحت أنفه، وبالرغم من أن الآلهة مصدر السلطة وهي القادرة على منحها وحجبها لمن تريد من البشر، الآ أن لوح المصائر يبقى هو الاساس الذي كتب فيه مصائر العالم.

وقد جرّب أحد شياطين العالم الأسفل (في أسطورة سومرية الأصل أكدية الصياغة) وهو الطائر العملاق (زو) أن يسرق الواح القدر من الإله إنليل . . فما كان من الكون الاّ أن بدأ يغرق في العلماء

«عندما مضى إنليل ليستحم في الماء الصافي

وخلع تاجه فوضعه على العرش

خطف ألواح الأقدار فاغتصب السلطة والملك والسيادة

ثم طار زو حيث اختفى في جباله

فساد الوجوم وعمّ الصمت

إنليل أبو الآلهة ، قد شلت حركته

فالحرم المقدس قد سرقت هيبته وضاعت روعته ،،

(الواح ب. ت ١٨٣).

وقد خلّدت بعض الأختام الأسطوانية هذه الحادثة (شكل) حيث قدّم (زو) للمحاكمة بعد أن قبض عليه الاله ننورتا إبن الإله إنليل .

٣. التعددية والتفريد والتوحيد في العقيدة الدينية السومرية

لاشك أن التعددية Polytheism هي التي غلبت على العقيدة الدينية السومرية وطبعتها بطابعها الخاص الذي صار من سمات جميع ديانات الشرق الأدنى القديم . . ولذلك ساد الفكر السومري الايمان بعدد كبير من الآلهة . ولكن هذه الآلهة لم تأت دفعة واحدة بل أن جذورها امتدت إلى فترات الكالكوليت حيث بدأ الانقلاب الذكوري وترسخ الثالوث الالهي بعد ان كان توحيداً انثوياً في النيوليت ، ومن هذا الثالوث ظهرت شجرة الآلهة السومرية .

ونرى أن الالهة الأولى هي (نمّو) التي يعني اسمها ماء الأم وربما كان اسمها القديم (نِ) الذي يعني في اللغات المقطعية الأم . ثم الاله (آن) الذي يمثل الإله الذكر الأب الذي

أُحيلت سلطاته اولاً إلى الإله (إنكي) الذي يجمع بين صفات الأم والأب. ويبدو أن انقلاباً ذكورياً حاسماً حصل مع الاله (انليل) الذي أصبح يمثل السلطة والقوة والملوكية. وكان هذا مدعاة لأن تتشكل عشرات الآلهة من الأم والاب والابن وتظهر شجرة كبيرة للآلهة ويصير كل اله مسؤولاً عن قضية.

لكن التعددية السومرية وهي تتفرع لا تخلو من آثار تفريدية Henotheism وتوحيدية Monotheism . فقد أشار السومريون بذكاء حاد إلى أن الإله (آن) هو رب العالم باكمله، ورب الناس أجمعين وهي اشارة توحيدية واضحة. وأن الإله (إنليل) هو رب السومريين حصراً (ذوي الرؤوس السود) فهو إله سومر القومي وهذا ما نرى انه اشارة تفريدية واضحة، ولذلك نميل للإعتقاد أن العقيدة الدينية السومرية حملت التعددية بأرجحية واضحة ولكنها حملت أيضاً التفريدية والتوحيدية معاً.

ولكي ندلل أكثر على كلامنا هذا نقول أن العبريين الذين أخذوا من السومريين الاله انليل وأسموه بأحد رموزه (الحمامة السماوية) التي تسمى عند السومريين (اياهو) وهو الاله (يهوه)، هؤلاء هم الذين ارتبط بهم التفريد ولكن جذوره الحقيقية كانت عند السومريين وصفات (يهوه) هي تماماً صفات (إنليل).

كذلك نرى أن التوحيد الذي نزّه الله عن التعدد جاء من الاله (ايل) الذي أُخذ من الاله (آن) بدليل ان علامة (آن) هي علامة إيل.

ونرى أن هذا الموضوع يحتاج إلى وقفات تحليلية علمية دقيقة تعتمد على النصوص الحرفية السومرية التي ستقدم لنا حلولاً كثيرة.

٤. الأرواحية Animism

وهي عقيدة تصور أن كل الاشياء والظواهر في الكون تأتي من وجود روحٍ حيّة فيها، وأن هذه الروح لها قوة مؤثرة على ما يحيطها وعلى الانسان وهي قوة روحية عاقلة ومفكرة ومدبرة، والشكل الاساس لظهور هذه الروح هو في مفهوم (الاله).

وقد أخذ السومريون الأروحية من العقائد السحرية التي كانت سائدة قبلهم واستمرت معهم. فالأرواحية عقيدة سحرية تقف مع الفتيشية والطوطمية في مستويات مختلفة من زاوية النظر الاّ أن ما يجمع الثلاثة الإيمان بوجود قوة power وراء الاشياء

والظواهر ودليلنا على وجود الأرواحية عند السومريين تصورهم لقوى الشر والشياطين والعفاريت إلى جانب الآلهة، وذلك لأنهم كانوا بحاجة الى تفسير الجانب السلبي من الطبيعة. فاستحدثوا له الأرواحية الشيطانية. ومن جهة أخرى تحفل العقيدة الأرواحية بتصور حيوي نشط للعالم والكون والظواهر كونها ترى العالم كقطعة فسيفسائية من الارواح المتصلة المترابطة المؤثرة بايقاعٍ منسجم وعميق.

٥. التشبيهية Anthropomorphism

وهي النظر إلى الآلهة وكأنها بشر، وإسباغ صفات ومميزات الانسان على الآلهة فهي تأكل وتشرب وتتزوج وتسكن البيوت وتغضب وتفرح . . . الخ، بل أن صور الآلهة علي الرقم الطينية وغيرها كانت تشبه الانسان تماماً. ورغم أن الآلهة تسكن السماء ولكن إلهاً بيوتاً على الأرض مثل الانسان وهي المعابد التي تبدأ اسماؤها جميعاً بكلمة (إي، E) التي تعني البيت بالسومرية.

وقد دلت الأساطير السومرية التي درسناها على هذه الحقيقة، وكان من الصعب الوصول الى تجريدات مطلقة للآلهة، الأ بعض التأملات والتراتيل التي نلمح فيها تنزيه الآلهة عن حاجات الانسان الدنيا.

ولكي يتميز الآلهة عن الانسان (رغم أوجه التشابه الكثيرة) كان لا بد من اللجوء لفكرة الخلود التي أصبحت صفة الآلهة وفكرة الموت الحتمي التي أصبحت صفة الانسان. ومع ذلك حدثتنا بعض الأساطير عن محاولات خلود الإنسان وتشبّهه بالآلهة، وموت الآلهة وتشبّهها بالأنسان. وقد كان الملك والكاهن الأعلى هما أقرب الناس للتشبّه بالآلهة، بل إن بعض الملوك السومريين حاولوا تأليه أنفسهم بعد أن ورثوا هذ العادة من الأكديين.

وهناك من الطقوس الكثيرة التي تشير الى تشبيه الإنسان بالآلهة وبالعكس ومنها طقس الزواج المقدس، حيث يأخذ الملك دور الاله وتأخذ الكاهنة العليا دور الإلهة. وأن نواميس الطبيعة والعالم مرهونة بذلك الاتصال الجسدي بينهما لانهما، ببساطة، آلهة وقد تصوّر الناس آلهتهم وفق ما رغبوا ان يكونوا « أو أنهم أرداوا الاهتداء الى المجهول اعتماداً على المعلوم، فقد وجدوا كيف تجري الامور في العالم الأرضي، وكيف يحكم الملك

ويضبط الأوضاع من خلال القوانين والمراسيم التي يصدرها، كما أنهم لاحظوا أساليب تنظيم الحياة الاقتصادية وأهمية الوسائل المعتمدة، فتصوروا أن الأمور تجري كذلك في عالم الآلهة، بل إنهم رأوا أن هذا العالم هو الذي عمد إلى إيجاد العالم الكوني، وخلق الانسان وجعله في خدمته» (سيدا ١٩٩٥ : ١٧٠).

٦ . الإنسان

عرّفتنا الأساطير السومرية أن الإنسان خُلق من قبل الآلهة لكي يقوم عنها بالأعمال الشاقة ولكي يخدمها ويكون عبداً لها .

وفي الفلسفة الدينية العميقة للسومريين أن الإنسان هو إله ولكنه إله ضعيف أو عاجز أو ميت ولذلك فإننا نشاهد الإنسان الذي خلقه الاله إنكي والإنسان الذي خلقته الآلهة ننماخ كانا مصابين بنقوص وأمراض كثيرة حالت دون أن يكونا سويين .

فالإنسان إذن إله ناقص مريض عاجز ميت . ولذلك فانه لا يتمتع مثل بقية الآلهة بالخلود .

وإذا كانت الآلهة تتناسل عن بعضها بالولادة دون مرجعيات، فإن الإنسان صنع من إله مقتول أو من طين أو من طين وماء أو من كلمة صاغها الرب في فمه أولاً ثم اطلقها . وهكذا يكون الانسان مربوطاً كلياً بالآلهة فهو لا يستطيع فعل شيء دونهم، كذلك فإن هذا الكون الواسع لا يمكن مجابهته دون آلهة تستطيع إدارته وتعاون الانسان في التعامل معه .

ثم إن الالوهية كانت تبدو في الإنسان كما لو أنها عقله الذي يجعله يميز بين الصواب والخطأ «إنها البعد الآخر للإنسان ولا تكون حقيقة إنسانية بدونها، فهي القوة الجسدية والروحية معاً. وقد عبر أحد الطلبة السومريين عن مفهوم الألوهة في سومر القديمة وأوضح كيف أنها فعل وعي حي في الانسان خلال خطاب يخاطب به معلمه لشكره فقال يخاطبه : أنت إله. وحيث ان الاله يصنع الانسان فأنت إلهي لأنك صنعت فيّ الانسان» (الحوراني ١٩٧٨ : ١٥٥) .

كان السومريون يرون في كل صفة غير جسدية وغير مرئية أو محسوسة قوة لاهوتية، هكذا يرى الحوراني، وهذا صحيح إلى حد بعيد فالقوى الكونية كانت قوى

إلهية، وكذلك الإنسانية الخارقة التي يصعب تفسيرها بسهولة فقد كانت بنظرهم نوعاً من القوة اللاهوتية داخل الإنسان فكانوا يعطوها بنسب محسوبة للبشر مثل كلكامش الذي كان ثلثاه إلهاً، وربما الملك دموزي الذي أُلهِّ بسبب صلته بالإلهة إنانا وصارت له أفعال خارقة. ولذلك نعتقد أن الملوك الأكديين الذين أُلهو (مثل سرجون الأكدي وابنه نرامسين) كان ذلك بسبب أفعالهم الخارقة والعظيمة لأن فيهم جزءً الوهياً بارزاً غير مرئي، ولم يكن المقصود منذ لك عبادتهم، ولذلك وضعت علامة الأُلوهية (دنكر) أمام أسمائهم.

إن علامة الالوهية (دنكر بالسومرية، إيل بالأكدية) كانت علامة موحدة تدل على الألوهية اينما وجدت وتوضع أمام أسماء الآلهة . . وفي هذا الاجراء ما يدل على تجريد الالوهية واعتبارها صفةً مطلقة لقوة عظمى تسيِّر الكون والعالم والإنسان. وكان السومري يرى أن هذه القوة توجد في السماء وأن الإله (آن) هو الرب الواحد المطلق عند السومريين وهو يعيش في السماء السابعة بعيداً حتى عن الآلهة الآخرين الذين ينفذون إرادته وأفعاله، فهو إله العالم والوجود والكون، أما إنليل فهو إله الهواء ولكنه إله سومر القومي حصراً.

«إن اندماج فكرة الألوهة بالعلو والسماء في الذهن القديم - حيث كانت اشارة الألوهة تعني العلو والسماء - كذلك هذا الإندماج هو ذو دلالة هامة على العلاقة التي تعبر عن ذاتها بالمشاعر اللاهوتية المشدودة نحو المطلق الكوني. وهي ذاتها التي أشار لها بيلار دي شاردين حين قوله: «الإله هو المجموع الكوني في كل إنسان» (الحوراني ١٩٨٧ : ١٥٧).

وعلامة الأُلوهية في أصلها أيضاً تشير الى الجهات الأربعة وما بينها، أي إلى ثمانية جهات، وهذا يعني أن الإله الأعظم رغم كونه في السماء فهو موجود في كل مكان. وكذلك تشير إلى الضوء اللامع في الفضاء المدلهم الواسع أي إلى النجمة باعتبارها نبضاً في الظلام، فهو روح وقلب اللامتناهي وهكذا وسعت هذه العلامة عدة معاني (السماء، الاعالي، الجهات، الضوء النابض في الظلام).

الإنسان إذا مات ذهب باتجاه عمودي نحو الأسفل إلى القبر ثم العالم الأسفل

وقبعت روحه هناك إلى الأبد. أما الإله إذا ذهب إلى العالم الأسفل فإنه يذهب بحركة دائرية يجوب فيها العالم الأسفل ثم يخرج منه ربما ليعود هو أو البديل عنه بحركة دائرية.

٧. الفقه السومري

الفقه في أبسط تعريف له هو «العلم بالاحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية، أو هو هذه الأحكام نفسها. والأحكام جمع حكم وهو اثبات أمر لآخر إيجابياً أو سلباً مثل قولنا الشمس مشرقة أو غير مشرقة والماء ساخن أو غير ساخن. والمراد بالاحكام هنا ما يثبت لأفعال المكلفين من وجوب أو ندب أو حرمة أو كراهة أو إباحة أو صحة أو فساد أو بطلان»، (زيدان ١٩٦٤ : ٦).

لقد اطلق مصطلح الفقه على مثل هذه الأحكام في أزمان متأخرة، ولكن الفقه موجود منذ أقدم العصور، فقد ولد من النواهي والمحرمات والتابو والحلال، وقد ارتبط بالأديان أولاً ثم ظهرت الشرائع المدنية السومرية والبابلية المعروفة ودمج بها.

لقد كان الانسان السومري إنساناً متدنياً ورعاً خشوعاً وكانت المحللات والمحرمات دينية في أصلها، ولذلك يمكن التعرف على أحكام الفقه السومري من خلال معرفتنا للكثير من جوانب الأخلاق والتشريع والأعراف الدينية المعروفة لهذا الدين. ورغم وجود الكثير من مفردات الفقه السومري متناثرة في النصوص والشرائع والأحداث الا اننا سنركّز على أهمها واكثرها شيوعاً:

الزواج

تسمى البنت المراهقة قبل الزواج بالسومرية (كي سيكيل تور) ومقابلها بالأكدية (بتولتو) أي البتول أو العذراء، أما البنت البالغة فاسمها (كي سيكيل).

وعبّر السومريون عن الزواج بمصطلح (نامدام شي، بآن توكو) وبالأكدية (أخازوا) أي (أخذ)، وكان من المستهجن الزواج من البنات الصغيرات رغم تحبيذ السومريين الزواج المبكر ولكن في عمر مناسب. وكانت خطوات الزواج تبدأ بأخذ رضى والد البنت ثم والدتها خصوصاً عندما يكون الزوج صبياً (گوروس gurus) عند أول ظهور الشعر في وجهه. وكان والد الخطيب في العهد السومري الحديث (سلالة أور) يؤدي القسم باسم

الملك امام، القضاة وعدد من الشهود ويقول (عسى أن يتزوج ابني ووريثي الشرعي فلان من فلانة ابنة فلان). وكان القاضي كاهناً دينياً (انظر عقراوي ١٩٧٨ : ٥٨).

وكانت موافقة والد الفتاة ووالدها امراً أساسياً، ثم يتم التعاقد شفاهياً اولاً واقامة وليمة وعند ذاك تصبح المرأة زوجة شرعية ويعزز ذلك تقديم المهر والهدايا التي سمّاها السومريون (نكدي nig - de - a) وتتضمن مواد غذائية كالحبوب واللحوم والزبد والتمر والفاكهة وتحمل إلى بيت العروس في اطباق وتسمى بالأكدية (هربه) وما زال فلاحو الجنوب العراقي يسمون مهر العروس الأول (هربه).

أما عقد الزواج الرسمي فيسمى بالسومرية (كاكيسدا Ka.kesda) الذي يقابله بالأكدية (ركساتم) فهو أمرٌ ضروري جداً ولا يتم الزواج بدونه مطلقاً وربما كان يدونه الزوج وتحتفظ به الزوجة لضمان حقوق أولادها الشرعيين وهو يسجل على رقيم طيني صغير.

وهذا نموذج من العقود المكتوبة باللغة السومرية والتي تعود إلى عصر الملك سمسو إيلونا (١٧٤٩ - ١٧١٢) ق.م :

« (انليل - أدسو) كاهن الاله انليل ابن (لوگال أزيدا) تزوج من (أمّا - سوكال) ابنة (نن - اب - مانسي) أعطت (أمّا سوكال) إلى (انليل ادسو) تسعة عشر شيقلاً من الفضة. واذا ما قال (انليل أدسو) لزوجته (أماسوگال) في المستقبل (انت لست زوجتي) عليه ان يرد لها تسعة عشر شيقلاً ويعطيها مهراً يعادل نصف منّا من الفضة. أما اذا قالت (اما سوكال) لـ (انليل ادسو) زوجها (انت لست زوجي) فإنها سوف تخسر التسعة عشر شيقلاً وتدفع إضافة الى ذلك نصف منٍّ من الفضة »، (عقراوي ١٩٧٨ : ٦٥).

ويشير هذا العقد إلى أن المهر المادي تدفعه الزوجة وتسترجه مع مؤخر الصداق (نصف منٍّ من الفضة) اذا طلقها زوجها، اما اذا طلقته هي فتخسر المهر وتدفع مؤخر الصداق له.

وكان هناك قبل عهد اوروكاجينا تقليد بزواج المرأة من أكثر من رجل في نفس الوقت، لكن هذا المصلح الاجتماعي حرّم ذلك وجعل المرأة تتزوج من رجل واحد فقط والاّ رُجمت.

ويبـدو أن الزواج كـان يتم من قـبل كـاهن يقـوم بسكب الزيت على رأسي الزوج والزوجة عليهما أن يدفعا للكاهن مبلغاً معيناً.

وهناك احكام شرعية تفصيلية للزواج من أرملة الأخ ومن زوجة الأب (الضيزن) وإقتناء الجواري والمرضعات والتبني، وأحكام الوراثة وأحكام نسخ الزواج والخطوبة والزواج الناقص والزواج بالمعاشرة والزواج بالشراء والزواج بارادة منفردة.

الطلاق

كان الطلاق أمراً معروفاً منذ عصر فجر السلالات وكان الطلاق يعني تنازل الزوج أو الزوجة عن حقوقهما مع فراق الآخر. وقد ذكر أوركاجينا في اصلاحاته انه قبل عهده كان الرجل الذي يريد أن يطلق زوجته فعليه ان يدفع خمس شيقلات من الفضة للحاكم (الإنسي) وشيقلاً واحداً الى كبير الوزراء، وهذا يعني أن الرجل كان يأخذ موافقة المسؤولين قبل الطلاق.

وكانت الزوجة تطلق زوجها ولكن في حالات نادرة ومحددة. وكان الطلاق يسمى عند السومريين (تاگ Tag)، ولم تمنع القوانين السومرية الزوج من طلاق زوجته التي انجبت اطفالاً ولكنها وضعت في طريقه بعض الصعوبات للموازنة بين إرادته وبين مسؤوليته في سبيل ضمان عيش زوجته المطلقة وأولادها، فمثلاً تنص المادة (٥٩) من قانون أشنونا على أنه (اذا طلق رجل زوجته بعد أن ولدت منه اولاداً، واخذ زوجة ثانية فسوف يطرد من بيته وتقطع علاقته بجميع ما يملك، وليذهب إلى من يأويه). وكان طلاق الزوجة العاقر على العكس من ذلك سهلاً ومقبولاً.

وكانت الزوجة تطلق زوجها اذا استطاعت أن تثبت سوء سلوكه معها وانصرافه عنها إلى امور محرّمة، وهذا نص سومري يثبت ذلك «بعد أن قدم الزوج هدايا الزواج وسكب الزيت (أي قام بمراسيم الزواج) قدمت الزوجة (عشتارومي) شكوى إلى قضاة المدينة تتهم فيها زوجها بممارسة عادة اللواط. وبعد ان استطاعت هذه الزوجة ان تثبت للحكام بأنها قد شاهدت زوجها وهو يضاجع رجلاً آخر. اصدر القضاة حكمهم باسم الملك. فحلقوا رأس الزوج، وثقبوا أنفه، وأخذوه في مسيرة تشهيراً به. استملت الزوجة مهرها من ممتلكات زوجها وتركته» (Hallo 1964: 95).

التبني

كان التبني أمراً مألوفاً في الحياة السومرية وكانت له احكام وقوانين تنظمه، ويبدو أن اكثر الدوافع التي كانت تدعو للتبني هو عدم قدرة الزوجة على الإنجاب، أو عندما لا يكون للشخص قريب يقوم بمراسيم دفنه عند وفاته لان هذه المراسيم كانت تقرر راحته ومرتبته بعد الموت (أي في العالم الأسفل) . وهناك دوافع دينية أهمها تكريس الطفل المتبني للخدمة في أحد المعابد. وهناك التبني لغايات إقتصادية وغير ذلك. وهناك شروط للتبني أهمها منح اسم الرجل للطفل المتبني والإشراف علي تربيته وتعليمه وغير ذلك.

الإرث

كان الارث ينقسم الى نوعين هما توزيع ممتلكات الشخص في أثناء حياته (الهبة) . أما النوع الآخر فيسمي (التركة) أي توزيع ممتلكات الشخص بعد وفاته ويسمي بالسومرية ابيلا (Ibila) وتسمى حصة الوريث الواحد في ميراث ابيه هالا (ha- la)

وهناك تفاصيل كثيرة تخص البنت والزوجة وغير ذلك.

الزنا

كانت الأعراف والاحكام السومرية تعاقب من يرتكب الزنا بقسوة فقد كانت المرأة المتزوجة التي تمارس الزنا تعطي الحق لزوجها بالزواج مرةً اخرى وتلقى في الماء.

وكانت هذه العادة كريهة اجتماعياً، وكان من عادة السومريين اذا عرفوا زانياً وزانية ألقوهما في الماء بعد أن يوثقا معاً. أما إذا عفا الزوج عن زوجته فالملك وحده هو الذي يعفي عن الشريك، أما إذا اتهمت المرأة بالزنا فقسمها يجعلها بريئة.

٨. المؤسسة الدينية

عرفنا هيكل المؤسسة الإلهية وطبقاتها. ولا بد الآن عن معرفة المؤسسة الدينية على الأرض. ويقّسم الباحثون هذه الى (الكهان والمعابد)

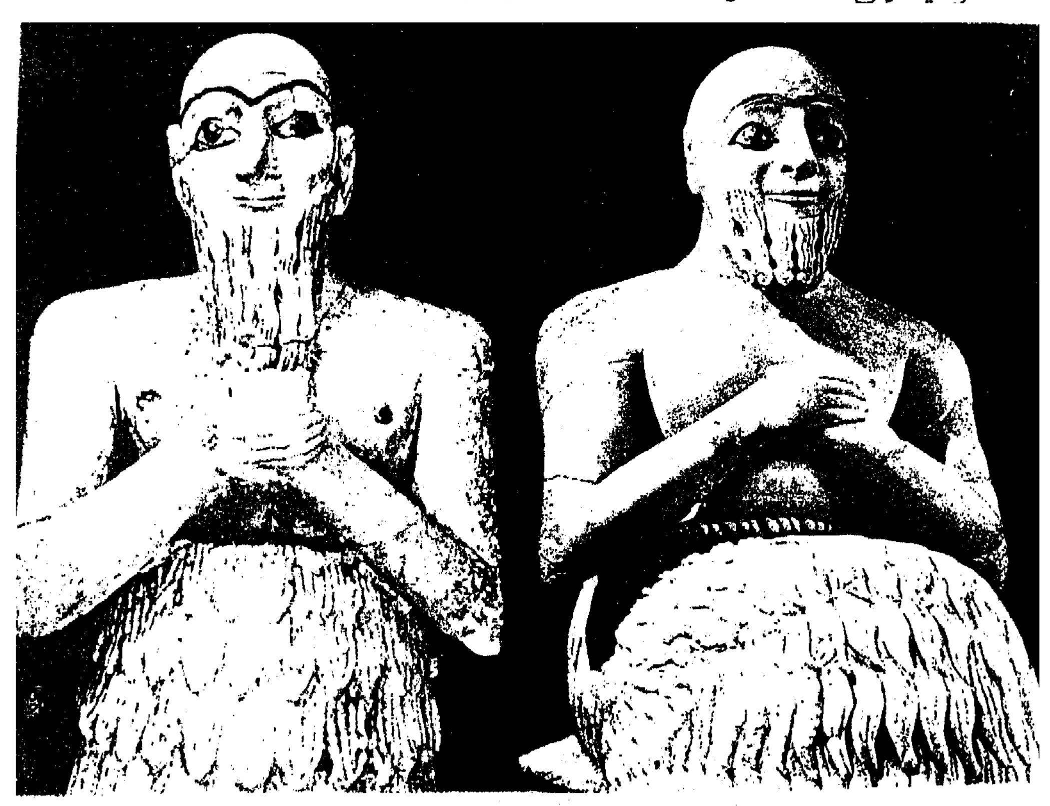
أ- النظام الكهنوتي

كان الكاهن في الحياة الدينية السومرية يمثل الصلة بين الانسان والإله، ونرجح ان الكهنة ظهروا في عصور مبكرة في حضارة وادي الرفدين، وربما كان ظهورهم مع عصر

الكالكوليت الذي كان المعبد أهم مظاهر أي ان الكهنة ارتبطوا بالمعبد وكانوا يتزعمون المجتمع على أسس دينية وسحرية وقدرات خاصة وكانت العصور الحجرية تعج بهم ويطلق عليهم الباحثون اسم (الشامان).

في مزهرية أوروك من العصر شبه الكتابي ظهرت صور لرجال عراة يقدمون الأضاحي وهؤلاء هم الكهنة وكانوا غير مختونين.

وهناك ما يشير بوضوح إلى أن الملوك الأوائل كانوا كهنةً ثم انفصلت وظيفة الملك عن الكاهن. لقد كان الحاكم أو الملك الأول يسمى بالسومرية باتيزي أو إنسي ثم انفصلت هذه الوظيفة إلى: الملك (لوگال Lugal) والكاهن أينEn).



شكل (٨٢)
تمثالان للكاهن نيني والحارس أبيخ
ماري النصف الأول من الألف الثالث ق.م

وكان الكاهن (اين) يمثل أعظم الكهنة ويقع في قمة الهرم الكهنوتي السومري، ونحن نظن ان كلمة (عين) أو (العين) العربية هي من بقايا تلك الكلمة السومرية حيث الأعيان هم سادة البلاد وأعلامها. أما الكاهنة التي تقابل (الإين) فتسمى (إينتو) اي الكاهنة العليا (Nin - Dingir) اما الراتب الكهنوتية تحت هذا المنصب فتنقسم إلى :

أ- المرتبة العليا : وتتضمن ثلاث درجات

١ . الدرجة الأولى (السانكا) وهم الكهنة الأعلون وتضم الـ (ماخ) وهو الكاهن الأعلى أو الكبير وهو كاهن يتم ترشيحه وسط شروط خاصة جداً ويعّد تكريسه حدثاً كبيراً، ولكل واحد من آلهة المدن السومرية كاهن أعلى خاص.

٢ . الدرجة الثانية : وهم كهنة القدّاس والمسؤولون عن بوابة المعبد ويسمون كهنة الـ (اوريكالو) أي الحرس.



شكل (٨٣)

كاهن سومري يمسك اناءً ويؤدي طقساً

٣ . الدرجة الثالثة : وهم الكهنة المتخصصون، أي أن كل مجموعة منهم تقوم بأعمال متخصصة بنمط معين يلزمها الاستعداد الشخصي والموهبة الخاصة لادائها على الوجه الأكمل وينقسم هؤلاء الكهنة إلى عدة مجاميع أو أنواع :

١ . المنظفون وهم الذين يعملون في بيت الوضوء وهو حوض ماء يستعمل للوضوء لنظافة المعبد .

٢ . المطهرون (الماشماشو) : وهم الكهنة الذين يمسحون بالزيت الملك أو من يراد مباركته .

٣ . المعمدون (رامكو) وهم الذين يستعملون الماء لغسل الجسد كله .

٤ . الماسحون (باشيشو)

٥ . المعزمون (أشيبو) وهو المعزّم وطارد الارواح الشرير ويأخذ المعزّم دور الطبيب النفسي الذي يلازم دور الطبيب السريري . وكان المعزم يسمي نفسه رجل الاله (إنكي) لأن الاله إنكي هو اله السحر ولذلك يستعين المعزّم به لطرد الارواح الشريرة والتصدي للسحر الاسود . وكانت مدينة أريدو الموطن الأول لكهنة الأشيبو وقد وردت على لسانهم جمل تؤكد ذلك مثلاً (أنا الأشيبو طارد الارواح الذي خلق في أريدو) ومعروف أن اريدو هي مدينة الإله إنكي .

٦ . العرّافون (البارو) وهم المتنبؤن والذين يقرأون الفأل وكانت مرتبتهم رفيعة اعلى من المعزمين، والكاهن المتبنيء يجب أن يكون من أصل شريف ونسب قديم وأن يكون آباؤه وأجداده من الكهان، وهي امور لم تكن تُشترط في الكاهن المعوذ .

وكان هؤلاء العرافون يقرأون الفأل من خلال وسائل عديدة أهمها عرافة الاحشاء وبشكل خاص الكبد Hepatoscopy، وسكب الزيت في الماء Lecanomancy وقرءة ما يتركه من خطوط وتصاعد الدخان Lebanomocy وقراءة خطوط الدخان .

٧ . مفسرو الأحلام (الشائيلو) وهم الكهنة المتخصصون بقراءة الأحلام وتفسيرها ويذكر أن النساء كنّ الأكثر تخصصاً بهذه الكهانة وان (الشائلة) كانت تمارس كهانتها خارج المعبد .

٨ . كهنة طقوس الأسرار المقدسة (زاكيكو) وهم كهنة من رتبة خاصة .

٩ . المتدربون (ماري أوماني) .

١٠ . النادبون (الگالو) وهم الكهنة المختصون بأناشيد وغناء الرثاء والعزاء في حالات الموت والدمار والكوارث . ولهم أدوات موسيقية خاصة بهم .

١١ . المنشدون (النارو) وهم الكهنة المختصون بأناشيد الفرح كالزواج وطقوس رأس السنة والاحتفالات الخاصة ذات الطابع الديني المفرح .

١٢ . الزمّارون (زاميرو) وهم الكهنة الموسيقيون المختصون بآلة المزمار والذين يؤدون عزفهم في مناسبات دينية خاصة .



شكل (٨٤)
كاهن أو متعبد سومري قديم من عصر العبيد
ربما يمثل (كورليل)

ب. المرتبة العادية : وتتضمن ثلاث درجات أيضاً وتشمل كل أنواع الكهنة أي رجال الدين الذين لا يتميزون بأعمال خاصة وهم :

١ . الكهنة الخصيان وهم الكهنة المنذورون إلى المعبد والذين لا يحق لهم الزواج مطلقاً وهم على نوعين (آسينو ، كوركارو) .

٢ . الكاهنات : بالإضافة إلى ما عرفناه من نساء كاهنات متميزات مثل الكاهنة العليا و(الانتو) والكاهنة الشائلة (مفسرة الأحلام) هناك عدد كبير من النساء اللائي كن ينخرطن في سلك الكهانة ، فبعضهنّ منذورات الى الآلهة . وكان قسم منهن يعيش في ابنية خاصة تسمى بالأكدية (gagu) ويتفق العلماء على أن أصناف الكاهنات التي سنذكرها بدأت منذ العصور السومرية الأولى وسنذكر اسماءها بالسومرية والأكدية .

وقد كان يطلق على الكاهنات تسميةً خاطئة هي (كاهنات البغاء المقدس) على اعتبار ان مكانهن الخاص (گاگو) كان يشير إلى كلمة (بيت الدعارة) فقام الباحثون باطلاق فرضية خاطئة هي ان الكاهنات يمثلن الهة الحب (انانا) ولذلك فإنهنّ يمارسن البغاء المقدس .

لقد بات واضحاً ان كلمة گاگو مشتقة من الأصل السومري (ga- gi- a) (گاگيّا) اي (البيت المغلق وربما (السجن) وعندما تحرى الباحثون حول طبيعة هذه الأبينة وجدوا انها تشبه (الأديرة) وهذا هو المصطلح الدقيق لها ، ولذلك فإن النساء اللائي يدخلن (الدير) أو (الگاگيّا) يتصفن بالعفة والسمعة العالية والحشمة .

وسنرى أن الكثير من أصناف الكاهنات مثل (إنتو، لوكر) لا يجوز لهن الزواج والإنجاب وهو مما نلمسه الى الآن عند الراهبات المسيحيات ، ويبدو لنا أن مرد ذلك مرتبطٌ بسبب مثولوجي (اسطوري) عميق يخص الالهة (ننماخ) التي جاء في اسطورة خلق الانسان انها مع آنكي خلقت وهي في حالة سكر المرأة العاقر وقد قرر الإله انكي مصير هذه المرأة بأن جعلها تعمل في خدمة الآلهة ، ولذلك تقرر من هذه الإسطورة ان من يقوم بخدمة الآلهة فإنه لا بد أن يكون عاقراً مما أصبح ضمن العرف الديني أن لا تتزوج الكاهنة ولا تنجب (حتى ولو كانت قادرة على الزواج والإنجاب) تمسكاً بهذه الحادثة الاسطورية . وينسحب هذا أيضاً على الكهنة الخصيان الذين ذكرناهم قبل هذه الفقرة والذين خلقهم الإله إنكي .

وقـد يكون في الإسم السـومـري للكاهنة العليـا (اينتـو) وهو (Nin- Dingir) اي (السيدة الإلهة) ما يفسر أيضاً حالة عدم زواج وإنجاب هذه الكاهنة لانها كانت تعتبر بمصاف الآلهة وأن لها قدسية خاصة تمنعها من الإتصال بالبشر . . وربما لانها كانت تعتبر بمثابة زوجة الاله .

أما أصناف الكاهنات السومريات فهو كما يلي :

أ) السيدة الإلهة (Nin - Dingir) وتسمى الأكدية (اينتو) وهذا النوع من الكاهنات لا يقع ضمن المراتب العليا أو العادية للكهنة بل يحتل أرفع وأسمى وأقدس رتبة، ولها مكانة دينية واجتماعية كبيرة جداً توازي طبقة الملوك. وتكون مثل هذه الكاهنة عادة إبنة أو اخت ملك.

وكانت هذه الكاهنة تعتبر قرينة الإله وزوجته ولها غرفة في أعلى زقورة المعبد وفيها سرير واسع ومزخرف، وكانت هذه الكاهنة هي المرشحة لطقوس الزواج المقدس. وبالاضافة لذلك كانت تقوم باستطلاع الفأل والعرافة . وهناك ما يؤكد أن جميع الملوك السومريين والساميين والعيلاميين قد وهبوا بناتهم لهذه الوظيفة .

ب. الراهبة (لوكر Luker) وتسمى بالأكدية (ناديتو Naditu) أي النادية ، وهي المرأة التي نذرها أبوها للخدمة في معبد أحد الآلهة وكان لكل إله نادية مثل نادية ننورتا ونادية نانا وغيرهم وكانت الراهبة تقوم أحياناً بدور الكاهنة العليا في الزواج المقدس وربما كانت الوظيفة الأساسية لها وظيفة إدارية، وكان هناك ما يشير إلى أنها قد تقوم بطقوس تقديم قربان (البكُتو Piqittu) الذي يقام في نهاية الشهر القمري عندما يهبط القمر الى العالم الأسفل، واصبح هذا القربان بشير الى تقديم القرابين للموتى . . وكانت الراهبة تقوم به لأجل الراهبات الميتات قبلها ويتضمن الطقس تقديم (اللحم والخبز والبيرة).

وكانت الراهبة ممنوعة من الزواج والإنجاب ولذلك كانت تعيش حياةً طويلة لتجنبها مخاطر الولادة ولأنها تعيش حياة منعزلة بعيدة عن الاوبئة والامراض .

ج. القـديسـة (نوكك Nu.gig) وتسـمى بالأكـدية (قـديشـتـو Quadishtu) أي القديسة، وتعني كلمتها بالسومرية (الخالية من الأمراض) وقد ترجمها بعض الباحثين ببغية المعبد وكان متجنياً وسبب لبساً وسوء فهم كبير في معالجة امر الكاهنات السومريات

وكاهنات العراق القديم بعامة. لقد عالج الكثير من الباحثين هذا الموضوع بمغالطة كبيرة كان الأساس فيها ما ترجمه عالم الآثار (Jensen) للمكان الخاص الذي تسكنه كاهنات الناديتو وهو (gagumi) فقال انه (الماخور brothel) وكان من الطبيعي ان يتبع ذلك الاعتقاد بأن هذا الصنف من الكاهنات كان من البغايا وان هناك عمليات جنسية تجري داخل المعبد طيلة أيام السنة. (انظر Harris, 1964 : 106 f)

ولكن ترجمتها الدقيقة كما أسلفنا هو (الدير) الذي يقلب الفهم كلياً.

ويذكر ان لقب Nu gig كان يطلق على عدد من الالهات مثل (انانا، ننماخ، ننسينا).



شكل (٨٥)
آلهة وكهنة وكاهنات من سومر
معبد تل اسمر (آبو) النصف الأول من الألف الثالث ق.م

د. المنذورة (نوبار Nu. bar) وتسمى بالأكدية كُلماشيتو Kulmshitu ومعناها المنذورة Votaressاو المكرسّة Devotee وتنحدر المنذورة من العوامل الغنية ولها الحق بالزواج، ولم تكن المنذورة تعيش في المعبد بل في بيت أبيها حتى الزواج.

هـ. المرافقة (سوگي Su. ge) وتسمى بالأكدية شوگيتو Sugetu وهي الراهبة غير المنذورة او المرأة السجينة، ولم تكن مكرسةً او منذورة لإله معين ويبدو أن لها علاقة بالمشاركة باحتفالات الزواج المقدس وكان لها الحق بالزواج، أو بانجاب الاطفال لصالح الكاهنة النادية المحرومة من الإنجاب.

و. الحاجبة (سال زكروم Sal. zikrum) وهو نفس الاسم الأكدي - وقد ترجمها البعض الى (المرأة الرجل) (أو الخنثى) وهي راهبة لها علاقة بالمعبد وغير منذورة الى إله معين ويبدو أنها تقوم بجلب أو توفير من يقوم بالخدمة في القصر والمعبد عن طريق التبني.

هذه هي أصناف الكاهنات السومريات اللائي لهن علاقة بالمعبد والآلهة والطقوس الدينية أما ما يسمى بالبغيّ فهي امرأة عادية كانت تمارس فن الحب والجنس وليس لها بالمعبد أية صلةمن قريب او بعيد، وقد أتى الصاق هذه الصفة بالكاهنات من ثلاثة مصادر:

١. ما قاله هيردوتس من أن على الكاهنات البابليات أو النساء البابليات جميعاً ممارسة البغاء ولو مرةً في العمر. وقد كان هيرودتث الذي لم يزر بابل بل كتب عنها وهو في اليونان في القرن الخامس قبل الميلاد متأثراً بالبيئة الإغريقية التي كانت تمتهن المرأة وتجبر المرأة على أن تكون مومساً قبل الزواج.

٢. ترجمة جينسن لدير عزلة الناديات ترجمة خاطئة (الماخور)

٣. الزواج المقدس الذي هو طقس مقدس يجري بين اعظم الكاهنات (إينتو) والإله الممثل بالملك، وقد وجود بعض الباحثين الغربيين في هذه الممارسة نوعاً من البغاء عمّموها على كاهنات العراق القديم. واعتبروا البغي التي تلجأ الى المعبد وكأنها تمارس ها الفعل في المعبد.

البغيّ بالسومرية اسمها (Kar. kid) وتقابلها في الأكدية كلمة (حريمتو Harimtu) التي تقابلها في العربية كلمة الحريم والحرمة ونرى بقاياها في الجنوب العراقي الشعبي بمعنى (الخارمة) أي المرأة التي لا نفع منها غير المدبرة وربما غير الشريفة، «ويظهر من دراسة

مخطط (١٠)
هيكل المؤسسة الدينية السومرية وأصناف الكهنة السومريين

النصوص المسمارية بأن البغايا كن يمارسن البغاء أما في بيوت خاصة بهن أو في حانات بيع الخمور. تعرف حانات بيع الخمور بالسومرية (E. Kurunna) والأكدية بـ(Astamma) وكانت مثل هذه الحانات المكان الاعتيادي الذي تتردد اليه البغايا في وادي الرافدين تدار عادة أمامن قبل صاحب الحانة (في الأكدية Sabu) او صاحبة الحانة (Sabitu) والتي تعرف بالسومرية Mi - Kurun - na ،، (عقراوي ١٩٧٨ : ١٩٧).

٣. **الكهنة العاديون** : وهم الصنف العادي أو التقليدي من رجال الدين والذين لا يمتلكون خصوصية كهنوتية مميزة ونجد منهم نوعين :

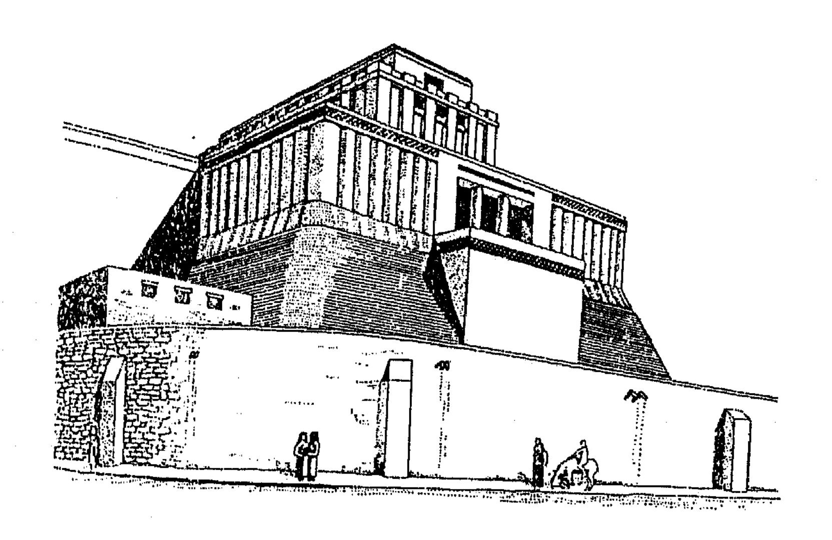
أ- سابنغو أي عامة الكهنة .

ب- أربي بيتي أي الداخلون الى المعبد أو الذين لهم الحق في الدخول الى المعبد بشكل دائم وكأنهم (أهل البيت).

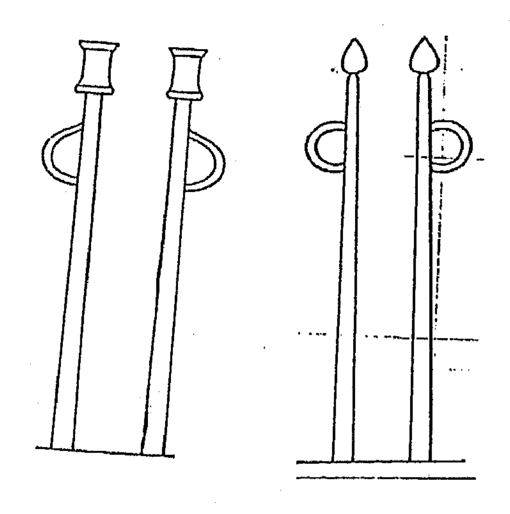
ب. المعابد السومرية

بدأ ظهور المعابد في وادي الرافدين مع الانقلاب الكالكويتي، وبدأنا نرى المعبد بصورته البسيطة في جنوب العراق القديم . . حيث كان المعبد نواة ظهور المدينة في المركز وطرد القرية الى المحيط .

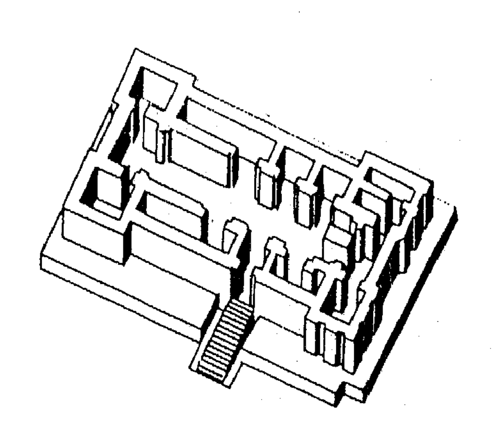
إن أول المعابد ظهر في أريدو (الطبقة السادسة عشر) وهو يعود إلي الألف الخامس قبل الميلاد، وقد كانت هذه المدينة منذ القدم مخصصة للإله إنكي، وهو «معبد ذي تخطيط مثير للإعجاب بالرغم من بساطته . إنه أقدم معبد مشيد تمّ اكتشافه حتى الآن ويضم عناصر استمرت حتى أزماننا عبر آلاف كثيرة من السنين والحضارات . فهو يحتوي على حرم مستطيل يبدو عليه بأنه كان مقسماً الى منطقتين بجدران فاصلة . وفي احدى النهايات يوجد مذبح صنع لكي يحتوي على منصة من اللبن، فهنا يتوفر لدينا، كما هو في الواقع، مخطط لكنسية مسيحية نموذجية فيها مجاز مدخل والصحن والهيكل الذي يضمّ مذبحاً . ولقد كان معبد سليمان يضمّ تماماً ذات الترتيب الثلاثي : الرواق، والمكان المقّدس، وقدس الأقداس . وعلى هذا فإن اثنين من أعظم الاديان العالمية التوحيدية قد أعادوا انتاج هيكل بناء المعبد العراقي » (بارو ١٩٧٩ : ١٠٠) .



شكل (٨٦)
إعادة بناء معبد اوروك المبكر



شكل (٨٧)
رمز بوابة المعبد
١. حوالي ٢٤٧٥ ق.م
٢. خلال العصر الأكد ي وما بعده ويرمز كذلك إلى بوابة السماء وبوابة العالم الأسفل
رسم : علي محمد آل تاجر



شكل (٨٨)
معبد سومري معاد التصميم من الطبقة السادسة في أريدو (مرحلة العبيد ٤٠٠٠ ق.م)

ثم وسّع هذا المعبد الصغير فأصبح وسطه محلاً مقدساً للعبادة محاطاً بعدد من الغرف الإضافية. والمحراب الذي تواجهه منضدة النذور يوضع على أحد الضعلين القصيرين، الجدران مشيدة بالآجر الطيني وعلى طريقة الدخلات والطلعات المتعاقبة على أبعاد متساوية، وقد شيد المعبد كله على دكة أو مصطبة يصعد بها بمجموعة من السلالم المؤدية الى مدخل المعبد. وقد رمز لبوابة المعبد بالعود المزدوج الذي يشبه الرمح (شكل ٨٧).

ويمكننا أن نقدم إحصائيةً أولية بالمعابد السومرية المهمة على ضوء التاريخ السومري:

١ . معابد مرحلة الأصول (؟ - ٣٥٠٠) ق.م

١- المعبد الأول في أريدو الطبقة ١٨

٢- معابد أريدو من الطبقات (٩ -١٦).

٣- معابد أريدو من الطبقات (٦ -٨).

٤- معبد گارا الطبقة (٨)

٢ . معابد مرحلة الظهور (٣٥٠٠ - ٣٠٠٠) ق.م

١- معابد إنانا في الوركاء

٢ . زقورة آنو

٣ . معابد أريدو ذات المصطبة العالية في الطبقات (١ -٥).

٤ . معبد خفاجي للاله سين (نانا)

٥ . معبد كورا الطبقة (٨)

٦ . معبد تل براك ذو المدخل المزوق

٣ . معابد مرحلة دول المدن السومرية (٣٠٠٠ - ٢٤٧٠) ق.م

١ - معبد ننخرساك في تل العبيد

٢- معبد انليل في نفّر

٣- معبد آبو في اشنونا

٤- معابد خفاجي وهي ثلاثة (البيضوي ، ننتو ، سين) .

٥- معبد شارا في تل أجرب .

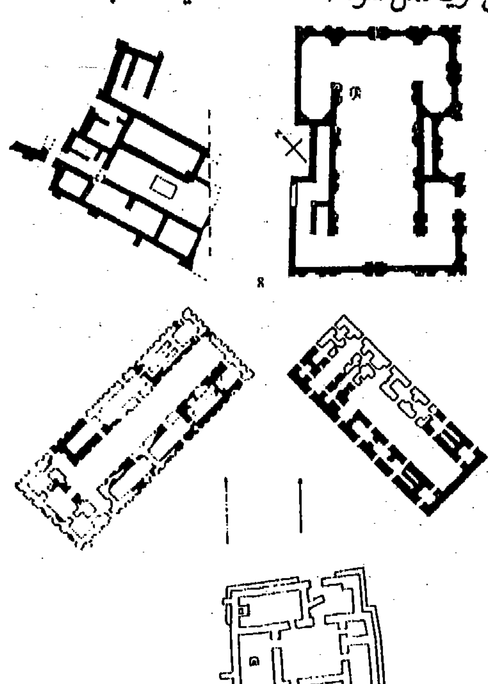
٦- معبد عشتار في آشور

٧- معابد ماري وهي ستة (انانا ، ننخرساگك ، اوتو ، عشتارات ، نني زازا ، الزقورة) .

٤- معابد مرحلة سلالة اور الثالثة (٢١٢٤ - ٢٠٠٦) ق.م

وامتازت بظهور زقورات (اور ، اريدو ، نفّر ، اوروك)

وظهرت ايضاً المنازل السفلية خصوصاً في أور وهي أشبه بالمعابد السريّة ، سنتناول نموذجاً من كل مرحلة بشرح مبسط ، وقد أتينا على ذكر المعبد الأول في أريدو لأهمية التاريخية لأنه أول معبدٍ يشاد على وجه الأرض ويحمل المواصفات الأساسية للمعبد .



شكل (٨٩)
معبدان من تبة كاورا
الأول هو المعبد الشمالي في نهاية فترة العبيد
الثاني هو المعبد الواقع شمال شرقي نينوى (٤٥٠٠ ق.م).

شكل (٩٠)
معبدا إنانا في اوروك
الأول من الطبقة السادسة ٣٢٠٠ ق.م
الثاني من الطبقة الخامسة ٣٤٠٠ ق.م (المعبد الصخري)

شكل (٩١)
المعبد المربع (معبد آبو) في تل

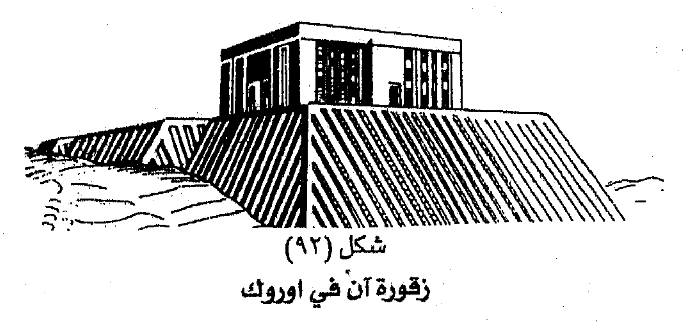
آسمر ٢٧٥٠ ق.م

معبد انانا في اوروك

وهو معبد يمثل المرحلة الثانية من التاريخ السومري، ويسمى (أي . أنا E- anna) ويعني (بيت السماء) وقد كان مخصصاً لعبادة الإلهة إنانا باسمها القديم الأول (إينين)، ويعتقد أنه كان في نفس الوقت معبد الإله دموزي.

ولهذا المعبد ميزتان معماريتان مهمتان الأولى هي أن مخططة الأرضي كان يشبه الصليب الذي تحيط به جدران مختلفة (انظر شكل ٨٦)

وقد يكون هذا نضحاً لا واعياً من بناة المعبد، حيث أن إنانا عند نزولها الى العالم الأسفل تعلّق على عمود بعد ان تقرر اختها موتها . . ثم ان دموزي زوجها يموت كل عام في العالم الأسفل (ولنتذكر مقارنات دموزي وانانا مع السيد المسيح) . . أما الوجه الثاني للصليب وهو الأساس فهو انه كان رمزاً للخصب وانانا ودموزي هما خير من يمثل الخصب. الميزة المعمارية الثانية هي الزخرفة الفسيفسائية المذهلة لأنصاف الأعمدة المثبتة على الجدران، وذلك عن طريق تثبيت عشرات الألوف من المخاريط الطينية الصغيرة بعد تغطيسها في ألوان مختلفة حتى تصبح رؤوسها أما حمراء أو سوداء أو برتقالية باهتة «وذلك دون ريب إختراع سومري بكل تمييز ولغرض تنويع الجدران الداخلية والأعمدة الضخمة يلقون في غلاف الطين آلافاً من المخاريط المدببة الصغيرة ذات الوان سوداء وحمراء وبيضاء بطريقة لا تظهر منها سوى رؤوسها حيث تؤلف أشكالاً متكسرة ومتقاطعة ومتعرجة من معيّنات ومثلثات تغطي سطح الجدار بمختلف الألوان. ويكون التأثير العام لذلك أشبه بالطنافس التي تتألف - بدلاً من ان تنسج بأصواف ملونة - من عدد لا يحصى من الحبات الصغيرة المصنوعة من التراب» (بارو ١٩٧٩ : ١١٥).



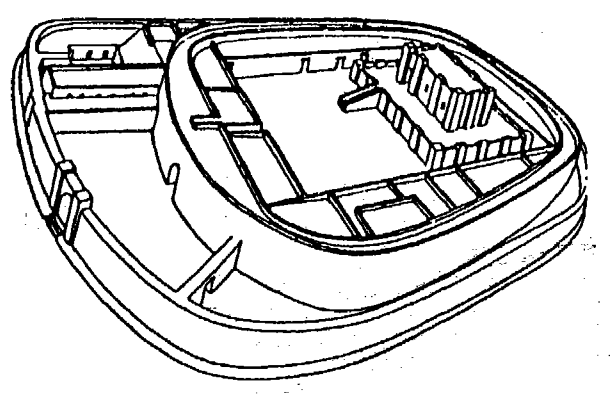
شكل (٩٢)
زقورة آن في اوروك

ويبدو أن المعبد كان شيداً فوق منطقة محاطة بساحة مركزية ومخازن وأماكن للأضاحي وجميع هذه المرفقات والمعبد محاطة بسور. ويرى الباحثون الالمان بشكل خاص ان لهذا المعبد زقورة وأنها كانت تتألف في البداية من طبقة واحدة.

المعبد البيضوي في خفاجي (توتوب)

يمثل هذا المعبد نموذجاً فريداً لمعابد مرحلة دول المدن السومرية. تبلغ مساحة المعبد حوالي (٨٠٠٠)م٢، وأهم ما يميزه أنه محاطٌ بسورين بيضويين يقع بينهما (بيت الكهنة). واشتمل بناء المعهد على دكاكين ومخازن وقدس أقدس في النهاية الأولى.

كان مدخل هذا المعبد سلّماً يقع بين درجين. وتظهر خلوةٌ متميزةٌ. وكذلك ما يسمى بالطريقة المزدوجة التي كانت سائدة في النمط المعماري لهذا العصر ويبدو أن المعبد كان مبنياً على مصطبة عالية وما زالت الزقورة غير شائعة كثيراً في هذا العصر رغم وجودها.



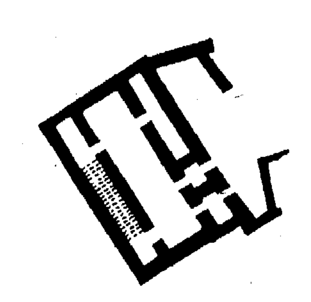
شكل (٩٣)
المعبد البيضوي في خفاجي

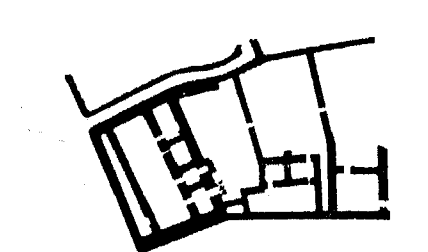
زقورة أور (معبد إله القمر نانا)

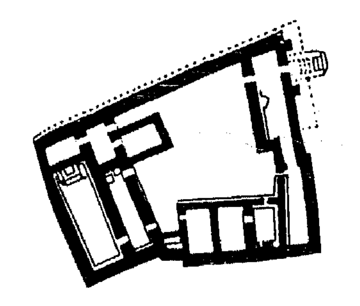
كانت الزقورة ابتكاراً سومرياً عظيماً لفن عمارة المعابد وقد كانت لكل من اور والوركاء ونفر ولارسا وأريدو زقوراتها الخاصة بها «وقد شيدت كل هذه الزقورات التي تتألف من ثلاثة الى سبعة طوابق من الآجر (غير المشوي من الداخل والمشوي من سطحه

الخارجي) . فهذه النُصب تذكرنا لأول نظرة بالأهرام المصرية . وبصفة خاصة بما عرف بهرم (سقارة) المدرج » (بارو ١٩٧٩ : ٢٥٤) ويبدوأن الزقورات السومرّية كانت حافزاً لبناء الأهرام المصرية ، رغم أن الأهرام اخذت خصوصيتها المصرية وانها كانت بمثابة القبور العملاقة وليس المعابد .

إن زقورة أور التي بناها الملك (اورنمّو) ذات ثلاثة طوابق وتعلو الطابق الأعلى غرفة الإله (نانا) وقد وجهت زوايا المعبد الأربع نحو الجهات الأربع ، ورتب التغليف على شكل طلعات ودخلات « أما السلم الذي يهبط بتعامد في اتجاهه مع الضلع الشمالية الشرقية فمن المحتمل أن يؤدي قدماً الى الطبقة العليا التي شيدت عليها المعبد العالي الحقيقي . وأما السّلمان الجانبيان فانهما يرتبطان عند الطبقة الأولى . بالسلّم الرئيس الذي يؤدى بشكل منفصل الى الطبقة الثانية من الزقورة (مورتكات ١٩٧٥ : ١٩٥) .







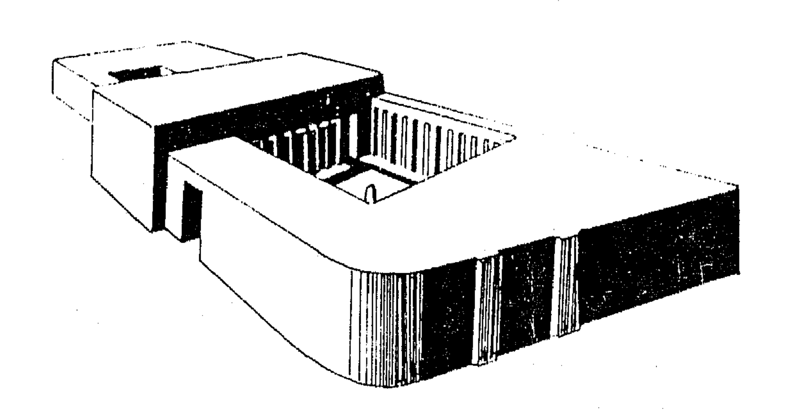
شكل (٩٤)

معابد اله القمر(سين)

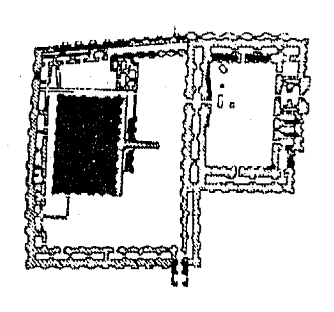
١. الطبقة الاولى خفاجي قرب ديالي ٣١٠٠ ق.م

٢. الطبقة الرابعة خفاجي ٢٩٠٠ ق.م

٣. الطبقة الثامنة خفاجي ٢٧٠٠ ق.م



شكل (٩٥)
معبد الإلهة نني زازا في ماري ٢٤٠٠ ق.م



شكل (٩٦)
معبد زقورة نانا في أور
سلالة أور الثالثة ٢١٠٠ ق.م

٩. الحكماء السبعة (أبكالّو)

أفردنا لمبحث الحكماء السبعة فقرةً منفصلة لإيماننا أن هؤلاء الكهنة لا يشكلون مرتبة كهنوتية معروفة، ولكنهم في نفس الوقت يمتلكون أهمية استثنائية في الماضي السومري وبوجهه الديني بشكل خاص.

الحكماء السبعة هم (ابكالّو) واحياناً يلفظون بـ(افكالّو) سومرياً ولكن المصطلح الأكدي لهم هو بُلوكوّ (Pulukku). ويشير الأصل السومري لهم أنهم خبراء العرافين، أما المصطلح الأكدي فيعني حصراً (مراقبو النجوم) ومن هذا المعنى اشتقت كلمة (الفلك) فهي قريبة من بولوكو وكذلك كلمة (الأفك) اي الكذب التي تشير الى فئة الدجالين من العاملين في قراءة النجوم.

وقد أظهر نصّ مكتوبٌ باللغتين السومرية والأكدية أسماء هؤلاء الحكماء السبعة الذين عاشوا قبل الطوفان، ويعتقد أن كلّ واحدٍ منهم عاصر أحد ملوك الطوفان.. وكان هو مصدر الحكمة والدين آنذاك (انظر Reiner 1961 : 4).

ويأتي ذكر الحكماء السبعة في اللوح الأول من ملحمة كلكامش:

«اعلُ فوق أسوار أوروك

وامشِ عليها متأملاً

تفحص اسس قواعدها وآجر بنائها

أفليس بناؤها بالآجر المفخور؟

وهلاّ وضع الحكماء السبعة اسسها»

(باقر ١٩٨٠ : ٧٤).

ويطلق على الواحد منهم ايضاً لقب (منتاكّو Muntakku) ويعطي معنى المستشار. ويوحي كذلك بكلمة (المنطق) وهي جزءٌ من الحكمة فهم (المنطقيون) ايضاً. وكذلك اسمهم السومري ابكالو Apkallu اي الافكل وتشير الى جذر سومري أقدم أبكال Abgal. وهناك مصدر يذكر اسماءهم الصريحة كما يلي:

١ . **أدابا** : ومعنى اسمه الحكيم أو العاقل أو العارف وهو كاهن التطهير لمدينة أريدو والذي صعد إلى السماء ، وتذكره احد القصص الأكدية تفصيلياً ، بحيث انه كاد يحصل على طعام وشراب الآلهة فيكون بذلك خالداً إلاّ انه رفض أخذ هذا الطعام والشراب وخسر الخلود ، وأدابا شخصية سومرية عاشت في أقدم عصور ما قبل الطوفان . وتختلط شخصيته بشخصية أخرى هي (أوان Uan) وهي الشخصية التي ذكرها المؤرخ البابلي برعوشا (Berssous) بصيغة (أوانيس Oannes) ، ولكن أوان أو أوانيس هذا على ما يبدو كائن اسطوري نرى أنه الاله انكي نفسه وقد أخذ اسمه الأكدي أو البابلي (أيا) وصيغ بصيغة يونانية (أيانيس) بدليل أن برعوشا يذكر بأنه كان يلبس ملابس سمكة وهو رداء الاله إنكي الّذي كان يلبسه رهبانه وكهنته وتذكرهم النصوص المسمارية على أنهم صنّاع (Um- mianu) وهي تسمية قد تكون مصدر (اوان) .

٢ . **نونبيركال نون كالدم** : وهو الحكيم الثاني وكان حكيم إنمركار الذي جلب عشتار من السماء ووضعها في معبدها في أوروك (أي أنا)

٣ . **بيركال نونكال** : وهو الحكيم الثالث القادم من كيش والذي أغضب الإله أدد في السماء ، فقام هذا الاله بحبس الأمطار ثلاث سنوات وماتت خلالها النباتات .

٤ . **بيركال أبسو** : وهو الحكيم الرابع الآتي من مدينة (أريدو) والذي أغضب الإله إيا أو إنكي في الـ (أبسو) .

٥ . **لونانا** : وهو الحكيم الخامس الذي طرد التنين (اوشنگالّو) من معبد عشتار (انينكار نونا) .

أما الأثنان الآخران فيصعب قراءة إسميهما (انظر 4: Reiner : 1961) ولكن هناك مصدراً آخر يذكر اسماءهم السبعة بصيغة مختلفة ويبدو ان لهم عدة ألقاب وهم حسب هذا المصدر (انظر Dalley 1989: 327) :

١ . **أدابا Adapa**

٢ . **أوان دوكا U- an - duga**

٣ . **اينمي دوكا En- me - duga**

٤ . **انيمي كلاما En- me - galamala**

٥ . اينمي بلوكا En- me - buluga

٦ . ان إنليليدا An- Enlilida

٧ . أتو أبسو Utu - abzu

ويبدو أن اسطورة الحكماء السبعة السومرية انتشرت في كل العالم القديم فالفرس والهنود والصينيون والاغريق، كلٌّ على حدة، لهم حكماءٌ سبعة شادوا لهم حضاراتهم القديمة وعلّموهم فنون الحكمة والعمران .

وتشير أو تلمح كلمة أبكالو السومرية إلى معنى المخلوقات المركبة أو العفاريت التي تعمل تحت إمرة أبسو المياه العذبة العميقة أو مياه الانهار، والتي تقع تحت سيطرة الإله إنكي . وتصور هذه المخلوقات بجسم انسان ورأس سمكة وهو الزي الذي يشير الى كهنة الاله انكي لاحقاً . وهذا يعني انهم (رسل) أو مبعوثو أو حكماء الإله إنكي سيدهم أو سيد الحكمة .

أن ما يلفت انتباهنا في حكاية الحكماء السبعة هو تحديهم للآلهة رغم انهم استلموا الحكمة منهم «وهذا يعني أن حكمتهم كانت تدخلاً في شؤون وأنظمة الطبيعة، التي هي من اختصاص الآلهة حسب العقيدة اللاهوتية البابلية . وهذا التدخل، برأينا المعاصر، لم يكن سوى العمل للتحكم ببعض مساراتها، وهو ما نعبّر عنه اليوم باسم الاختراعات العلمية، التي ليست سوى الإفادة من مسيرة الطبيعة ذاتها . وإن مجرد ذكر تحدي هؤلاء الحكماء للآلهة ذكراً محايداً، دون نقمة أو شماتة يوضح القيمة الاجتماعية التي كان يتمتع بها الحكيم، والتي تجعله في مواجهة مباشرة مع غموض الطبيعة وجبروت آلهتها، وليس في وضع المنبوذ أو المرفوض لخطيئة تمرده» (الحوراني ١٩٩٤ : ١٢) .

إن ظهور الحكماء السبعة مع ملوك ما قبل الطوفان يشير من وجهة نظرنا إلى مسألة في غاية الأهمية وهي أن الملوكية عندما نزلت من السماء فلا شك أنها نزلت من آن الذي كان قد سلّمها إلى أنليل وهو المسؤول عن الملوكية أو السلطة . أما الحكمة فإنها خرجت من البحر وأخرجها كائن بحري أسطوري هو الإله (إنكي أو (إيا) نفسه إله الماء والحكمة . . وبهذا المشهد يتكامل ظهور الآلهة الثلاثة على الأرض من خلال ممثلين لهم من البشر هم (الملوك والحكماء) .

إن تلازم السطلة مع الحكمة في نظر السومريين هي من الأمور الأساسية لكي يحكم الإنسـان على الأرض . ونحن نرى دور الحكمـاء السـبـعـة في ترسيخ وتعـمـيق الدين السومري والعمران السومري معاً كان أساسياً .

١٠ . العود الأبدي

ترتكز فكرة العود الأبدي على أن مـا يحدث في العالم ومـا نفعله مرتبطٌ بحدث أولي ظهـر في أقدم الأزمـان وأننا نحاول تكرار نموذج مثـالي أسطوري ويتبع ذلك رفضٌ حثيث للزمن التاريخي وعودة دورية لزمن الأحوال الميثية إلى (الزمان الكبير) .

ورغم أن العلاّمـة مرسيا إلياد عـالج بكثير من الدقة شـواهد حضـور فكرة العود الأبدي عند الأقوام البدائية ، لكن الأمثلة الرافدينية والسومرية منها بشكل خاص كانت هي اساس هذه الفكرة ومنبعها .

ونحنُ لا نتحدث هنا عن فلسفة العود الابدي عند اليونان أو عند هيغل أو عند نيتشة بل إلى الأصول السومرية لفكرة العود الأبدي وكيفية ممارستها طقسياً وفعلياً .

يرى السومريون أن العالم الذي نحنُ فيه ما هو الا صدى أو تكرار لنموذج سماوي إلهي سبق ظهور عالمنا الأرضي والانساني ، أي أن هناك نموذجاً أو مثالاً الهياً نعمل نحنُ على إعادة التشبة به دائماً ففي أقدم وثيقة حلمية تتعلق ببناء معبد في لكش يرى كوديا في حلمه أن الإلهة (ندابا) أظهرت بناء المعبد على لوح جاء فيه ذكر النجوم النافعة وأحد الآلهة يطلعه على رسم الهيكل . وقد كان لأغلب المدن السومرية والبابلية نماذج سماوية برجية فمدينة سبار نموذجها السرطان ونينوى نموذجها الدب الأكبر وآشور نموذجها القوس . وقد أمر الملك سنحاريب ببناء مدينة نينوى على حسب (الخطة المرسومة منذ الأزمنة السحيقة في هيئة السماء . والمثال لا يسبق التصميم الأرضي في الزمان وحسب ، وإنما هو يوجد في اقليم مثالي (سماوي) في الأزل ايضاً (انظر الياد ١٩٨٧ : ٢٤) وكان العراقيون القدماء قياساً على أصل سومري يرون أن لدجلة نموذج سماوي هو النجم (عنونيت) وللفرات نموذجاً هو (نجم السنونو) . وهذا ما نلمحه في بقايا المعتقدات السومرية عند الصائبة حيث (نهر يردنا) هو النهر السماوي لدجلة والفرات .

وهناك نص سومري يحدثنا عن (إقامة أشكال من الآلهة)، حيث توجد ألوهة الماشية والحبوب .

إن العالم الذي نحنُ فيه لا يكتسب شرعية أخرى غير الشرعية التي ترتد الى النموذج فوق الأرضي الذي جاء هذا العالم على مثاله. أي أن الانسان يبني طبقاً لنموذج، ولا تقتصر النماذج السماوية على المدينة والمعبد وحسب، وانما تشمل كل أقليم يسكنه وما فيه من أنهار تروي أراضية وحقول تمدّه بالغذاء . . الخ، إن مخطط مدينة بابل يرينا المدينة في وسط إقليم دائري واسع يحيط به نهرٌ «عامرٌ» تماماً كما تمثل السومريون الفردوس من قبل (انظر الياد ١٩٨٧ : ٢٨).

وتشكل رمزية المركز واحدة من أوجه فكرة العود الأبدي التي تظهر من خلال الجبل أو المكان المقدس حيث تتلاقى السماء والأرض والذي يوجد في مركز العالم، وهكذا كان الاعتقاد بمدينة نفّر التي كانت مركز العالم حيث انفصلت السماء عن الأرض في منطقة (اوزموا) فيها ولذلك تعتبر هذه المنطقة أشبه برباط الأرض والسماء أو (سرة الأرض) حيث خلق الانسان لأول مرة في (اوزموا). ويرد اسم (دوكو) وهو (التل المقدس) عند السومريين ليشير الى مجمع الآلهة (الانونا) عنده وربما أشار حقيقةً الى جبل حمرين.

وتظهر رمزية المكان أيضاً في كل معبد أو قصر يشاد من قبل الملوك السومريين ولذلك كانت الزقورات والمعابد تحمل اسماء تشهد على تمثلها للجبل الكوني (جبل البيت، بيت جميع البلاد، جبل العواصف، صلة ما بين الأرض والسماء . . الخ وتقول المدونة الحلمية للملك گوديا أن حجرة الإله التي بناها الملك كانت شبيهة بالجبل الكوني. وقد كانت الزقورة تحديداً جبلاً كونياً. أي صورة رمزية للكون، فالأدوار السبعة تمثل السموات السبع الكوكبية أو هي ملونة بألوان العالم (انظر الياد ١٩٨٧ : ٣٣-٣٤).

وقد تردد إسم سوميرو Sumeru للجبل المركزي الذي كان يعتقد به اقوام الاورال (الألطاييق) باعتباره المكان الذي يتدلى فوق قمته نجم القطب. وهؤلاء الأقوام يرتبطون بذاكرة لغوية مشتركة مع السومريين ولهم صلات أصل مع سومر.

وكانت طقوس الزواج المقدس في سومر مناسبة لاحياء ذكرى كوسموغونية كانت تقوم بها الآلهة، ولذلك كانت استعادة هذه الذكرى في مهرجانات صاخبة تمثلُ إحياءً طقسياً لبداية الخلق الكوني والزواج الألهي، وقد انسحبت هذه الفكرة تماماً على أعياد

رأس السنة الجديدة عند السومريين فقد كان «المغزى الإجمالي لهذه الاحتفالات، ومغزى كل عنصر من عناصرها المكونة لها واضحاً وضوحاً كافياً : وفي اثناء قطع الزمان الذي تشكله السنة، لا نشهد إيقافاً فعلياً لفترة زمنية معينة وبداية لفترة أخرى وحسب، وإنما نشهد أيضاً إبطالاً للسنة الماضية والزمن المنصرم. وهذا، من جهة ثانية، هو معنى التطهيرات الطقسية : حرق، ومحو للخطايا والذنوب التي اقترفها الفرد والجماعة في مجموعها، لا مجرد تطهير. إن التجديد هنا معناه الولادة الجديدة» (الياد ١٩٨٧ : ١٠٣).

لقد كان عيد الأكيتو السومري عوداً دورياً أبدياً لبدء الخليقة، ولحظة شروع في بناء عالم جديد وكانت طقوس غياب دموزي أو نانا (القمر) أو دامو أو غيرهم من الآلهة غياباً مؤقتاً مناسبةً للطرد السنوي للخطايا والأمراض والعفاريت التي سببت مثل هذا الغياب وهي - في الأساس محاوله - ولو مؤقتة - لإعادة إنشاء للزمن الميثي والبدئي، الزمن النقي، زمن لحظة الخلق كل سنة جديدة فهي عودة بالزمان الى بدايته، أي تكرار لولادة الكون. «وكذلك كان يحتفل بالعيد المسمى بـ (عيد المصائر)، (زكمك) في الاطار نفسه الذي كان يُحتفل فيه بـ (اكيتو) في (عيد المصائر) حيث كان يتم تعيين دلالات كل شهر من أشهر السنة الاثنى عشر، وهذا يعني خلق الأشهر الاثنى عشر القادمة»، (الياد ١٩٨٧ : ١٠٧).

لقد أصبحت كل هذه المداليل العميقة اساساً عملياً لفكرة وفلسفة العود الأبدي التي ظهرت بوضوح في المعتقدات اليونانية العرفانية كالفيثاغورية والرواقية ثم الغنوصية.

ونلمح كذلك جذور فكرة العودة الأبدي في الدورات الكونية الكبرى (السار) عند السومريين والبابليين حيث ينقسم الزمن الى دورات فلكية تنتهي بحوادث عظيمة كالطوفان أو الحرائق.

وقد شكلت هذه الأفكار اساس الفكر اليوناني حيث أصبحت «فكرتا العود الأبدي) و(نهاية العالم) دورياً ذات حظوة كبيرة عند اتباع الفيثاغورية الحديثة التي اقتسمت مع الرواقية قبول المجتمع الروماني كله لها، في القرنين الثاني والأول قبل المسيح. لكن اعتناق اسطورة (التكرار الابدي) واسطورة (نهاية العالم) كان يمثل موقفين فلسفيين يسمحان لنا أن نستشف من خلالهما موقفاً معادياً للتاريخ بعيد الرسوخ، وتؤكد إرادة للوقاية من التاريخ (الياد ١٩٨٧ : ٢١٥).

١١. جذور الهرمسية والغنوصية

نرى أن الدين السومري كان ديناً شرقياً أصيلاً بالمعنى العميق للكلمة ، فقد عكس هذا الدين بيئة الشرق القديم تماماً ، وضمّ بذور الكثير من العقائد والاتجاهات التي ظهرت لاحقاً .

لم يكن نشوء الهرمسية والغنوصية مرافقاً لتلاقح االفلسفة اليونانية بالشرق وظهور النزعة الهيلنستية ، بل كانت الهرمسية والغنصوية من التيارات الشرقية القديمة . . بوجود وعدم وجود هاتين التسميتين .

وهناك من يرى أن الهرمسية ترجع الى سومر ، فالأصل البابلي للهرمسية والذي يقول أن هرمس كان بابلياً ورحل إلى مصر وبنى الأهرام هو كلام غير دقيق تماماً لأن المقصود ببابل هنا هو سومر ، فالأهرام بنيت قبل ظهور بابل وبعد ظهور سومر وتستمد الهرمسية أصولها من ديانة الأسرار السومرية ومن السحر السومري ومن فكرة الأصول التي تكمن في سومر قبل مصر . ونرى أن الهرمسية نشأت قبل الطوفان في سومر ، وأن أحد ملوك ما قبل الطوفان كان بلا شك هو هرمس الذي انتقل تحت هذا الاسم أو غيره الى مصر ثم انتقل الى اليونان ثم ظهرت الهرمسية كتيار هيلنستي نشط قبل الميلاد بقرن أو قرنين . . ثم وجدت لها طريقاً في الأديان الموحدة الثلاثة (اليهوديه والمسيحية والاسلام) تحت مسميات عديدة .

أما الغنوصية (gnosticism) التي ترجمت إلى (العرفان) والتي يدعي أصحابها المعرفة الكاملة لطبيعة الله وصفاته . وهي نوع من المعرفة العليا والنور الروحي الذي تصل اليه النخبة المصطفاة . والغنوصية كتيار واضح ظهر مع سيمون الساحر ثم على يد ثلاثة من الفلاسفة الغنوصيين الذين عاشوا في أواسط القرن الثاني هم بازيليدس وفالنتينوس ومرقيون وركزّ هؤلاء على حقن الفلسفة بالأساطير وبناء هياكل مثولوجية داخل العقل الفلسفي ,, وعلى هذا النحو نرى الغنوصية ، التي تمخضّت من جهة أولى عن خرافات وحكايات اسطورية تتسع لجميع الصور الدينية التي تسكن عقل الشرقي ، ومن جهة ثانية عن عبادات وممارسات تطهيرية ترامت أنصابها وآثارها على امتداد الأمبراطورية الرومانية، نراها لا تعقد إلاّ صلات غير مباشرة بتاريخ الفلسفة ،، (برهييه ١٩٨٢ : ٣١٠)

وتكاد الغنوضية والهرمسية تشكلان توأماً شرقي المنبع أثارت مياهه حجارتان الأولى جاءت من الأديان التوحيدية وبشكل خاص اليهودية والمسيحية . والثانية جاءت من الفلسفة اليونانة التي وفدت إلى الشرق مع الإسكندر المقدوني .

وهكذا تطعمّت الأديان الموحدة والفلسفة اليونانية بوشاحي الغنوصية والهرمسية ،

لكن اصولهما العميقة تكمن في سومر . . وتحديداً في ديانة دموزي الشعبية والتي بدأت بالإنحسار والتواري مع مجيء الحضارات السامية ، ولكنها كانت تذهب إلى الأعماق باتجاه الأسرار والباطن .

إن طقوس وأسرار التموزية وما نتج عنها من عرفان ذوقي في معرفة الآلهة ، وفي الإنسان الأول ، ونزول الإنسان إلى الأسفل ، أو صعوده إلى الأعلى واتصاله بالآلهة . . كانت جزءًمن الدين السومري ذات يوم .

ولعل أقرب الديانات التي ما زالت حيّة والتي تمثل الغنوض السومري والهرمسية السومرية هي الديانة الصابئية المندائية التي تمثل في جوهرها الدين السومري ، وفي أسرارها الغنوض السومري ، وفي هيكلتها البناء الهرمسي السومري . وستكون لنا وقفة مطولة مع هذا الموضوع في الكتب القادمة (انظر الماجدي ١٩٩٧ ب)

١٢ . الاسكاتولوجيا السومرية (عقائد الموت والخلود)

يتسع مفهوم الاسكاتولوجيا كثيراً ليتناول عقائد موت الكون والعالم والآلهة والإنسان . . وقد ناقشنا بعض جوانب عقائد موت الكون والعالم وأفكار العود الأبدي والسار السومري في الفصل الأول ضمن مثولوجيا الخليقة . لكننا سنتناول هنا الأوجه المختلفة لعقائد الموت والخلود والروح والعقاب والثواب والعالم الأسفل .

خلود وموت الآلهة

عرفنا أن الخلود كان من نصيب الآلهة وكانت الحكمة في ذلك هي » أن الآلهة مسؤولة عن إدارة الكون بجميع مظاهره المعقدة التي تفوق بكثير عوالم البشر ومن هنا فلا بد من ان تتفوق الآلهة على البشر بقدراتها وبخلودها وإلاّ فإن الكون يكون عرضة

للفوضى والدمار حين موتها وهو أمر لا يستساغ حدوثه » (حنون ١٩٨٦ : ٤٤) ولذلك كانت مادة أجساد الآلهة من الضوء وأجسامها عملاقة ، ولكن التشابه بينها وبين الإنسان شكلاً ومضموناً في السلوك والتصرف والتفكير ، ربما ، كان واحداً من الأسباب التي جعلها تتعرض أحياناً إلى القتل والموت ، فضلاً عن تعرضها للإنتهاك والمرض والإحتجاب .

لا تحفل الأساطير السومرية ، كما هي الأساطير الأكدية والبابلية ، بموت الآلهة أثناء خلق الكون أو الآلهة فإلالهة نمّو التي هي مصدر كل الكون والآلهة تظهر فيما بعد في أسطورة خلق الإنسان وأمّا للإله إنكي ، بينما تموت الإلهة تيامت وأبسو ممّو وكنگو في أسطورة الخليقة البابلية .

لكن هناك لوحاً مكتوباً بالأكدية ترجع أحداثه إلى العصر السومري أو ما قبله تشير إلى أن آلهة ، الانوناكي طلبت من الإله إنليل بعد خلق الكون أن يسمح لها بذبح عدد من الآلهة المسماة (لامكا) التي كانت تعتبر آلهة البنائين وقد تمّ ذلك في منطقة (اوزموا) في مدينة (نفّر) ليخلق الإنسان من دمائه .

أما الموت السنوي المؤقت للآلهة فقد كان هناك أربعة آلهة ذكور تعرضوا للنزول إلى العالم الأسفل والموت فيه وهم :

١ . دموزي إله مدينة أوروك جنوب سومر على أثر نزول إنانا إلى العالم الأسفل واختيارها له بديلاً عنها بسبب عدم مبالاته وحزنه أثناء موتها المؤقت .

٢ . ننجشزيدا (جشبندا) في جنوب سومر ويرتبط اسمه بدموزي فهو يقضي جزءً من العام في العالم الأسفل ثم يصعد إلى السموات ، ويعتقد أن الاله ننجشزيدا اله خصب أيضاً ، وقد جاء رمزه كثعبان مطابقاً لشخصيته لأن الثعبان يغيّر جلده كل عام ، ولأنه يخرج من جحور عميقة في الأرض أي من العالم السفلي .

٣ . دامو : إله مدينة إيسن في وسط سومر ، وإله مدينة جرسو أيضاً حيث يذهب إلى العالم الأسفل وتبكي عليه أمه (نيني - سنّا) إله إيسن ، وهو إله الشفاء في إيسن . وتراتيل البكاء عليه تشبه تراتيل دموزي .

٤ . ليل (LIL) : إله مدينة أداب في وسط سومر ، وهو إله غامض ، أمه الإلهة ننخرساج وأخته أجيما التي تقوم بالتماس العذر له بتراتيل خاصة تشبه تراتيل گشتن أنا :

,,أخاه ، إنهض من قبرك ، أمك تنظر إليك
أمك ننخرساج تنظر إليك
تستمع إلى شفتيك الحلوتين
تستمع إلى فمك الحلو
يا ولد ، لا تدع أمك تجلس وتبكي
لا تدع ننخرساج تجلس وتبكي
لا تجلب لها الخراب ، انهض من قبرك
ليل . . لا تجلب لها الخراب
انهض من مرقدك . .
يقول ليل :
خلصيني ، يا أختاه خلصيني
أجيما ، خلصيني ، يا أختاه
لا تعنّفيني . . خلصيني يا أختاه
لم أعد قادراً على الرؤية
يا أمي يا ننماخ لا تعنّفيني
لم أعد قادراً على الرؤية
قبري غبار العالم الأسفل
أنا نائم بين الأشرار
نومي عذاب وأنا بين الأشرار
أختاه ، لا أقدر على النهوض من قبري "

(Thoro and Dangan 1922 : 175)

٥ . ساتران إله القضاء في مدينة دير شمال سومر ولا يعرف سبب ذهابه إلى العالم الأسفل .

٦ . ننكر سو إله مدينة لجش في جنوب سومر حيث تقوم الإلهة (بابا) بانقاذه من العالم الأسفل .

٧ . تشباك إله مدينة أشنونا .

٨ . آبو إله مدينة أشنونا .

هؤلاء الآلهة تعرضوا للموت المؤقت كانعكاس لخصب الأرض وخرابها المتلاحق في فصلي الصيف والشتاء فهو موت دوري ومحسوب .

أمّا الآلهة التي تعرضت للموت في حالات خاصة غير متكررة فقد شملت الإله إنليل عندما طردته الآلهة وتبعته ننليل ، وهناك أسطورة سومرية حول إشكر ، تذكر إختفاء هذا الإله وكيف أن والده الإله إنليل جمع آلهة الأنوناكي لإستعادته وقد تطوع الثعلب لإستعادته من العالم الأسفل (أنظر Tallqvist 1938 : 339) وأسطورة إنكي وننخرساج في دلمون وتعرض إنكي للموت .

موت وخلود الإنسان

الموت هو الأمر الطبيعي عند الإنسان أمّا الخلود فأمرٌ نادرٌ جداً وقد ذكر لنا التراث السومري خلود بعض البشر منهم (زيوسدرا) الذي خلّص البشرية من الطوفان ، والملك السومري (اينميدر أنا) الذي استدعى إلى السماء وتسلّم هناك أسرار فن العرافة (البارو) وربما يكون قد منح الخلود ، وقد فشل ادابا في الخلود ، ومنح (اتانا) القدرة على الإنجاب فقط .

ونرى أن الموت فرض حتى على الملوك المؤلهين مثل شولكي وخلفاؤه ملوك أور الثالثة ، وفرض الموت حتى على گلگامش الذي كان ثلثاه من الآلهة ولكن ثلثه البشري قاده إلى الموت ولم يمكنه من الحصول على الخلود .

الروح ومصيرها بعد الموت

اعتقد السومريون أن الإنسان مكوّن من عنصرين مختلطين هما :

الجسد الذي يرجع أصله إلى الماء والصلصال (الطين) وهو العنصر المرئي ، والروح التي يرجع أصلها إلى الآلهة التي نفخت في الإنسان هذه الروح من أنفاسها ، والتي لا تُرى .

وقد اعتقد السومريون أن الموت يرجع جسد الإنسان إلى الطين عندما يدفن في القبر ولا يعود له وجود(إلاّ ما يتبقى منه من عظام) . أمّا الروح فلأنها من الآلهة فإنها تذهب إلى العالم الأسفل وتحبسُ فيه إلى الأبد .

أطلق السومريون إسم (GIDIM) على روح الميت وشبحه والتي تعني مخلوق الظلام ، وكذلك يمكن إطلاق كلمة آدم (IDIM) وإيدم (EDIM) أي المظلم التي اشتقت منها الكلمة الأكدية (ادمو ، اطمو) وقد استقرت كلمة (گدم) على أن تكون رديفة لـ (شبح) وانسحب هذا حتى على الآلهة فكانت أرواح (أشباح) الآلهة تمثل برموزها الحيوانية في الغالب (إنليل : حمار الوحش ، آن : الذئب ، تيامت : الجمل)

وكان المصريون القدماء يعتقدون أن خلود الروح بعد الموت يتوقف على سلامة الجسد الذي كانت فيه ولذلك اعتنوا بتحنيط الأجساد لضمان خلود الروح ، أما السومريون فلم يقيموا علاقةً بين حالة الجسد والروح بعد الموت بل رأو أن طقوس الغسل والدفن الصحيح والأضاحي هي الأساس في راحة الروح (وليس خلودها) بعد الموت في العالم الأسفل ولكنها مع ذلك تبقى إلى الأبد حبيسة العالم الأسفل .

إن الروح تدل على الحياة التي كانت تعني عند السومريون بكلمة (ZI) وهي حرفياً هبوب الرياح ولذلك فإن كلمتي (روح ، ريح) في العربية لهما علاقة وثقى لأنهم خروج الروح على شكل آخر الانفاس . وفي الغالب تصوروا أنها على شكل طائر يخرج من صدر من الميت ويتجه بإتجاه الأفق غرباً حيث مغيب الشمس إذا كان الميت غير مدفون ، أو تنزل من القبر إذا كان مدفوناً ، بإتجاه العالم الأسفل وأول من تقابله الروح في العالم الأسفل هو نهر العالم الأسفل(ايلوروكي) (خبر) وملاحة الذي يحملها بقارب ، وقد عثر في مقابر مرحلة جمدت نصر على قوارب فضّية وقيرية للقيام بهذا العمل .

بعد ذلك تدخل الروح في أول بوابة من بوابات العالم الأسفل وكان ذلك يتم بواسطة وضع روح الميت في عربة تجرها الحيوانات ، وقد عثر على عربات مع حيواناتها

في المقابر الملكية في أور وكيش ، وكان حاجب البوابة الأولى اسمه (نيتي) أو (نيدو) هو الذي يشرف على هذه العملية . ثم تبدأ باجتياز بوابات العالم الأسفل السبعة جميعها .

المرحلة الأخيرة هي وصول الروح (وهي على شكل الإنسان نفسه ولكن مزودة بأجنحة) إلى العالم الأسفل حيث تعيش هناك مع بقية الأرواح ، وتقرر منزلتها على ضوء أمرين أولهما عدد الأبناء الذين انجبتهم في العالم الأعلى فكلما كثر الأبناء ارتفعت منزلتها وثانياً سلامة طقوس واضحيات الموت .

وفي العالم الأسفل تُمنع روح الإنسان من ارتداء (النعال ، اللباس) وتمنع من وضع العطور ومسك السلاح وإحداث الأصوات العالية . وهناك بعض الأرواح التي لأصحابها مقام كبير في العالم الأعلى يمكن أن تحضى بامتيازات عديدة قد تصل إلى دخول قصر العالم الأسفل الذي يسكن فيه الها العالم الأسفل الكبيران (نركال ، ارشيكيكال)

ومعروف أن الذين يقتلون ظلماً والذين ليس لهم قبور تبقى أرواحهم داخل العالم الأسفل قلقةً وغير مستقرة وقد تخرج نتيجة لذلك خارج القبر إلى عالم الأحياء وتسبب لهم الأذى والإزعاج وهي الأرواح التي يحاول طردها الكهنة لأنها تسبب الأمراض والمشاكل لسكنة العالم الأعلى .

أمّا أهم الأرواح التي أصبحت في مقام الأرواح الشفيعة للبشر فهي أرواح السومريين (ايتانا ،لوكال بندا، كلكامش ، اورنمّو) .

الحساب والعقاب والثواب بعد الموت

ليس هناك ما يشير إلى أن الميت في العالم الأسفل يلاقي الحساب ومن ثمّ العقاب والثواب على ما قام به من أفعال في العالم الأعلى ، ولا تشير النصوص السومرية إلى ذلك ، لأن السومريين كانوا يعتقدون أن الموت بحد ذاته أمسى عقوبة للإنسان وليس هناك من ضرورة لمحاسبته عن أعماله في الدنيا ، ولكن استعطاف الآلهة والتقرب اليها عن طريق الأضاحي والتعاويذ والصلوات كان امراً محبباً يبدو لنا من خلاله بأن هذه الآلهة كما لو أنها ستحاسب أو تقيّم سيرة الموت .

وعلى العكس من ذلك كان الميت في الاسكاتولوجيا المصرية يتعرض لحسابٍ عسير ولعقاب وثواب .

وهكذا يكون الميت سواء كان خيّراً أو شريراً دون حساب و «لا يحمل وزر خطاياه معه إلى العالم الأسفل وانما تبقى يتحملها ورثته وأفراد عائلته ولم يكن وجوده هناك يتأثر بما اقترفه وانما بحسب مكانته في عالم الأحياء وبما تقدمه له عائلته وورثته من قرابين وما تقدمه لروحه من شعائر جنائزية ، ، (حنون ١٩٨٦ : ١٤٥).

هل هناك جنة ونار في الفكر الديني السومري ؟

ليس هناك جنّة ونار (فردوسٌ وجحيم) في الفكر الديني السومري على غرار ما تعرفنا عليه في بعض الأديان المتأخره والموحدة بشكل خاص ، فالموت هو الموت، لا خلود ولا جنة ولا جحيم فيه، لكن الروح كما قلنا تبقى خالدة في العالم الأسفل اسيرةً الى الأبد فيه. والجسد يبلى في القبر ويتحول إلى تراب .

هناك من الباحثين من يحاول المطابقة بين الجحيم بمفهومه المسيحي والنار أو جهنم بمفهومه الاسلامي مع العالم الاسفل السومري وهذه مغالطة كبيرة لأن الجحيم أو جهنم يقعان في السماء عند المسيحية والاسلام . . ولأنهما ينبعان من مفاهيم الحساب والعقاب والثواب في هذين الدينين، اللذين لا أثر لهما في الفكر السومري.

وكذلك هناك من يطابق بين الجنّة (الاسلامية) والفردوس (المسيحي) مع العالم الأعلى السومري أو مع (دلمون) و (عدن - ادنو) السومريين وهذه مغالطة ثانية لأن مفهومي الدين الاسلامي والمسيحي حول ذلك مختلف كلياً.

أما العالم الأعلى السومري فهو عالم الآلهة الذي يتربع الاله آن على قمته (في السماء السابعة) ويقف على بوابة آن الآلهين دموزي وننكشزيدا كحارسين، ولا يصل البشر إلى هذا المكان مطلقاً الاّ في حالات استثنائية كما حصل مع (آدابا) و (ايتانا). ودلمون مكان حقيقي يقع في الخليج العربي وهو على الأرجح البحرين وبسبب من الحياة الهانئة والجميلة هناك فقد وصف هذا المكان على أنه مكان يشبه الفردوس حيث لا امراض ولا بكاء ولا شيخوخة، وكان كل هذا يجري في اطار وجود الآلهة (وليس البشر) في هذا المكان - راجع اسطورة انكي وننخرساج في دلمون.

ولم يصل إلى هذا المكان واحدٌ من البشر سوى (زيوسدرا) وهو الملك الحكيم الذي انقذ البشر من الطوفان فمنحته الآلهة الخلود ووضعته في دلمون. وليس هناك ما يشير إلى أن هذا المكان يشكل الجنّة أو الفردوس السومريين بالمعنى الديني المعروف.

اما (عدن) فهي كلمة عربية عبرية جذرها القديم سومري هو (Edin) بمعنى السهل، الأراضي الزراعية السهلية) وتظهر لنا وثيقة سومرية من عصر فجر السلالات حوالي ٢٤٥٠ ق. م أن (أدن) كانت تطلق على المنطقة السهلية الواقعة جنوب مدينة (أوما) أو (جوخة حاليا) وغربي مدينة لگش وهي المنطقة التي كانت سبب صراع طويل بين هاتين المدينتين. ويبدو أن هذه المنطقة كانت تحفل بالبساتين والمزارع الزاهية وانها كانت مليئة بالأنهار والفاكهة والثمار ولذلك وصفت وكأنها فردوس.

ثم أننا نجد ما هو مشترك بين الكلمة السومرية (إدن) والكلمة العربية (جنّة) ويبد أن كلمة (إدن) كانت جذر جنّة ولكن هذه الملاقاة الشكلية اللغوية لا تعطينا المسوغات للمطابقة بين (ادن) السومرية والجنة الاسلامية، إذ ربما هناك لقاءٌ من هذا النوع بين (عدن) العبرية والجنة الاسلامية وكلاهما متطور عن المفهوم السومري ولا يطابقه.

الحساب والعقاب والثواب في الحياة

هل يوحي عدم الحساب والعقاب والثواب بعد الموت في العالم الأسفل بعدم وجود عدالة الهية سومرية نعم اذا لم يكن هناك بديلٌ عن ذلك. ونقول ان الحساب والعقاب والثواب اشياء كانت تجري في الحياة الدنيا، وليس في الآخرة السومرية.

كان السومريون يطلقون على الخطيئة الدينية مصطلح (نگيگك Nig.gig) ومصطلح (سيبيدا Se bi. da) وكانت في الأكدية اكيبو اي الكبوة وخاطو أي الخطيئة.

أما الخطيئة السياسية والاخلاقية فكان السومريون يسمونها (نامتاگك Nam. Tag) يقابلها بالأكدية أنّو وارنو اي الاساءه.

وكان الانسان مهيئاً دائماً للخطيئة وارتكاب الشرور، عن وعي أو دون وعي، وهناك انواع كثيرة جداً من الخطايا مثل معصية الألهة واذى الناس واختراق نواميس الاخلاق وعدم القيام بواجبات الانسان تجاه الاله.

وكانت الخطايا مدخلاً لأن يتخلى الاله عن الانسان، وعند ذاك يفقد الانسان التوازن ويصبح مهيئاً للكوارث والويلات والاضطرابات والمرض وربما الموت.

ان الخطيئة اذن هي مصدر العقاب.

اما الحياة السوية الفاضلة فكانت مصدر الثواب.

وكان الآلهة يلتزمون ويتعهدون بحماية الانسان من كل سوء اذا قام بطاعة الآلهة واداء القرابين وبناء المعابد وكان متوازناً في حياته مع الآخرين دون شرور أو خطايا. فإنه يمنح السعادة ويتجنب الألم. وقد قادت فكرة الحساب والعقاب والثواب في الحياة الدنيا السومريين إلى التمسك بالحياة ومباهجها من ناحية وإلى الالتزام الأخلاقي والديني من جهة أخرى . . وكان هذا التوازن له دورٌ كبير في تشكيل النظرة الصافية للحياة والدين عند السومريين.

ويبدو أن الظلم والحياة الشريرة التي مزقت المجتمعات البشرية القديمة هي التي قادت مع الزمن إلى ابتكار فكرة الحساب والعقاب والثواب في الحياة الآخرة لتوعد الظالمين بالدمار وتوعد المحسنين بالثواب مما يجعلهم جميعاً ينتبهون لهذا الوعيد قبل موتهم فيحسنّون سلوكهم.

تكوين عالم الموت (العالم الأسفل)

يقع العالم الأسفل تحت مياه الأعماق (الأبسو) التي تقع تحت قرص الأرض وهو عالم مغلق يشكل تقريباً قعر النصف الكروي السفلي من الكون وكان هذا العالم يسمى عند السومريين باسماء كثيرة منها.

١ . كي . ماخ Ki. Mah وتعني حرفياً (الأرض الكبيرة) وتشير إلى القبر.

٢ . كي . گال Ki . Gall وتعني حرفيا (الأرض العظيمة). تشير الى العالم الأسفل كله.

٣ . أرالي Arali وهي تسمية شعبية للعالم الأسفل.

٤ . أبسو Apsu وهي تسمية لمياه الاعماق وتشير للعالم الاسفل

٥ . كي گال دامال Kigall. Damal وتعني الارض الفسيحة

٦ . كورنوكي أو كورنوكيا Kurnugi , Kurnugia وتعني أرض اللاعودة

٧ . كي سد Ki. sud الأرض البعيدة .

٨ . كي باد Ki. pad الأرض الحصينة

٩ . كورساكك Kur. sag أرض الموتى

١٠ . كور آشي أرّاكي Kurashiararki أرض النحيب

١١ . عدن edin وتعني الصحراء أو السهل

١٢ . كي آريا Ki aria وتعني الفقراء

١٣ . كور Kur وتعني الجبل أو المكان المقفر .

١٤ . ايكور E. kur وتعني البيت الجبل .

١٥ . ايكور باد E. Dumuzi وتعني بيت دموزي .

١٦ . ايدموزي E. Dumuzi وتعني بيت دموزي .

١٧ . اوروگال ـ وتعني المدينة العظيمة

١٨ . كاأنزي آر Ka. an zi ar وتعني (كنزير) البوابة الأولى للعالم الأسفل

هذه هي أغلب الأسماء السومرية للعالم الاسفل وهو عالم الموت ومعظمها يشير إلى عظمة هذا العالم وبُعده وعدم العودة منه .

أما مداخل هذا العالم فيعتبر القبر أهم مدخل اليه، والجهة الغربية من أرض وادي الرفدين حيث مغيب الشمس . وهناك بوابات خاصة تؤدي اليه مثل بوابة الوركاء (اوروك) . . وتعتبر الحفر العميقة في الأرض مداخل لذلك العالم . كما ويجدر الاشارة الى هناك ما يشبه السلّم الذي يوصل بين العالم الأعلى والعالم الأسفل لتنزل عليه الآلهة وبالعكس كما اشارت لذلك اسطورة نرگال واريشكيگال .

ويتكون العالم الأسفل في نظر السومريين من ما يلي :

١ . نهر العالم الأسفل (اي - لو - رو- كي) اي النهر الذي يعبر منه الانسان وفيه مراكب وملاح لنقل ارواح الموتى .

٢ . اسوار العالم الاسفل السبعة وابوابها التي يحرسها سبعة آلهة من الدرجة الثانية .

٣ . قصر اريشكيگال واسمه (اي - گالكينا) اي قصر العدالة وهو قصر مصنوع من اللازورد .

٤ . قصور الارواح المهمة من الملوك الكهنة .

٥ . الغبار الذي يغطي كلّ شيء .

أما سكنه هذا العالم فهم كما يلي

١ . الإلهين العظيمين الحاكمين (نركال ارشكيگال)

٢ . الآلهـة الأبناء والأحـفاد لهـما وهـم (ننازو ، ننجشزيدا ، دامو ، خندرسـاج) وأزواجهم من الالهات .

٣ . الآلهة الا تباع لهما مثل (نمتار ، گشتن أنّا ، خمط تبال)

٤ . حجاب العالم الاسفل السبعة وهم حراس البوابات السبعة :

١ . نيتي

٢ . كشار

٣ . انداشرما وزوجته نداشرما

٤ . انرلا

٥ . اندگگا وزوجته نندگگا .

٦ . اندشبا

٧ . انكيگي

٥ . الآلهة الذين ينزلون إلى العالم الاسفل بشكل دوري (دموزي، دامو، ساتران، ليل) .

٦ . آلهة لا نستطيع تفسير وجودهم (سموگان، شلباية ، انمل وزوجته) .

٧ . الملوك والكهنة الكبار لسومر وسبق ذكرهم

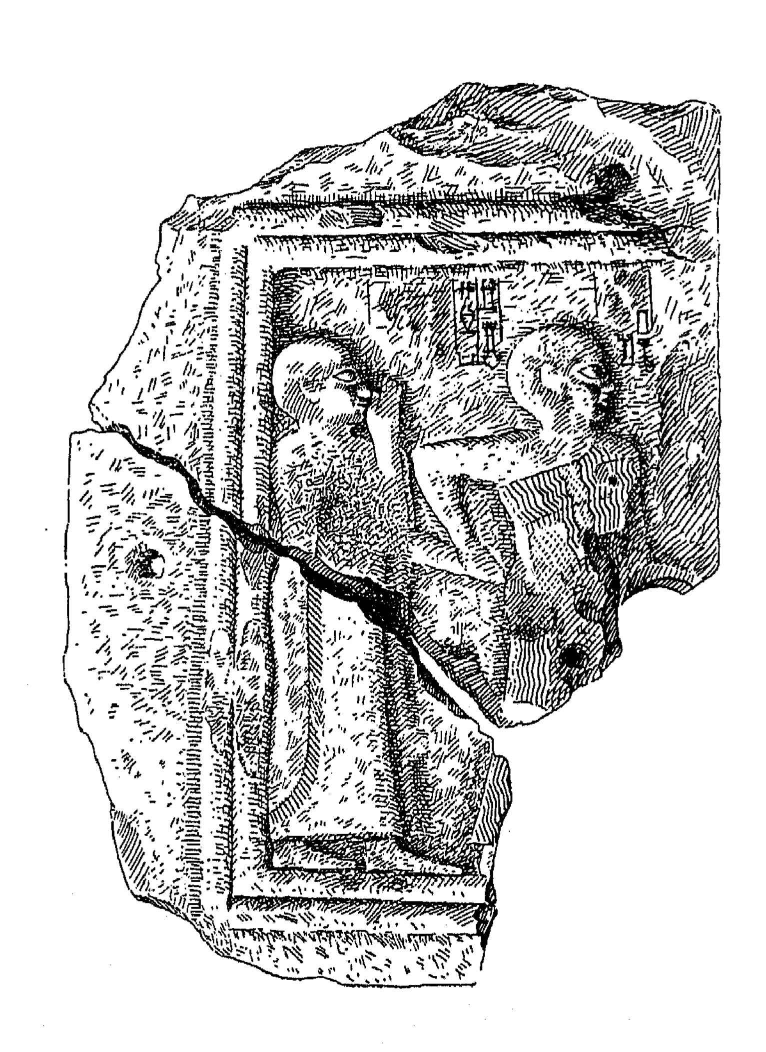
٨ . الشياطين بكل اصنافهم

٩ . أرواح الموتى .

الفصل الرابع

الطقوس السومرية

(دراسة في الطقوس والشعائر الدينية السومرية)



الطقوس السومرية هي الشعائر والأعمال الدينية التي تشكل الجانب العملي من العقائد واللاهوت وتعبر عن بعض جوانب المثولوجيا وتكسبها صفة الديمومة والإتصال مع اللاهوت .

إن الطقوس السومرية بالقدر الذي تشكل امتداداً للكثير من الطقوس القبل تاريخية فإنها لا شك تعبر عن النظام الديني السومري الجديد الذي أسست ملامحة في غضون الألف الرابع قبل الميلاد .

وتنحدر الطقوس السومرية من ماض بعيد ، ربما ابتعد إلى عشرات الآلاف من السنين ، فالطقوس كانت السبيل الأبسط والأوضح للأديان التي سادت عصورما قبل التاريخ وكلما توغلنا في القدم أصبحت الطقوس بأشد بساطة . . وأصبح الدين طقسياً أكثر من أن يكون لاهوتياً أو مثولوجياً .

ولعلنا نتلمس الطقوس وهي تتضح بشدة في السحر الذي هو دين بدائي أكثر مما هو مرحلة متعارضة مع الدين ، والسحر هو مثال نموذجي لسيادة الطقس في النظام الديني على حساب اللاهوت والأسطورة .

لقد كان أجدادالسومريين في سامراء ، على سبيل المثال ، يمارسون طقوساً عديدة ، استطعنا التعرف على أحدها من خلال نقش خزفي ، ذلك هو طقس الإستسقاء أو إنزال المطر الذي كانت تقوم به أربعة نساء يتقابلن في مواقع كأنها الجهات الأربعة للكون ويقمن بنثر شعورهن إلى هذه الجهات فيتحرك الهواءفي منطقة رقصهن ، وتقوم فكرة هذا الطقس على أن الهواء إذا تحرك في هذه المنطقة من العالم فإنه سيتحرك في العالم كله ويجلب

الغيوم التي تجلب معها المطر اعتماداً على المبدأ السحري الأول الذي هو مبدأ التشابه الذي يقول بأن التحكم في جزء من الظاهرة يستدعي التحكم بالظاهرة كلها . ولا يعتمد هذا الطقس على عقيدة دينية مركبة بل على أعتقاد بسيط مفاده أن الإلهة الام أو المرأة الساحرة هي التي تستطيع، دون الرجل، ان تقوم بهذا الطقس، وهذا جزءٌ من العقيدة النيولثية بالإلهة الأم التي كانت سائدة انذاك. ولم يكن الأمر بحاجة إلى مثولوجيا مركبة فحضور الإلهة الام ممثلة بالساحرة وبالعقارب الثمانية التي تؤطر الطبق الخزفي يشير الى الإلهة الأم وينتج عن حركة الساحرات الأربع شكل الصليب المعقوف (السواستيكا) الذي كان يرمز به الإنسان للخصب.

السحر اذن طقسٌ اولاً مع وشاح عقائدي ومثولوجي بسيط . «فاذا قارنا مثل هذا الطقس السحري بطقوس الخصب في الديانات ذات المعتقدات والأساطير الغنية المركبة، أدركنا مدى بساطة الفكرة الكامنة وراءه فالساحر هنا لا يقرب الذبائح الى الآلهة العليا ولا يصلي لها ولا يقود دراما طقسية معقدة لإحلال الخصب. وانما يقوم بالتأثير على مظاهر الطبيعة من خلال تلك القوة الغفلة التي تسري في كل شيء، والتي من شأنها تحويل الإجراء الطقسي إذ يجري في هذا الجانب إلى فعل حقيقي يتم في الجانب الآخر» (السواح ١٩٩٤ : ٦٣).

وعلى هذا الأساس يتخفى السحر في نسيج الدين من خلال الطقوس بشكل خاص، ولا نلمحه بشكل بارز الا في تلك الطقوس التي نسميها طقوس الاسرار أو الطقوس السرية التي تحكي بوضوح عن السحر والعرافة والتنجيم .

إن هذا لا يعني ان السحر يختفي من الطقوس الدينية اليومية والدورية بل هو موجود فيها بشكل أو بآخر طالما كانت طقوساً يمارسها المتعبد بايمان وصدق .

وتنتعش الطقوس وتتعقد، ليس بوجود السحر أو مظاهرة فقط، بل كلما كانت الأساطير مركبةً معقدة وغنية . . وتهبط الطقوس نحو البساطة ؛ كلما مالت الأساطير الى التوحيد والتفريد والتجريد. ولذلك يمكننا الحكم علي الطقوس السومرية والقول بأنها كانت طقوساً شديدة الغنى والتركيب لأن هناك نظاماً مثولوجياً غنياً ومتعدداً كان يقف خلفها وكان يشدها الى لاهوت غني ومركب ايضاً.

١. الطقوس اليومية

كان السومريون شعباً متدنياً بالمعنى العميق لهذه الكلمة، وكانت تسيّر هذا الشعب خشيته من الآلهة وتحسّبه من ارتكاب الخطيئة، وتوازنه العقلاني والأخلاقي أمام متطلبات النفس ومتوفرات الطبيعة.

كانت الطقوس الدينية اليومية بمثابة الدليل الذي يقدمه السومري على تقواه أمام الآلهة والكهنة والناس وامام نفسه قبل ذلك كله.

وليس المقصود بالطقوس الدينية اليومية الطقوس التي يمارسها السومري كل يوم بل الطقوس الدينية الشائعة والتقليدية.

الوضوء والاغتسال

كان الوضوء السومري طقساً لازماً وواجباً ليس للقيام بالصلاة فقط بل لممارسة أيّ مرسوم ديني وكان يصحب الوضوء كلامٌ أو تمتمات دينية مختلفة، ويبدو أن الوضوء كان يقتصر على غسل الأيدي فقط. ويبدو ان البركة أو الحوض الطقسي الذي كان يسمى (أبسو) والذي كان في اغلب المعابد السومرية وضوحاً في (أريدو) وفي (لگش) هذا الحوض كان متصلاً بقنوات مياه جارية خارج المعبد (انظر Burrows 1932) ، ويذكرنا هذا الإجراء بأحواض التعميد في (مندي) الديانة الصابئية المندائية.

ونعتقد أن الوضوء كان يجري وفق شعيرة دينية للتقرب من الاله (إنكي) الذي هو إله الماء والحكمة. وخالق الانسان وان مسّ مياهه لجسد الإنسان ويديه كان يعني بمثابة إعادة خلق مطهر لهذا الجسد.

الصلاة

ليس هناك ما يثبت أن الصلاة السومرية كانت تمارس بشكل يومي منتظم وعلى أوقات معينة، ويبدو أن الصلاة السومرية لم تكن ثابتة النص بل كانت نوعاً من النصوص الدينية الابتهالية المرفوعة لإله محدد، وكان الانسان يرددها متى ما كان في المعبد أو أمام تمثال إلهة في البيت أو القصر او في أيّ مكان آخر.

وتختلف الصلوات (Prayers) عن التراتيل (Hymns) في أنها تضرعات

وتوسلات للإله ولا تؤدى مع الموسيقى، أما التراتيل فهي مدائح وتعظيمات للإله وكان الكثير منها يؤدى على آلات موسيقية .



شكل (٩٧)

الطحان ايدي ناروم وهو يصلي

(النصف الأول من الألف الثالث)ماري





شكل (٩٨)

متعبّد سومري وهو في حالة ركوع

وكانت الصلاة تؤدى أما بصحبة كاهن أو منفردةً يؤديها العابد لوحده أمام تمثال إلهة .

وهناك صورٌ لكهنة سومريين يضعون أيديهم أو أكفّهم فوق بعضها عند أداء الصلاة خشوعاً وتقديساً للإله .

لقد رافقت الصلاة شعائر طقوسية وقد وصفت هذه الشعائر باتقان في مقطع عند نهاية الصلاة، حيث تخاطب الشخص المصلي أو الكاهن الذي يقدم واجباً بحركات واشارات واهتمام بما يقدمه من قرابين حسب الزمان والمكان. «لقد ظهر في الصلوات موضوعان رئيسيان، ناطقان بالكلمات الكهنوتية ومقدمان تجربة ذاتية للمتعبد باسلوب أُسطوري وهذان الموضوعان هما الطلبات والشكر ولكن الصلوات لاتتضمن إشارة لتفصيل موضوع رئيسي محدد ، مثل موضوع الفرد وعلاقته بغرائز روحية أو أدبية وكموضوع الموت والبقاء بشكل شمولي أو موضوع الإتصال المباشر بالإله »، (أوبنهايم ١٩٨١ : ٢١٩).

الصوم

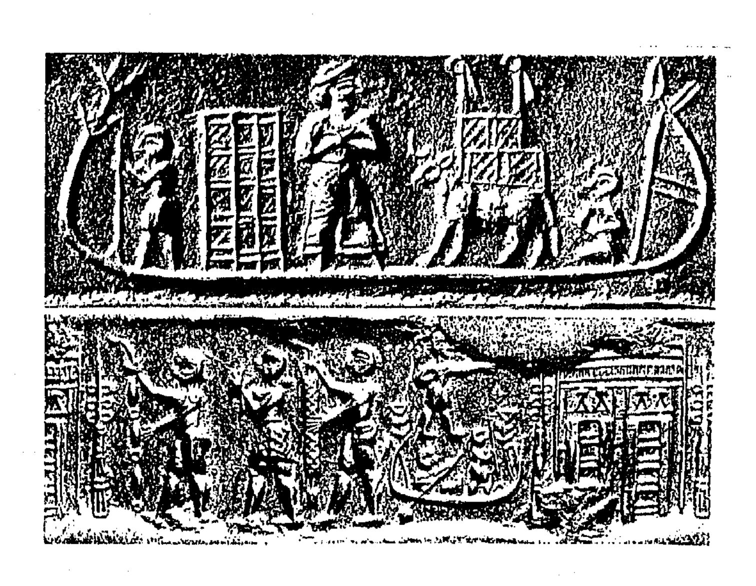
كان الإمتناع الديني عن تناول بعض الأنواع من الأطعمة نوعاً من الصيام وكان السومريون يمارسون هذا الإمتناع . وقد كان الكهنة (ربما لأسباب إقتصادية بحتة) يوصون الناس بالإمتناع عن أكل نوع من اللحوم أو الفاكهة أو الخضار . . وكان ذلك يجري لوقت محدد ويغلّف بمبررات دينية أومثولوجية .

التراتيل

كانت التراتيل طقوسالأنها كانت تؤدي بطريقة طقسية ووفق ضبط موسيقى في الكثير من الأحيان ، وكان السومريون يسمون الترّتيل بـ(شير SHIR) وربما في هذه الكلمةما يشير إلى الشعر رغم أن كلمة شعر بالسومرية هي (سر SIR) ، ويقابل كلمة تراتيل بالأكدية ZAMARU) أما كلمة شعر بالأكدية فهي (شيرو SHIRU) . وكانت التراتيل متفاوتة الطول وهناك منهاما هو غير ديني خصوصاً التراتيل الموجهة للملوك .

وتختلف التراتيل عن الأدعية والتعاويذ في كونها ، أناشيد طقسية روحية يشحنها التأمل في صفات الإله والتبرك بقواه ومناشدته الحب والاتصال .

أما الأدعية فتقوم على أساس التوسل بالإله ومطالبته بشيء محدد كالصحة أو النجاح أو رفع الظلم وغيرها . في حين تبدو التعاويذ نوعاً من النصوص الطقسية التي تطرد الشياطين باستحضار الاله وتطرد الأذى باستحضار الروح الخيّرة للإله .



شكل (٩٩)
متعبدون ذاهبون إلى معبد الإلهة إنانا

وتنقسم التراتيل السومرية إلى قسمين أساسين هما التراتيل الكهنوتية والتراتيل الملكية .

تتضمن التراتيل الكهنوتية مدائح تقديس وتمجيد للآلهة السومريين العظام منهم بشكل خاص ، أما الملكية فقد نظمت بحق الملوك وتمجيد أعمالهم الاّ انها لا تخلو من المديح والاطراء على إله معين لا سيما إله عاصمة الملك او الإله المسبب لدوافع المديح .

وكانت التراتيل بصورة عامة تتكون من أبيات منظومة كلّ بيت ينقسم الى شطرين ، بوزن متشابه ومعنى متقارب ولكل منهما رفعتان صوتيتان أو ثلاث رفعات لغرض الغناء وكثيراً ما تزداد هذه الارتفاعات الصوتية فتبلغ الستة رفعات في شطر واحد، ولكن يعقب

كل رفعتين صوتيتين إنخفاض صوتي واحد أو إنخفاضان وبعض الأحيان ثلاث خفضات صوتية .

وكانت التراتيل تؤدى وفق الحان معنية معروفة على ضربات الموسيقى بين دق الطبول ونقر الدفوف، وألحان القيثارة تتعالى منها نغمات العذارى من راقصات المعبد . (انظر فالكنشتاين ١٩٥١ : ١٩٢).

التطهير

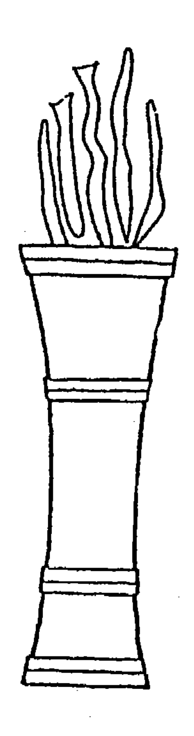
كان الطهير عند السومريين (ومن ثم عند البابليين والآشوريين) يجري بعدة طرق هي احراق البخور وسكب السوائل كالماء والزيت والحرق والدفن والاغتسال والأضاحي.

وكانت فلسفة التطهير تجري على أساس أن الانسان محاطٌ بالشرور والأرواح الشريرة ، وكذلك المكان، ولكي يتصل الانسان أو المكان بالمقدّس فلا بد من مواد دالة على الآلهة لكي تطهِّر هذا الانسان وذاك المكان من الشرور والأرواح الشريرة ، وكان الماء والزيت يمثلان الإله إنكي، والنار تمثل الاله نسكو والسكائب والأضاحي والقرابين تمثل الاله شول شاكا إبن الإله ننگرسو وكان الدفن يشير إلى الاله دموزي ، اما الحرق فيشير إلى الإله اليجبيل (گيبل) لعلاقته بالنار والعالم الاسفل معاً.

إحراق البخور

كان طقس إحراق البخور طقساً يومياً يجري في المعبد ، وكان الكهنة المطهرون هم الذين يقومون به بالدرجة الأساس، ولكن كهنةً من أصناف أخرى كانوا يقومون به مثل الكاهن المعزم (اشيبو) فقد كان إحراق البخور يلازم التعزيم وذلك لاعتقادهم بأن مادة البخور (وخصوصاً الحرمل) كانت تقوم بطرد الأرواح الشريرة لأن مادة البخور عندما تملأ المكان فإنها تحاصر هذه الارواح وتجعلها تخرج من الأبوابّ والشبابيك خصوصاً أن البخور يشبه الاشباح التي كان يعتقد أنها شكل الارواح الشريرة.

وكانوا في المعابد يقيمون مذبح بخور وهو دكةٌ عالية يوضع عليها ما يشبه الموقد وفي هذه الموقد تطرح مادة البخور كطقس يومي أو مرافقة لطقوس أخرى أو أنهم يستعملون الموقد المقدس (شكل ١٠٠)



شكل (١٠٠)
الموقد المقدس ويرمز كذلك بالإله نسكو او ننكشريدا
رسم: علي محمد آل تاجر

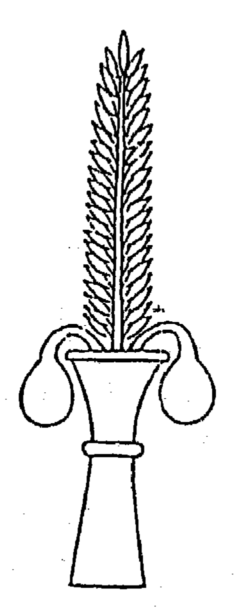
وكان هناك أوعية خاصة خاصة بالبخور يمسكها الكهنة بايديهم عندما يقومون بعمليات التعزيم .

سكب السوائل

لم يكن البخور لوحده هو الوسيلة الوحيدة للتطهير وطرد الارواح بل كان سكب السوائل (الماء والزيت بشكل خاص) هو السبيل الى ذلك ايضاً، وكان سكب الزيت يتم بشكل خاص عند الزواج حيث يسكب على رأس العروس، وربما كان يصاحب ذلك نوع من الاغتسال ويأتي ذكر هذا الطقس في إصلاحات أوركاجينا الذي خفّض ضرائب الحاكم عندما يقوم بهذا الطقس، ولا شك أيضاً أن سكب الزيت والمسح به كان يجري عند تنصيب أو تتويج الملك وكان هناك إناء خاص لسكب الماء المقدس (شكل ١٠٢)



شكل (١٠٠)
طقس سكب السوائل



شكل (١٠٢)
إناء سكب الماء المقدّس
رسم: علي محمد آل تاجر



شكل (١٠٣)
كاهنان بينهما الإناء المقدّس

طقس فتح فم الاله وغسله

كان هذا الطقس يجري على أساس أن التماثيل الجديدة للإله تمنح الحياة بهذا الطقس ، وكان طقس غسل الفم يجرى بعد أن توضع جرتان مملوءتان بالماء المقدس في مكان التمثال وقطعتان من القماش حمراء وبيضاء إلى جانبه ، ثم تقدم الأضاحي إلى ذلك الاله ويرافقها غسل فمه بواسطة أعشاب كالأثل وسبعة اعواد من الارز وقطعة قماش وملح وصمغ الارز ودهون واحجار كريمة وزبد ودبس ويتم ترديد بعض العبارات الطقسية الخاصة بذلك، ثم يقود الكاهن بيد الاله كبشاً ويخرج معه (من مكان صنع التماثيل) ويذهبون الى شاطئ النهر حيث يوضع التمثال على حصيرة من القصب ووجهه نحو الشرق تحت مظلة وتقدم هنا الاضاحي مرة ثانية وتسكب البيرة مع الطعام ويسلخ جلد الكبش وقد يوضعَ في الجلد سمكة وسلحفاة من الذهب والفضة وفأساً برونزية وملقطاً نحاسياً وترمى هذه الاشياء كلها داخل جلد الكبش في النهر ، وتردد عبارات طقسية في ذلك وتقدم سكيبة من البيرة واللبن والدبس ويبدأ غسل فم الاله مرة ثانية ، وينقل التمثال بعد ذلك إلى بستان ووجهه نحو الغرب أمام الكاهن الاعلى وتقدم أضاحي أخرى وتتلى الأدعية وتملأ الأقداح بالماء، ثم يوضع التمثال في المعبد المقرر وبذلك تكون هذه الطقوس بمثابة عمليات حقن التمثال الذي صنعه الحرفي (النحّات أوالنجار أو الفنان) بالحياة والروح التي يصنعها الكهنة (انظر الأحمد ١٩٨٠ : ٥٦ وكذلك انظر Heidel 1942: 9-48) .

طقس إطعام الآلهة

كان الكهنة المسؤولون عن تماثيل الآلهة يقومون بهذا الطقس يومياً حيث يتضمن تقديم مختلف أنواع الأطعمة إلى الآلهة ويبدو أن هناك وجبتين من الطعام كانتا تقدمان لتماثيل الرئيسية، ويعتقد أن الأولى وجبة الظهر والثانية وهي الثانوية قبل إغلاق المعبد.

ويبدو أن الكهنة كانوا يقدمون الطعام للآلهة من التقدمات التي كانت ترسل إلى المعبد من أحسن الحقول الزراعية والبساتين وقطعان الماشية والأغنام والماعز وكانت أيضاً مصدراً لغذاء الكهنة والإداريين العمال في المعبد .

ويبدو أن مائدة كانت توضع أمام تمثال الإله عليها عدد من الأواني التي تحتوي على الماء والسوائل والشراب والشرائح والفاكهة . . وفي الغالب كانت هذه المائدة تقدم الى الملك بعد ذلك لكي يتبارك بها أو ليتم الإيحاء بالصلة بين الإله والملك .

طقس الفوهو (البديل)

تدور فكرة هذا الطقس حول امكانية انتقال الشر (الذي يعاني منه الشخص أو الذي سيعاني منه) من هذا الشخص الى شخص آخر وكان هذا الطقس السومري يعتمد في اساسه على لتورجيات (طقوس) دموزي وأساسها المثولوجي .

ولأن الأساس الذي يقوم عليه هذا الطقس سحري فإنه يلجأ إلى مبدأي السحر (الاتصال أو التشابه) .

فإذا كان الفوهو يجرى عن طريق الاتصال فأن الشخص المصاب بالشر يختار هو أو كاهنه من سيكون بديلاً عنه في حلول هذا الشر ويحتك به مباشرة مع طقوس وتعزيمات خاصة وكان هذا نادراً.

ولكن الطقس غير المباشر (التشابه) هو الذي كان شائعاً فقد كان يستخدم لهذا الغرض دمية من العجين أوا لطين أو الشمع أو الخشب وكانت تمثل العدو الذي يراد نقل الشر (المرض مثلاً) اليه وكانت تبقى بجانب المريض نفسه ثم يلقى بها في الماء مع رقية تعزيمية اسمها (نمبوربو) (انظر بوتيرو ١٩٩٠ : ١٨٦).

وكان أحياناً يستخدم الحيوانُ كبديل حيث يقوم المريض باصطحاب عنزة معه في فراشه طيلة الليلة التي تسبق اجراء الطقس، ثم في اليوم التالي كانوا يحفرون حفرةً كالقبر يمدد فيها المريضُ مع عنزته الصغيرة، وكانوا يقومون بذبح صوري للمريض بسكين من خشب وذبح حقيقي للعنزة بسكينٍ من معدن.

ثم يقومون بمعاملة جثة العنزة بقدسية خاصة حيث تُغسل وتُعطّر وتوّشح بقطع ثياب المريض نفسه .

بعدها يقوم الكاهن بتلاوة صلاة الحداد ويقرر فيها موت العنزة ولكنه يعني المريض (مع مرضه بالطبع) ثم تنظم وجبات طعام جنائزي تقدم للإلهة أرشكيگال اكراماً لها وتهدئة لخاطرها .

ثم تقام طقوس دفن الميت (العنزة) وكانها المريض وبذلك يرمز لدفن المريض الذي أصبح الآن معافى .

كانت هذه الطقوس تجمع بين الاتصال (الاحتكاك بالحيوان) ثم التشابه (و الذبح المتزامن والثياب المتبادلة ومعاملة الجثة وإعلان الموت وغير ذلك) .

واذا كان السومريون (قبل سلالة أور الأولى) قد عرفوا دفن حاشية الملك لأسباب تتعلق بطقوس ما بعد الموت، فان طقس الفوهو تطور لاحقاً ليكون بديلاً عن هذه الأضحيات البشرية . اي ان الملك عندما كان يشعر من خلال الفؤول المقدمة له بأنه سيموت أو أن خطراً ما سينوبه كان فإن الكهنة كانوا يقومون باختيار (سخلو) أي بديل عنه أيام ظهور ذلك الخطر وكان البديل يقوم فعلاً بحكم البلاد ولبس ملابس ورموز الملك . اما الملك الحقيقي فيتوارى تماماً ريثما يزول الخطر . وكان مصير البديل في الغالب الموت لكي يذهب بالشرور المحدقة بالملك الى العالم الأسفل . وقد تطور هذا الطقس الديني الاساسي كثيراً في الدولتين البابلية والآشورية حتى ان طقوس تكريس الملك البديل كانت تجرى بدقة وانتظام (كوزيبو) وكانت تقام أيضاً طقوس الموت والدفن بعد اعدام البديل (تكليمتو)

وكان البديل في بعض الأحيان يمسك بالحكم ويرفض الموت ويعزل الملك الحقيقي ويستلم الحكم بدله .

الأضاحي

تراوحت الأضاحي الطقسية السومرية بين أن تكون بالدرجة الأساس أضاحي نباتية وحيوانية ، أما فكرة الأضاحي البشرية السومرية التي تحدث عنها السير ليونارد وولي (L. woolley) بعد أن اكتشفت في اور في منطقة المقابر الواقعة جنوب زقورة الإله (ننا) مجموعة من المقابر الملكية . حيث وجدها بعد أن دخل اليها بممرات مائلة وهي مغطاة بحصران وهناك هياكل بشرية يتراوح عددها بين (٣ - ٧٤) شخصاً، وكان قسم من تلك الهياكل البشرية لنسوة يرتدين الملابس الحمراء ويتزين بالحلي والاحجار الكريمة وبجانب بعضهن قيثارات ذهبية . أما الهياكل الأخرى فكانت لرجال مسلحين ورجال ممدين الى جوانب عربات كانت تجرها الثيران . وقد اعتقد وولي بأن هذه العربات استخدمت لنقل رفاة الملك ونفائسه ، وكان مشهد الدفن يدل على مراسيم وطقوس احتفالية (انظر (Woolley 1963 .

وقد فسر وولي هذه الظاهرة بأن ماشية الملك كانت تدفن معه في طقوس احتفالية لتضمن له بعد الموت حياةً هانئة . ولكن قلة ظهور مثل هذه المقابر في سومر ووادي الرافدين جعلها محل ريبة ، وقد فسرها كريمر باللجوء الى النص السومري (موت جلجامش) بأن القبر كان يعتبر بمثابة (المطهر) أو (القصر المطهر Purified palace) وإن الملك الميت كان يصطحب معه عدداً كبيراً من حاشيته ومن النذور والهدايا . وهذا ينسحب على مقابر أور التي أتت بزمن محدود بعد وفاة كلكامش . أي أن هذا الطقس (الاضاحي البشرية الجماعية) كان طقساً ملوكياً معمولاً به في تلك العصور ، ولكنه انقرض بعد الألف الثالث قبل الميلاد .

أما الأضاحي النباتية فكانت تقدم بكثرة الى المعابد لإطعام الآلهة والكهنة ومنها الفاكهة . والحيوانية كانت تتألف من الثيران والماشية والماعز والغزلان والاسماك والخنازير وانواع الطيور ، ويمكننا عقد صلة بين القرابين الحيوانية والرمز الحيواني للإله فالإله آنليل كان يقدم له الثور لأن رمزه هو الثور الإلهة نانشة الأسماك وننورتا الخيول وهكذا .

٢. طقوس المناسبات

اذا كانت الطقوس السابقة تجري بشكل شبه يومي عند المتعبدين أو الكهنة فأن طقوس المناسبات كانت تجري وفق أحداث محددة تمر بالانسان وأشهر هذه المناسبات هي (الولادة البناء، الزواج، الموت).

أ. طقوس الولادة

كان حمل المرأة حدثاً مهماً، وكان يُحظر عليها إسقاط الجنين لأي سبب كان، وهناك عدد من التعاويذ والصلوات التي تقدم للمرأة الحامل (أريتو Eritu) وكانت هذه المرأة تقدم خلال حملها تقدمة للعفريته الشريرة (لاماشتو) خلال أشهر الحمل حتى تضمن ولادة سهلة وطفلاً كاملاً. وكانت الولادة تجرى عادية أو تقوم بها القابلة (شازو Sha- zu) التي غالباً ما كانت تأتي إلى بيت الحامل حين تحين ساعات الولادة (Aladu) وهي تردد الصلوات والتعاويذ لتسهل الولادة ومن أحدى هذه الصلوات (عسى ان تلد هذه المرأة التي تعاني الآم المخاض بسهولة كما ولدت البقرة السماوية (كيمي سن) وعسى أن لا تؤخر عمل القابلة).

ويبدو أن الولادة كانت تجري على مصطبة من اللبن تحضرها القابلة التي أخذت هنا دور كاهنة أو دور الالهة ننتو إلهة الولادة والمساعدة في الانجاب وربما اورورو وهما وما صورتان من صور الإلهة السومرية الأم ننخرساج.

وكذلك تقوم القابلة بتعصيب رأس المرأة أثناء عملية الولادة وكذلك تقوم باحضار بعض الأدوية والعقاقير. وتقوم القابلةُ بعد الولادة بقطع حبل السّرة وإثبات حدوث الولادة وتأييد نسب الطفل الى الأم وكانت الأم تعتبر نجسة بعد الولادة لمدة ثلاثين يوماً. وكانت تقوم برضاعة طفلها بنفسها أو بواسطة المرضعة.

ويطلق الاسم على الطفل بعد الولادة مباشرة لأن الاسم كان بمثابة الخلق او الولادة أيضاً.

وقد عرفت الالهة (گاتم دوك) كمربية للاطفال وهي الالهة ننخرساج أيضاً التي عرفت بأنها مرضعة الملوك والأمراء، وكان الأمير إيانتم يفخر بأنه سقي من الحليب الطاهر لها (انظر عقراوي ١٩٧٨ : ١٥٥ - ١٦٢).

ب. طقس البناء

كان بناء البيوت والمعابد والقصور يجري أيضاً وفق طقوس معينة وكانت هذه الطقوس في المراحل السومرية تجري على أساس وضع اشياء في اسس المعابد والمباني ضد العناصر الشريرة كالتعاويذ والتماثيل ورموز الآلهة والمسمار الحجري المعروف الذي كان يوضع في هذه الاساسات منقوشاً بالتعاويذ والرموز.

وكانت تدفن عند عتبات البيوت الحروز وتماثيل الآلهة والعفاريت والحيوانات لحماية أصحابها من الشر، ومن الجائز وضع مثل هذه التعاويذ والاشكال عند واجهات البيوت أو على الأبواب مثل رمز الهة العين أو رمز الإلهة سبيتو (العيون السبعة) الدرء الشر.

وقد تطورت طقوس البناء في مرحلة لاحقة واخذت ترافقها الأضاحي.

ويأخذ بناء المعبد بعداً روحياً خاصاً عند السومريين لأنه قرينٌ بالحياة المزدهرة عندهم، ولعل حلم گوديا ببناء معبد الاله ننگرسو الذي يخاطبه في منامه يشير الى ذلك:

«بتأسيس بيتي، سوف يأتي الفيض

الحقول الفسيحة سوف يطول زرعها من أجلك

الأقنية سوف تفيضُ عن حوافيها من أجلك

في الروابي التي لم يرتفع إليها ماء

سوف يرتفع الماء من أجلك

وسومر سوف تسكب كثيراً من الزيت من أجلك

وسوف نزن لك الكثير من الصوف

في اليوم الذي تملأ فيه مصطبتي

في اليوم الذي تضع يدك الأمنية على بيتي

سأضع قدمي في الجبل

حيث تقيم ريح الشمال

وكإنسان ذي قوة هائلة ، ريح الشمال

من الجبل ، المكان الظاهر

سوف تهب رأساً نحوك

(لأنه) بعد أن أكون اعطيت نسمة الحياة للناس

سوف يقوم رجل واحد بعمل أكثر من عمل رجلين .

في الليل ، نور القمر سوف يضيء من اجلك

في النهار ، الشمس الساطعة سوف تشع من أجلك

البيت سوف يبنى من اجلك في النهار

وسوف يرتفع عالياً في الليل ، ،

(كريمر ١٩٨٦ : ٥٢ - ٥٣) .

وكان يعتبر تهديم المعبد اشارة شؤم او خطر قادم .

ج. طقوس الزواج

تستمد طقوس الزواج عمقها الديني ، عند السومريين ، من ظهيرها اللاهوتي والمثولوجي الخاص بطقوس الزواج المقدس الذي كان بمثابة الاحتفاء بالقوى المخصبة والإنسان والحيوان ، ولذلك كان يجب ان يكون هذا الاحتفاء جزءاً من احتفاء الآلهة ببعضها وإعلان زواجها المقدس ، وقد كان لعلاقة الالهة انانا دموزي مثل هذا العمق فاتخذت مثالاً نموذجياً علياً لهذا الزواج المقدس . وإنانا التي كانت عبادتها في أحدى كبريات المدن السومرية ، وهي مدينة ايريك منذ حوالي ٣٠٠٠ ق . م أو أقدم من هذا التاريخ ، هي التي أوحت بذلك حيث لم يمض زمنٌ على هذا التاريخ «حتى راح بعض الكهنة ورجال المفكرون وذوو المخيلة في مدينة ايريك يعتنقون فكرة تدخل الإطمئنان والبهجة على القلب ، وهي ان مليكهم قد اصبح عاشقاً وزوجاً للإلهة إنانا ، وبذلك يشاركها قوتها وقدرتها على الأخصاب التي لا تقدر بثمن ، كما يشاركها خلودها ، هذا مذهبنا في كيفية ظهور طقس الزواج المقدس الذي يضم دموزي ، الذي يعتقد أنه كان أحد

حكام ايريك المرموقين، والهتها انانا الشهوانية الشهية التي تحظى باحترام عميق» (كرير ١٩٨٦ : ٨٩).

وبالفعل تحول طقس الزواج المقدس من الآلهة الصرفة (انانا ودموزي) الى الآلهة والملوك (انانا والملوك) وقد ناقشنا ذلك في علاقة انانا بالملوك ثم تحول نهائياً إلى طقس بين الملك كممثل لدموزي والكاهنة العليا كممثلة لإنانا.

ولكن آثار الزواج المقدس الإلهي والملوكي انعكست إيجابياً على طقس الزواج بصورة عامة. فقد كان الزواج يبدأ بالاتفاق الشفوي والعقد العرفي المصاحب بمراسيم وطقوس معينة مثل تلاوة بعض العبارات المقدسة من قبل العروس، وربما كانت هذه العبارات مشابهة لبعض العبارات الإلهية، فمثلاً كانت عشتار تخاطب گلگامش وتقول له:

«تعال يا گلگامش وكن عريساً لي

تعال وامنحني ثمرتك

فتكون انت زوجاً لي وأكون أنا زوجة لك»

ويؤدي الزوج القسم، وتزف الزوجة له، ويقوم برفع قلنسوة عروسته ويضعها على رأسه كدليل على احترامه لها، وكانت هناك طقوس اغتسال للمرأة ثم سكب الزيت على رأسها، وكان من طقوس الزواج ان يقدم الزوج وأهله بعض النذور والحاجيات الثمينة الى المعبد.

وفي يوم الزفاق تقام وليمة تقدم فيها الماكولات التي جلبها العريس الى بيت العروس، وكان يقام بسكب الخمر على الأرض أو على جسد الضحايا تكريماً للآلهة ويسمى هذا الطقس بالسكب أو كرُّم Kirrum.

كانت هذه الطقوس الفرعية للزواج تجرى تحت رعاية الكهنة وكان للمعبد دور هامٌ فيها.

د. طقس الموت

اذا كنا قد تحدثنا عن الفصل الثاني في مثولوجيا الموت من خلال أساطير العالم

الأسفل، وفي الفصل الثالث عن عقائد الموت من خلال اللاهوت الخاص بالموت فإن صورة اسكاتولوجيا الموت (عقائد ومثولوجيا وطقوس) لا تكتمل الا بذكر الطقوس والشعائر الخاصة بالموت كالدفن والشعائر الجنائزية السومرية .

١. مواضع الدفن وأنواع القبور

لا نبالغُ اذا قلنا أن أول بدايات ظهور الدين عند الانسان كان متصلاً مع تصوراته عن الموت واداائه لطقوس وطرق الدفن أهميةً ما، فمنذ ان بدأ الإنسان بدفن موتاه بقصد وعناية انعطفت تاريخ المعتقدات الدينية وقد حصل ذلك في عصر الباليوليت الأوسط (انظر الماجدي ١٩٩٧ : ٣٨-٤٠).

وفي سومر اصبحت طقوس الدفن واختيار المدافن جزءً حيوياً من العقيدة الدينية .

وكانت أماكن الدفن عند السومريين تتراوح في درجتها وأهميتها بين الدفن تحت أرضيات البيوت أو في القصور الملكية أو المدافن الكبرى .

فقد مورس الدفن تحت أرضيات البيوت في دور الوركاء ونفّر منذ عصر فجر السلالات، وفي مدينة كيش منذ عصر فجر السلالات الأول سواء كانت تحت أرض غرف الأحياء أو الغرف المشيدة خصيصاً للدفن وكان القبر يحتل زاوية الغرفة. ويسمى قبر البيت بـ (كيماخ Ki Makh) وهو مصطلح سومري يعني حرفياً الأرض العظيمة وكان الملوك يدفنون في القصور الملكية كنوع من الامتياز الخاص بهم ، أما في المقابر المخصصة للأموات فقد كان يجري أما داخلَ المدن السومرية في قبور مفردة كالذي حصل في (نفر) او بصورة مقابر منتظمة كما هو الحال في (اور). وهناك مقابر موجودة خارج المدن كما في نفر وأريدو .

وهناك ايضاً الدفن في الأماكن المقدسة وهو ما مارسه السومريون من عمليات دفن كبرى في مدينة (دلمون) حيث كانوا يعتبرونها ارضاً مقدسة للآله إنكي وهو شفيعهم بعد الموت فقد وجدت في دلمون (البحرين حالياً) مقابر لمئات الالوف من السومريين .

وهناك ايضاً الدفن في الأضرحة المستقلة الخاصة بالملوك كما في أضرحة ملوك سلالة اور الثالثة حيث دفنوا تحت مزارات خاصة تحتوي على العديد من الغرف التي كانت

تمارس فيها الشعائر الجنائزية وتقدم النذور للملوك الراقدين، في أضرحتهم (انظر حنون ١٩٨٦ : ٢٢٣ - ٢٣٣).

أما أنواع القبور وطرق الدفن فقد كانت تتفاوت كثيراً بين ما هو مخصص للعامة وما هو مخصص للملوك والامراء والحكام، فقد كانت قبور العامة على شكل قبور بسيطة كحفر دخل الأرض وبعمق غير ثابت، وقد كان هذا النوع هو الأكثر شيوعاً.

وهناك القبور المشيدة باللبن والآجر التي بدأت بالظهور منذ عصر العبيد ثم ظهرت في أريدو وكانت تحفر بشكل حوض ضيق منتظم ومبطن بالآجر الذي شيد منه السقف ايضاً وقد عثر عليها في اريدو وكيش ونفر، وكانت القبور بشكل عام موجهة من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي وكان لبعضها أرضيات مرصوفة بالآجر كما أن بعضاً منها كان مغطى بالآجر. النوع الثالث من القبور العامة هي الأقبية وهي اشبه بالانفاق تحت الأرض كالتي وظهرت في أور.

كان جثمان الميت قديماً يوضع في حصران تلف على جسد الميت وتثبت بدبابيس، وكانت حصران القصب هي التي تستخدم انطلاقاً من مبدأ مثولوجي يخصّ الطوفان فقد كان كوخ القصب الذي سكن فيه زيوسدرا (بطل الطوفان) هو المثال الأعلى لأنقاذ الإنسان من الشر.

وكان تابوت القصب هذا أما يطرح في الحفرة مباشرةً او يوضع على أرضية من الآجر المرتفعة قليلاً ويغطى بحصير قصب يغطى بقطع آجر.

كما أن التوابيت الخشبية كانت تستعمل لدفن الموتى في مقابر أور وشروباك، واستخدمت الجرار الفخارية وخصوصاً للأطفال الذين يوضعون كما موضعهم في الرحم، وكان هذا المبدأ يستند الى اعتقاد مثولوجي له علاقة بخلق الانسان من الطين وعودته الى رحم الطين في شق أرضي.

وقد عثر في نفّر على جرار مزدوجة حيثُ يوضع جثمان الميت في جرة كبيرة ويوضع جزؤه الخارج عنها في جرة اخرى مقابلة وتغلق الفوهتان المتقابلتان للجرة بالطين، واستعملت السلال أيضاً للدفن.

وكانت طرق الدفن تختلف في الاتجاه وفي وضع الميت وترتيب جسده واعتاد

السومريون على دفن العديد من حاجيات ولوازم وحلي واسلحة الموتى معهم وكان هناك تركيز على الأواني الفخارية للطعام والشراب وبعض الأختام والحجر المرقش .

وكانت تدفن بعض التماثيل الصغيرة مع الموتى ويمكن اعتبارها تعاويذ تساعد على حماية الميت من الاذى (انظر حنون ١٩٨٦ : ٢٥٠) .

النوع الثاني من القبور هو القبور الملكية التي لم تصل منها سالمةً سوى اضرحة ملوك اور قبل عصر فجر السلالات التي اكتشفها ليونارد وولي وملوك سلالة اور الثالثة (لثلاثة ملوك فقط) .

اما مقابر ما قبل عصر فجر السلالات التي وولي بانها تعود الى (٣٥٠٠ - ٣٢٠٠) ق . م والتي قدر حديثاً تاريخها الى حوالي ٢٥٠٠ - ٢٤٠٠ ق . م اي قبيل سلالة أور الأولى لمؤسسها الملك ميسانيبدا فقد عثر فيها على ما لا يقل عن (١٦) قبراً ملكياً .

وبشكل عام يتكون كل قبر من هذه القبور الملكية من أرضية واسعة فيها تابوت يحتوي على جثمان ملكي ، نقش على ختم اسطواني قربه اسمه عليه في بعض الحالات ، وهناك مجموعة من هياكل الرجال يبدو أنهم من الخدم وهياكل لنساء يحمل بعضهم تاجاً من الذهب ، وهناك عدد كبير من الأواني واللقى والخرز والاسرجة والتعاويذ والحلي الشخصية والخناجر . وقد يصل عددالحاشية الى حوالي ٤٠ شخصاً . وهناك في بعض القبور عربات ملكية ربط الى كل منها ثلاثة ثيران او حمير مع حوذيها والسائس أمامها وهناك قيثارات موسيقية . . وغير ذلك .

وهناك تفسيران وضعهما الباحثون لظاهرة القبور الملكية في أور وهما :

١ . تفسير ليونارد وولي مكتشف المقبرة وخلاصته أن ما وجد في هذه المقبرة ما هو الأنموذج للتضحية بأتباع الملك وحاشيته ودفنهم مع الملك حين وفاته . أما الطريقة في ذلك فهي ان تنزل جثة الملك الى الضريح وينزل معه اتباعه وحاشيته ويستقرون على الأرض أو على رفوف موضوعة على الجدران وبعد أن يقتلوا الحيوانات الموجودة معهم في القبر يبدأون بتناول السم من قدر مليء به ، وفي هذه الأثناء يكون الموسيقيون مستغرقين بالعزف على القيثارات ومن المحتمل ان تكون هناك ترانيم جنائزية خاصة يرددها المضحى بهم ، وحين يسري مفعول السم بأجسامهم يضطجعون كل في مكانه ثم يدخل أحد الأشخاص

ويرتب الجثث ومحتويات القبر ويخرج لتبدأ عملية ردم الحفرة بمراحل متعددة وضمن احتفال ديني خاص بالمناسبة . ويرى وولي أن سبب دفن اتباع الملك معه راجع الى اعتبار الملك شبه إله وانه حين يموت ينبغي أن يدفن معه اتباعه لينتقلوا معه الى العالم الآخر حيث يواصل حياته الأخرى فيه (انظر المرجع السابق ص ٢٦١ وانظر Woolley 1965 : 60) .

وما زال رأي ليونارد وولي صامداً أمام الزمن لدقته وعلميته ، خصوصاً أن عمليات الموت الجماعي والتضحية الدينية الجماعية ما زالت تظهر حتى في عصرنا هذا بشكل دراماتيكي حيث يكون الشخص المشابه للملك زعيم تلك الجماعة الذي يجتذبهم الى الموت والتضحية الجماعية املاً في عالم آخر اكثر سعادة .

٢ . تفسير انطوان مورتكات الذي يذهب الى أن هذه التضحيات البشرية هي جزءٌ من الاحتفالات الخاصة بالزواج المقدس الذي كان يقام سنوياً ويلعب فيه الملك دور الاله دموزي في حين تقوم الكاهنة العليا أو الملكة بدور الإلهة إنانا ثم يُسمَّان مع اتباعهما ويُدفنان في احتفال ديني ثم يخرج جسد الملك من سقف الضريح بينما تبقى قرينته في القبر . وهذا رأي معارض تماماً للرأي السابق وتنقصه الادلة العلمية الدقيقة على ذلك .

ويبدو أن عادة التضحية البشرية شملت عصر فجر السلالات السومرية اي الى حوالي (٣٠٠٠ ق . م) ثم انقطعت بعد ذلك ، ونرجّح أن تكون هذه الطقوس السومرية القديمة حافزاً لتشكل فكرة الخلود المصرية وما رافقها من طقوس حفظ الجثث والتحنيط للفراعنة المصريين القدماء حتى أنها اخذت بعداً دينياً مصرياً عميقاً ، أي أنها كانت عادة سومرية انقطعت في وادي الرافدين في نهاية الألف الرابع قبل الميلاد واستمرت بعد هذا التاريخ في مصر القديمة .

أما قبور ملوك أور الثالثة فلا تحتوي على جثث بل على أختام ملكية وتماثيل صغيرة وهي أضرحة معقودة بالآجر ، وقد أقيمت فوق سراديب الدفن مزارات أو معابد جنائزية تحتوي على العديد من الغرف على غرار محطات المعابد المألوفة .

وهذه القبور أشبه بالبيوت ولكنها مخصصة للدفن وليس للسكن .

٢ . الشعائر الجنائزية السومرية

كان السومريون قد ورثوا التقاليد الحضارية للدفن شعائر الموت من التراكم

الحضاري الذي ساد في جنوب وادي الرافدين منذ الألف الخامسة قبل الميلاد ، وكانوا يعتبرون اقامة مثل هذه الشعائر دليل رفعة حضارية ولذلك فانهم كانوا يصفون بدو مارتو (الآموريين) كما في الاسطورة او الحكاية التي يسأل فيها أحدهم عن هوية مارتو فيقول :

« من يكون مارتو هذا . . وهو الراعي الذي لا بيت له
والذي يأكل اللحم نيئاً
والذي حين يموت سترمى جثته في العراء ولا يدفن
فلماذا تريدين الزواج منه » ،

(كريمر ١٩٧١ : ٣٠).

وكانت الشعائر الجنائزية في سومر تقام من أجل إرضاء آلهة السماء وآلهة العالم الأسفل معاً حتى يعتنى بالميت وللجم غضبها وتقسم هذه الشعائر الى ثلاثة أقسام :

١ . **طقس الكسبا** : وهي الطقوس التي تقدم فيها مختلف الأطعمة إلى أرواح الموتى حيث تذبح فيه الخراف ويقدم الزيت والعطور والبخور والنبيذ الأبيض والفاكهة .

وكانت التقاليد تقضي بفرش مائدة الأطعمة والاشربة هذه وتوضع عليها وترتب مقاعد حول المائدة ويترك مقعد واحدٌ فارغ لروح الميت الذي اقيمت الوليمة لأجله وكان هذا المقعد يسمى بالسومرية كرسي الروح (كش گوزاديما) ويسمى بالأكدية (كسّو أطيمو) وكانت القرابين الجنائزية تقدم أمام تماثيل الملوك بصفة خاصة .

٢ . **طقس المي نقو** : وهي طقوس سكب الماء لإرواء ضمأ الميت وكان الماء يسكب عبر انبوب فخاري ينزل من سطح الأرض الى العالم الأسفل ، فقد عثر فقد عثر في أحد الأبنية العائدة الى الملك السومري شولكي ، ثاني ملوك سلالة اور الثالثة ، على أنابيب فخارية تحت الأرض الى الأسفل بصورة عمودية ، كذلك عثر في الأضرحة الخاصة بالملوك في أور على منافذ خاصة لهذا الغرض .

٣. **طقس الشومازكارو** : وهو طقس (ذكر الاسم) والمقصود منه تطمين الميت بأن ذكراه ما زالت قائمة بين الأحياء وأن نوعاً من البقاء من خلال الاسم يتحقق له .

وكان هناك تقليد آخر يوفي بهذا الغرض وهو إطلاق اسم المتوفي على الوليد الجديد . وكذلك ذكره المتصل في طقوس الحداد .

وكان عدم دفن الميت وعدم اداء هذه الطقوس تؤدي الى صعود روح الميت بهيئة شبحٍ موذٍ من العالم الأسفل إلى عالم الأحياء.

أما طرق اقامة هذه الطقوس الجنائزية فكانت تقام بريقتين الأولى اما من قبل عائلة الميت وتشترك فيها بشكل خاص النساء القريبات من الميت وكان يطلق على من يقيم هذه الشعائر بالسومرية سواء أكان من أقارب الميت أم من غير أقاربه (لوساك اينتار Lusag En-tar) أما الطريقة الثانية فكانت تتم بتكليف بعض الأشخاص والكهنة الموكول لهم اداء تلك الشعائر فيقومون بتلاوة التعاويذ التي تعمل على تحسين حالة روحه في العالم الأسفل ومنهم كاهن الـ (ماخ) وكهنة الـ(گالو) .

وكانت الطقوس الجنائزية تقام بعد الوفاة مباشرة أو / و في أوقات محددة ومختلفة ولفترة طويلة بعد موت الشخص. وكان اقامة هذه المواعيد شهرياً في اليوم التاسع والعشرين من الشهر وهو اليوم الذي يختفي فيه القمر كلياً (محاق) ويسمى bubulu حيث تتجمع فيه أرواح الموتى ويقوم الأحياء بتقديم القرابين والشعائر وكان يسمى (يوم وليمة الموتى) أو (يوم الكآبة) أو (يوم الندب).

أما الموعد السنوي لأقامة الشعائر الجنائزية فكان يحصل في شهر آب حيث تقدم القرابين بصورة جماعية وترفع المشاعل لأرواح الموتى وتبدأ مع بداية هذا الشهر وتبلغ ذروتها في اليوم التاسع منه.

٣. شعائر الحداد والحزن

كان الحداد شعيرة أو طقساً لانه كان يخفف من التوتر الذي كان يعاني منه أهل وأقارب الميت من جهة، وطمأنينة وراحة للميت بسبب عدم نسيانه من جهة اخرى.

وكان هناك عدد من الكهنة الذين يؤدون هذه الشعائر وهم كهنة (گالا – ماخ) اي (الكاهن العظيم) وكهنة الـ (گالا) اي النادبين وكهنة الـ (گالا – تور) .

وكان كاهن الگالا يعزف أما على طبل هلهلاتو Halhallatu او على القيثارة أثناء ندبة واناشيده الحزينة .

والكاهنات كذلك يؤدين هذه الشعائر وهن من نوع (لوكر) و (اينتو)

وكان أهل الميت يعبرون عن حزنهم بترك الشعر اشعث او بنتفه والنواح باصوات عالية واللطم على الوجه، والقاء اليدين على الأرض وضربها وتمزيق الثياب، وربما كانت عادة تلطيخ الرؤوس بالطين وطأطأة الرؤوس من ضمن هذه التقاليد.

ومن المراثي السومرية الخاصة بالحداد مرثية(لو دنكرا) التي يرثي فيها أباه المدعو (نانّا) :

« يا ابتي ، الذي مات في عدوان، يا ناناً الذي حُمل الى العالم الأسفل بالشر المخطط ضده،

زوجتك – واعجبا : كانت من قبل زوجةً والآن صارت آرملة

انها تدور حولك كالزوبعة

ومثلي (عاصفة) إندفعت نحوك، نعم : فقد أفقدتها صوابها

واطلقت صرخة ألم كما كانت في المخاض

لقد مزقت (ثيابها) وأخذت تئن كالبقرة،

. . واطلقت صرخة ألم وذرفت الدمع السخي

وغطت بها ما هوصحيح،

بالظلام الذي يجمع (الحزن)

يلمسك، القلب (وهو) مغمورٌ بالهم،

الذي (كان) ينهضُ مبكراً

من بين (الكاهنات)اللواتي يسكنّ في (المعبد) كاهنة الإله ننورتا من صنف لوكر ألقت بنفسها في الوحل

ومثل إله حزين

إن صيحاتها المتأملة . . شرٌ

في وسط الرواق . . جعلت الناس المتشرين (ينشرون) حبوباً وماءاً، فوضى

المعارك، كاهنة الاله (نسكو) من صنف اينتو . . مزقت إرباً (ثوبها) لأجلك (ولمست) طرف ثوبك.

أبناؤك الذين كانوا يعاملون كأبناء ملك، يأكلون

كلما يشربون . .

العسل والزبدة . .

ملأوا المائدة بالزيت لكَ

والدموع التي ذرفوها من أجلك تستحق الرثاء

وحدادهم عليك هو حداد القلب الصافي»

(حنون ١٩٨٦ : ٢٩٣).

٣. الطقوس الدورية (الأعياد)

تستند فكرة الطقوس الدورية ، في جانبها العميق ، إلى ما يمكن أن نسميه بأسطورة أو عقيدة العود الأبدي . فقد كانت الطقوس الدورية مناسبة لاستحضار زمن الخلق الأول معاً ، ولذلك فإن هذه الطقوس كانت تأخذ طابعاً مطلقاً ، وسواء كانت الأعياد أسبوعية أو شهرية أو فصلية أو سنوية فإنها كانت جزءاً من الدورات الكونية التي أسماها اليونان الساروس مستندين إلى المصطلح السومري (سار) التي تعني سنة، دورة، ملك .

يرى مرسيا إلياد أن هذه الإيقاعات الطقسية المتكررة تعني الولادة الجديدة وهي محاولة لإعادة إنشاء الزمن الميطيقي والبدئي، الزمن النقي، زمن لحظة الخلق «كل سنة جديدة فهي عودة بالزمان الى بدايته، اي تكرار لولادة الكون Cosmogony، وما المبارزات الطقسية التي تجري بين فريقين من الشخصين وحضور الموتى، وما أعياد الفحش والدعارة، الأعناصر تدل على أنه في نهاية السنة، وفي انتظار مقدم العام الجديد، يجري تكرار اللحظات الميطيقية التي تمّ فيها الانتقال من العماء الى ولادة الكون » ، (إلياد ١٩٨٧ : ١٠٤).

إن طقوس الأعياد هي من أكثر الطقوس قداسة لأنها ببساطة، تحاول أن تذكّر بالزمن المقدس الأول، وفي ذلك اتضاح لقدسية الحياة والخلق والآلهة فهي لم تكن أعياداً اجتماعية أو اقتصادية (لزرع او حصاد) بل كانت اعياداً روحيةً بالمعنى العميق للكلمة « في العيد يوجد البعد المقدس للحياة كاملاً، فتختبر القداسة للوجود البشري بصفتها خلقاً الهياً. وفي بقية الزمن نحنُ معرضون لنسيان ما هو جوهري : أما الوجود فليس «معطى » بما يسميه المحدثون (الطبيعة) وانما هو خلق للآخرين، الآلهة أو أنصاف الآلهة، وعلى العكس فإن الأعياد تعيد تجديد البعد المقدس للوجود، وبالتلقين كيف خلقت الآلهة أو الأجداد الاسطوريين الانسان وعلمته مختلف أنواع السلوك الاجتماعي والاعمال التطبيقية » (إلياد ١٩٨٨ : ٧٠)

وإذا كانت الطقوس السومرية الدورية (الاعياد) ذات جذور أقدم تمتد الى العصور الحجرية الحديثة (النيوليت) فإن ذلك لم يحل دون منح هذه الأعياد صيغة روحية وطقسية جديدة.

تعني كلمة (إيزن Ezen) بالسومرية الفرصة والاحتفال الذي لا يرتبط بوقت محدد من أوقات السنة، لكن كلمة آسّنو Isinnu الاكدية ومعها كلمة آسّنو I´s´sinuu تدل على العيد الدوري الموقوت.

ويتضح لنا أن الكلمة الأكدية مشتقة من الكلمة السومرية وأن اعطاء الصفة الدورية للكملة جاء من الأكديين، ونرى ان كلمة ايزن أو آسنّو تحمل ما يدل على الـ(سنة). اي العيد الذي له علاقة بنهاية أو بداية السنة، وبذلك أصبحت هذه الكلمة تدل على الأعياد بمعناها الدوري وغير الدوري.

ولعل أهم الأعياد السومرية أربعة هي:

١. عيد إش إش

وهو العيد الاسبوعي المرتبط بالقمر، فقد كان السومريون يعتمدون على القمر في تدوين تاريخهم، ونرى أن كلمة تاريخ اخذت من (ورخ) وهو الاسم السامي للقمر الذي كان السومويون يعتبرونه أساس تدوينهم التاريخي. ويرى مرسيا إلياد ان مراحل القمر الأربعة (الظهور، التعاظم، التناقص، الغياب) ثم الظهور الثاني للقمر بعد ثلاث ليال من الديجور لعبت دوراً كبيراً في صوغ المفاهيم الدائرية Cyclic (انظر الياد: ١٩٨٧ : ١٥٥).

وكان السومريون يسمون كل مرحلة باسم ويضعون سبعة أيام لكل مرحلة يكون اليوم السابع هي يوم الـ(إش إش) اي يوم الاحتفال بانجاز مرحلة من مراحل القمر. وهذا بالضبط مصدر فكرة عطلة نهاية الاسبوع ومنها جاءت كلمة السبت واصلها سبيتو بالبابلية اي (السبعة) ففي يوم السبت كان الناس يرتاحون من العمل ويحتفلون بنهاية مرحلة جديدة من مراحل القمر.

وينسحب هذا المنظور القمري على العمق الانساني كله حيث كانوا يرون موت أو سبات الانسان مثل موت البشرية الدوري، هو موت ضروري، كضرورة موت القمر في أيام المحاق الثلاثة التي تسبق (عودة ولادة) القمر لأن في هذا الموت تهيئة لاعادة الولادة. وينطلق هذا الفهم من أن كل شيء، مهما كان، بسبب من كونه موجوداً وباقياً فانه معرض للأصابة بالضعف والاهتراء، ولكي يستعيد قوته يجب أن يعود لكي يمتصه اللاشكل الذي لا يدوم غير لحظة، يعود الى الانضمام الى الوحدة البدئية التي صدر عنها، اي الدخول

ثانيةً في العماء على الصعيد الكوني بانتظار ظهور جديد من هذا العماء واعادة خلق دورية .

ويرى مرسيا إلياد أن ما يسيطر على جميع هذه المفاهيم الكوسمو-ميطيقية القمرية هو العودة الدورية لما كان موجوداً فيما مضى ، أي (العود الأبدي) هنا أيضاً نعود فنجد الباعث على تكرار بادرة نموذجية يقذف بها على صعيد : كوني ، بيولوجي ، تاريخي ، بشري . . . الخ لكننا نتبين في الوقت نفسه بنية الزمان الدورية ، إن هذا(العود الأبدي) يكشف عن أنطولوجية غير ملوثة بالزمان والصيرورة (أنظر الياد ١٩٨٧ : ١٥٩) . ومن الناحية المثولوجية كان السومريون يعتقدون أن المحاق كان يعني هجوم الأرواح الشريرة والشياطين على القمر واقتياده إلى العالم الأسفل ليغيب هناك ثلاثة أيام (لنتذكر اسطورة هبوط إنانا إلى العالم الأسفل وغيابها ثلاثة أيام هناك) .

إن أسطورة إنليل وننليل وولادة القمر تشير إلى إرتباط القمر بالعالم الإسفل (ولومؤقتاً) وإنه لابد أن يخرج بعد أن يفتدى بالقرابين ولذلك كانت أعياد إش إش مشفوعة بالقرابين والأضاحي .

٢. عيد زاموء (za - mu - a):

(زاموء) إصطلاح سومري ويرادفه بالأكدية زاگموكّا (عيد الزگمك) (zag - muk - ka) وهو من الأعياد المؤقتة الذي يمثل عيد رأس السنة ، وكان السومريون يحتفلون مرتين بهذا العيد الأول في الإعتدال الربيعي (عيد زاموء الأول) وهو عيد الحصاد والخضرة وكانت تقام فيه أعراس الإله دموزي وإنانا وطقوس الزواج المقدس ويصادف تحديداً في ٢١/ آذار من كل سنة وهي بداية السنة السومرية .

أما العيد الثاني فكان (عيد زاموء الثاني) الذي كان يجري في الإعتدال الخريفي وهو عيد البذار والصفرة وكانت تقام فيه طقوس الحزن الجماعي على موت دموزي وذهابه إلى العالم الأسفل وكان يصادف في ٢١/ أيلول من كل سنة وهو منتصف السنة السومرية .

وبالمناسبة فإن طول الليل وطول النهار ويتساويان تماماً في هذين اليومين من السنة فقط . وهذا يشير إلى رهافة الروح السومري وإيقاعه الحميم مع الطبيعة .

وفي أواخر العصر السومري الحديث (عصر سلالة أور الثالثة) وبعد هذا الوقت أصبح السومريون والأكديون يطلقون على (عيد الزاموء الأول) اسم (أكيتو) ومع إختفاء السومريين السياسي اضمحل تدريجياً عيد الزاموء الثاني .

وأصبح هناك عيد دوري واحد هو عيد الأكتيو يحتفل به السومريون في ٢١ / آذار من كل سنة وهو بداية التقويم السنوي عندهم ، أما الأكديون ومن ثمة البابليون والآشوريون فكانوا يحتفلون بعيد الأكيتو في بداية شهر نيسان حيث بداية التقويم السنوي عند الساميين عموماً وكان يستمر عندهم (١٢ يوماً) .

٣. عيد الأكيتو Akitu :

كلمة اكيتو «تعني بشكل خاص اسم أحد الاعياد العراقية المهمة وكذلك المكان الذي تقام فيه احتفالات العيد المذكور، وظهرت كلمة اكيتو في النصوص السومرية بالصيغ التالية :

á - ki -te , á - ki - ti , á kitg - a , (ezen-) a- ki- tum

وفي النصوص المتأخرة ظهرت الكلمة على شكل a - ki- it ، أما في النصوص الأكدية فقد ظهرت كلمة اكيتو بمعنيها بصيغة :

akitum أو bit akitim ، ، (النعيمي : ١٩٩ : ١١٢).

ويعتقد أن الكلمة سومرية الأصل مركبة كما يلي : a- ki- (-e) -ti - a وأن اقدم ذكر لها في اللغة السومرية ورد في لوح اقتصادي عثر عليه في مدينة اور ويعود الى الفترة التي سبقت العهد الأكدي بقليل . وقد قامت الباحثة راجحة النعيمي بتحليل هذه الكلمة كما يلي :

« a هي كتابة مقطعية لـ a التي تعني الماء ومجازاً المطر و KI بمعنى أرض و e هي اداة ظرف المكان المبهم التي تعبر عن القرب المباشر، وقد اختفت كلمة أكيتو لاندغامها مع حرف الـ أ السابقة لها و ti بمعنى يقرب . ان اعطاءنا الفعل ti معني يقرب يعتمد على المصطلح الاقتصادي su- ti الذي يعني حرفياً تقريب اليد الى شيء ما اي بمعنى يتسلم ، وعليه تكون كلمة (a- ki - ti) بمعنى تقريب الماء الى الأرض إي انزال المطر لأن (ti -a) هي

صيغة المصدر ويمكن ترجمتها بمعنى (إنزال) ولهذا السبب نعتقد أن عيد أكيتو كان موجوداً في العراق قبل ظهور الكتابة المسمارية بفترة طويلة، وخلال الفترة التي ظهرت فيها الكتابة المسمارية صار العيد المذكور طقساً دينياً بعيداً عن أصله الأول لذلك ابدلت على ما اعتقده (à-a) لأن القسم الجنوبي من العراق لم يعتمد علي المطر كاعتماده على جهد الانسان في الانتاج والزراعة ،، (النعيمي ١٩٩٠ : ١١٣).

في زمن سلاله أور الثالثة وحسب تقويم أور كانت احتفالات الأكيتو تحدث مرتين في السنة، الأولى في الشهر السادس والثانية في شهر حصاد الشعير الذي يصادف الشهر الثاني عشر (اذار - نيسان) ونادراً في الشهر الأول من السنة ، وللعيد الذي يحتفل به في الشهر السادس اسم خاص هو (آكي شونومن á- ki - ´su - mumun) أي فترة بذر البذور وكانت تقاليد الإستسقاء القديمة التي ظهرت في سامراء ما زالت حاضرة الى حدّ ما .

ويبدو أن عيد الأكيتو السومري كان مرتبطاً بالإلهة إنانا ودموزي وكانت تقدم الضحايا الكثيرة لـ (إنانا) في اليوم الحادي عشر من العيد الذي يبدأ في اليوم الأول من شهر اكيتو، ويمكننا على هذا الأساس افتراض ان عيد الايام الاثنى عشر الذي هو الاكيتو في بابل كان قادماً من عيد الأكيتو السومري.

ومعروف كيف كان هذا العيد يقام في بابل، وكان مركز طقوسه تجرى حول مردوخ ونبو وتجديد ملوكية ملك بابل .

ومن نصوص تعود الى العصر البابلي القديم نستطيع تلمس مضمون عيد الأكيتو الأول في أور أو سومر (الذي كان جذره عيد زاموء الأول) وهو عيد الربيع، حيث كان يتضمن تقديم الطعام للإله نانا والاحتفال بزوجته الالهة ننگال وهذا يعكس استبدال دموزي وانانا بالآلهة المحلية للمدنية. أما عيد الاكيتو الثاني الخريفي فكان يتضمن عيد سفينة نورو ولعله القمر وغيابه في سفينته في العالم الأسفل ثم احتفال البكاء الكثير ثم احتفال التجول في المدينة ثم احتفال المشاعل أو عيد المراثي الذي كان بمثابة ختام العيد الحزين بعد البكاء على موت الاله المؤقت (انظر النعيمي ١٩٩٠ : ١١٤-١١٥).

وهنا نمسك بالحلقة المفقودة بين عيد الاكيتو السومري وعيد الاكيتو البابلي اذ يبدو ان طقوس الفرح الربيعية التي كانت تقام في سومر من اجل دموزي وانانا تحولت إلى إله

وإلهة المدن منذ أو بعد سلالة أور الثالثة وكذلك طقوس الحزن الخريفية . . ولأن اور كانت عاصمة الدولة السومرية الأخيرة . فإن هذه الطقوس ارتبطت باله القمر وهو اله مدينة أور (نانا) وزوجته (ننگال) وبسبب من الغياب المؤقت (ثلاثة ايام) للاله القمر في العالم الأسفل، وهي الفترة بين اختفائه في نهاية الشهر القمري وظهوره في بداية الشهر القادم، انتقل ثقل الطقوس باتجاه إله مثل دموزي يغيب في العالم الاسفل ولكن لمدة قصيرة وبذلك أصبحت الأرضية ممهدة لإنتقال هذا التقليد إلى (مردوخ) إله بابل الذي نسجت له اسطورة غيابه في العالم الأسفل لثلاثة أيام أيضاً أو لفترة قصيرة وأصبح كل هذا النسيج الاسطوري ملائماً لجعل الملك السومري ثم البابلي في وسطه باعتباره (سين) أو (مردوخ) وقد كان دموزي في بدايات العصر السومري .

وهنا ازداد عيد الاكيتو تركيباً وأصبح عيداً لتتويج الملك وزواجه المقدس مع خلفية اسطورية تذكر بالاله مردوخ وقصة الخليقة .

٤. **عيد إيزنماخ** Ezen - mah: وهو العيد الكبير الذي ذكرته بعض الرقم السومرية وكان احياناً يختلط مع العيد الربيعي .

٤- الطقوس السرّية (طقوس الأسرار)

ليس المقصود من الطقوس السرّية ممارستها في الخفاء وبعيداً عن أعين الدولة (باستثناء السحر الأسود) بل المقصود عدم ممارستها الا من فئات خاصة من الكهنة وكونها تنطوي على شعائر ذات طبيعة سحرية بالدرجة الأساس . . ولها من الخصوصية ما لا يمكن تعميمه كما في بقية الطقوس .

وقد كان اغلب هذه الطقوس خارج الشكل الرسمي للديانة السومرية، ولكنها دخلت في جوهرها بسبب من انطوائها على الكثير من الأسرار والغموض وشحذها لفضول الناس وتعلق الناس ببعضٍ من امكانياتها التي كانت تدعي السيطرة علي قوى الكون والآلهة والانسان .

إن طقوس الأسرار تعتمد في أساسها على مبدأ سحري جوهري يقتضي وجود قوة في الكون أو في الآلهة أو في الشياطين أو في الإنسان وأن هذه القوة يمكن ان تتناغم مع قوة اخرى عند الذي يقوم بهذه الطقوس وهي قوة الساحر أو العراف أو المنجم أو مفسر الأحلام الذين يستطيعون تحريك تلك القوى وتفسيرها بالشكل الذي يريدون، ونحنُ نعتقد أن ظهور قوى بارسايكولوجية عند بعض الأفراد أمرٌ واردٌ وأن امكانيات تسخيرها في مختلف الاتجاهات أمرٌ لا تشوبه الشكوك في تلك العصور التي ما زال فيها الانسان خارجا للتو من مراحلة البدائية .

والقوة البراسايكولوجية غير القوة النفسية التقليدية التي تعتمد التأثير النفسي العادي الشعوري عند الانسان، لأن القوة البراسايكولوجية قوة خارقة لا تعمل وفق القوانين الطبيعية بل تعمل على ايقافها والتأثير عليها ولذلك تخفّت هذه القوى، من خلال أصحابها، تحت أشكال عديدة مما كان يعرف بالسحر ومعرفة الغيب والتنجيم وتفسير الأحلام.

لقد كانت طقوس الاسرار السومرية موئلاً هاماً للديانة السومرية بالاتجاهين الايجابي والسلبي . . فقد كرست هذه الطقوس مجموعة من التقاليد التي سادت في الديانات اللاحقة وعززت مكانة الدين، ولكنها في الوقت نفسه أنتجت ضرراً فادحاً حيث سادت الشعوذة والحيل واصطناع الخوارق مما أثر سلباً على طبيعة العقائد الدينية بسبب

عدم امكانية الفصل الحاد بين السحر والدين حتى في العصور السومرية وما تلاها خصوصاً السحر الأبيض أو الحلال الذي كان مسموحاً به دينياً.

اننا إجمالاً يمكن أن نقسم طقوس وممارسات الأسرار إلى أربعة أركان اساسية هي (السحر، العرافة، التنجيم، تفسير الأحلام).

١. السحر

لا شك أن الإنسان عرف السحر منذ العصر الحجري القديم (الباليوليت) لكن سحر العصر الحجري الحديث (النيوليت) امتزج مع عناصر الطبيعة والخصب والجنس بسبب ظهور الزراعة وفكرة الخصب معها . . وكانت المرأة هي التي تقود عمليات السحر الزراعي. أما عند حلول العصر الحجري المعدني (الكالكوليت) فقد قام الرجل بتنحية المرأة وأصبح هو الممارس الأكبر لطقوس السحر .

وقد عرف السومريون السحر وورثوه من الفترات السابقة التي ذكرناها. ويقوم السحر على مبدأين أساسين الأول هو مبدأ التشابه الذي هو الاعتقاد بامكانية إحداث الشيء بتقليد عملية حدوثه وان بالامكان صنع اشياء مشابهة للشيء الأصلي واحداث التأثير على هذه الأشياء المشابهة فان ذلك يؤدي إلى احداث التأثير في الشيء الاصلي. فمثلاً صنع دمية لعدو أو حيوان يراد إيقاع الأذى به، وإحداث الأذى على هذه الدمية يؤدي إلى إحداث الأذى بذلك الحيوان أو العدو.

أما المبدأ الثاني فهو الاتصال وهذا يقوم على أن الاشياء التي كانت متصلة وأصبحت الآن منفصلة يمكن التأثير على أيّ منها بمعزل عن الأخرى، فان التأثير ينتقل الى التي لم يصبها الاذى مباشرةً. ومثال ذلك ان بمقدور الساحر اذا امتلك خصلة شعر رجل او قلامة ظفرة او سنة المقلوع أو حتى خرق ملابسه فانه يستطيع إنزال الأذى بها لكي يسبب الاذى للشخص نفسه وهو بعيد عنها .

وكان السحر بصورة عامة ينقسم الى نوعين الأول مفيد وحلال ويسعى لنفع الناس وهو (السحر الأبيض) الذي كان يسمح لبعض رجال الدين بممارسته وخصوصاً كهنة (الأشيبو) او المعزمون (طاردو الأرواح) .

أما النوع الثاني فقد حرمته الأعراف والقوانين السومرية ووقف الدين السومري

ضده وهو السحر الضار المؤذي الحرام الذي هو السحر الأسود حيث كان يمارسه بعض رجال الدين سراً ويسمى بالأكدية (الكشفو) أو (الكشبو) والذي حرمه الأمير السومري گوديا ثم حرمته الشرائع اللاحقة كشريعة حمورابي .

إن السحر الابيض يستعين بالآلهة المعروفة وخصوصاً الإله إنكي وهو إله السحر ايضاً وابنه الإله اسارلوخي الي كان يكرس لهذا الغرض عند السومريين، وكان ماء انكي وغيوم اسارلوخي مادة إطفاء نار السحرة والأرواح الشريرة.

أما إذا أراد السحر الابيض الاستعانة بالنار فإنه يستعين بالإله نسكو وهو اله النار الهوائية وگيرا اله النار السماوية واليجبيل اله النار السفلية وربما الإلهة شالا (أم جرو) الهة النار الكواكبية هذه الآلهة الأربعة كانت تملك النار القادرة على حرق السحرة الأشرار أو الشياطين والارواح الشريرة التي يتفقون معها .

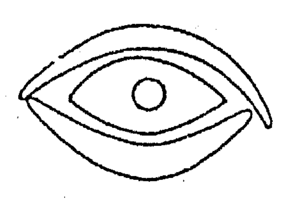
اما السحر الأسود فهو سحرٌ سريٌّ وخفي ولذلك كان يهرب من الآلهة ويستعين بالشياطين والارواح الشريرة وارواح الموتى وكان يتصل بهم ويحرضهم، على احداث الشر والاذى بمن يريد، عن طريق وسيلتي التشابه والاتصال بشكل خاص.

شياطين السحر الاسود :

إن الايمان بقدرة الشياطين والشعوذة كان اساس السحر الاسود وكان ذلك يستدعي إبعاد الآلهة حتى يتسنى للساحر اختراق الحاجز ليتصل بالشياطين التي كان السومري يعتقد بوجودها .

لقد كان الكون السومري مليئاً، بالأضافة الى الآلهة، بالشياطين والعفاريت الطيبة والخبيثة، فالعفاريت أو الجن الطيبة هي ابناء وبنات الآلهة العظام (آن، انليل ، انكي) وكانوا يتميزون عن غيرهم بوجود أجنحة على اكتافهم وهم ذات وجوه كوجوه الآلهة لكنهم لا يملكون قوتها وعزمها وكانوا يسكنّون العالم الأسفل ويستخدمهم الناس كملائكة حارسة لهم شخصياً او لبيوتهم ومدنهم وهم جذر ما اصطلح عليه فيما بعد بالملائكةً (الشيدو واللماسو) . أما الشياطين العفاريت أو الجن الخبيثة والشريرة فهم مخلوقات لا نسب لها بل هي كائنات ظهرت في الاماكن المهجورة والمتسخة والمظلمة واصبح بعضها جنوداً في العالم الأسفل، ودخلت في جيوشها ارواح الموتى الذين لم يدفنوا او لم تقدم لهم طقوس جنائزية جيدة .

وكان شكل الشياطين الخبيثة وصورهم مثل وحوش مخيفة أو حيوانات مركبة أو كائنات مرعبة وكانت لهم أطرافٌ غريبة وقد تكسو جلودهم الحراشف والاشواك والأصداف.



شكل (١٠٤)
عين الإلهة الطاردة للشر
رسم : علي محمد آل تاجر



شكل (١٠٥)
تماثيل الهة العين الطاردة للشر في معبد تل براك

ومن أنواع الشياطين السومرية الخبيثة هي (انظر الماجدي ١٩٩٦) .

١ . الكالا : وهم جنود وجيوش العالم الأسفل وقد وصفتهم أسطورة نزول انانا الى العالم الأسفل بأنهم (لا يعرفون الطعام والماء) و(لا يأكلون ولا يشربون) و(الذين يسلبون الزوجة من حضن الرجل والطفل من حضن أمه) وشبهتهم بأنهم مثل (نصل الرمح) أو (القصب) وهم عامة الشياطين .

٢ . الأوتوكو : وهم الاشرار المعروفون بالشبعة الخنّث قادةا لشر

٣ . الناموتو : وهم شياطين الأمراض وأصواتهم أشد من عضّتهم وهم يدخلون البيوت والاسطبلات بقصد الأذى والقتل .

٤ . السبعة الأشرار : الذين يقتلون الاطفال الرضع ويؤخرون ولادة النساء .

٥ . العين الحاسدة : وهي شيطانة العين التي تسبب الاذى والشر والتي خصص معبد تل براك لعبادتها واتقاء شرها (شكل ١٠٤)

٦ . الأشباح وهم الذين لا ملامح لهم ونعني بهم أرواح الموتى المقتولين غدراً او غير المدفونين أو غير المقامة لهم طقوس جنائزية مناسبة .

وكان للشياطين أسماءٌ دالة على أفعالهم مثل الماسك والرابض والقابض . . الخ .
وكانت ليليث شيطانية سومرية ورد ذكرها في اسطورة انانا وكلكامش (شجرة الخلبو) فقد حطم كلكامش شجرة الصنوبر التي يبدو انها كانت بمثابة (الشجرة الخبيثة) في أوروك وطلع منها ثلاثة كائنات شريرة هي (الأفعى من الجذور ، ليليث من الجذع، زو طائر الصاعقة من الاغصان). وكانت ليليث توصف بانها شيطانة الليل صاحبة الاجنحة التي ترافقها العقبان والنمور والاسود وهي متخصصة باغواء الرجال وجذبهم من بيوتهم في الليل ليهيموا وراءها في البوادي والسهود والتي تشبع رغبتها منهم ثم تتركهم فريسة مجونها وغرامها الشارد وقد وصفتها الادبيات العبرية بانها (حواء) وكان صنف ليليث من الجنيات يسمى (اردات ليلي) .

أما الليلو فهم شياطين ذكور عكس ليليث ، ويوصفون بأنهم عفاريت نصفهم بشر ونصفهم شيطان ويلاحقون البنات والنساء البشريات ويلحقون بهنّ الأذى وربما الغرام الشديد المولّه .

و الشياطين الشريرة عند السومريين لا تؤذي الإنسان فقط بل تؤذي الطبيعة وتسبب عدم توازن فيها فالكوارث والزلازل والفياضانات والقحط والرياح كلها بفعل هذه الشياطين .

إن غياب القمر بعد المحاق شهرياً كان أيضاً بسبب مهاجمة الشياطين السبعة الكبار له ، ولذلك كانت الأيام الثلاثة بين اختفاء القمر وظهوره هي بمثابة نوع من خطف القمر من قبل الشياطين إلى العالم الزسفل . وهذا هو جزء من أعياد الـ (إش إش) السومرية .

وكذلك كسوف الشمس وخسوف القمر كانا بسبب الشياطين ولذلك كانت هناك شعائر لإنقاذ هما من قبضة أو فم الشياطين .

مضادات السحر الأسود

كان للسومريون طرقاً خاصاً لمعالجة السحر الأسود أصبحت ، فيما بعد ، أساس معالجات السحر الأسود في الماضي القديم كله وكان جوهرها يستند على أساس أن السحر الأسود أو المرض أو الخطيئة بشكل عام سببها الأرواح الشريرة (الشياطين) فكان طردها وتخليص الحياة منها بمثابة علاج لها .

ويظهر تدخل الآلهة أولاً ببعثها لاشارات نبوية (أشابوت) تكون بمثابة علامات على إمكانية حدوث الكوارث والأمراض ، وهي بمثابة تشخيصات لهذه الشرور ، وكان كاهن الأشيبو هو الذي يكشفها ويفسرها (انظر الأحمد ١٩٨٨ : ٦٣) .

في مجال الإنسان كان سقوط حيّة من الشجرة أو ظهور غراب أو كلب في الطريق أو حلم بالسقوط . . الخ هي إشارات المعزّم (الاشيبو) ليحللها ويعرف إمكانية شفاء الإنسان من مرضه .

أما في مجال الطبيعة فكان ظهور البرق والصقيع والمطر وتكسر الآثاث ولدغة النحلة وسقوط الشيء من مكان مرتفع بمثابة الإنذرات على وقوع الكارثة .

وكان كاهن الأشيبو يقوم بعد ذلك بمجموعة من الطقوس المضادة وهي :

١ . الرقى والتعاويذ العامة : كانت التعويذة (الشيبتو) هي الوسيلة العامة التي يمكن أن يقوم بها (الأشيبو) أو (المشمشو) وهي عبارة عن كلمات ملفوظة تتعوذ من الشياطين

وتحاول إبعادها، ويؤديها الكاهن وهو يلبس ملابس حمراء (وهو اللون الذي تخشاه الشياطين) أو ملابس على شكل جلد ورأس السمكة حيث يتمثل فيها الكاهن شخصية انكي الذي ترمز السمكة له. أاما الرقية فتتضمن صنع تماثيل صغيرة تعذب وتحطم بتلاوة جملة عليها والمعزم جالس داخل دائرة اختطها بعصاه ممسكاً بخشبة أو غصن نخلة.

وكانت التمائم عبارة عن أشكال سحرية قد يكتب فيها ما يريده الساحر ولكنها تعلق على زند أو على صدر الشخص لدرء المرض والشر عنه. وتأخذ شكل الشياطين مثل بازوزو.

وكانت التعاويذ والرقى مصحوبة ببعض الأعمال الرمزية مثل حرق مواد تشبه الارواح الشريرة وحل العقد التي نعتقد أن المريض قد رُبط بها.

٢. التعاويذ والرقى الخاصة وهي تعاويذ وجدت بصيغتها الأكدية ويعتقد أن لها جذوراً سومرية واسماؤها كما يلي:

أ. الشربو وهي تعاويذ مضادة لتعاويذ السحر الاسود المسماة المقلو، وتصاحبها نار وحرق دمى.

ب. أتوكي لمنوتي: تعاويذ الطرد لكبار الشياطين

ج. أشاكّي مرصوتي: تعاويذ لطرد شياطين الامراض

د. لابارتو: تعاويذ لطرد شياطين خاصة.

٣. طقوس الماء والزيت والدفن التي تعتمد على مبدأ الإتصّال بشكل خاص حيث يأخذ المعزم شيئاً من شعر أو أظافر أو ملابس المريض، ويرش الماء عليه أو الزيت، ويتلفظ باسم العفريت، وربما يقوم بالتبخير أو حرق بعض أدوات المريض أو دفنها لكي يطرد العفريت عن المريض.

٤. طقس الفوهو (البديل) الذي شرحناه في الطقوس اليومية والذي كان يعالج به المرضى حيث يستند الى مبدأي السحر (التشبيه والاتصال) معاً حيث يدفن الحيوان البديل عن المريض مع المرض في النهاية.

علاقة السحر بالاسطورة

كان السحر قديماً يمثل أول الأديان لاعتقاده بوجود قوة في الأشياء والعالم يمكن

التحكم بها، وبعد أن أدرك الإنسان أن أصحاب القوى الخارقة فقط هم القادرين على التحكم بهذه القوى أبقى الانسان معتقده في وجود هذه القوى ولكنه خضع لها هذه المرة وتوسلها فنشأ الدين بالمعنى الذي نعرفه.

وإذا كان السحر، كدين بدائي، يرجّح الطقس أساساً على الاسطورة التي يعتبرها هي الكلمة بدل القصة المقدسة والمعتقد هو الايمان بوجود القوى الكونية والبشرية، فان الدين أعطى مستويات متقاربة لكل من الطقس والاسطورة والمعتقد.

لكن السحر نفذ الى الدين من خلال الطقوس التي شرحنا بعضها ومن خلال الاسطورة أيضاً (رغم ان السحر يمارس خارج الاسطورة) وهناك الكثير من الأساطير السومرية ما زالت تحتفظ بالمشاهد السحرية فمثلاً في أسطورة انليل وننليل في العالم الأسفل يقدم البديل (الفوهو) عن الآلهة الثلاثة (الزوجان وابنهما القمر) ليرقد ثلاثة الهة سفليين في العالم الأسفل ويتمكن ثلاثة آلهة عليون من الخروج الى الأعلى وقد اعتمد على مبدأي التشبيه والاتصال السحريين.

وفي نزول انانا إلى العالم الأسفل يخلق الاله انكي المخلوقين (كوركالا) و (كولاتور) ويسلم الأول طعام الحياة والثاني ماء الحياة فيقومان برشهما على جثة انانا ستين مرة (بطريقة سحرية ولا شك) لتعود إنانا الى الحياة.

إن طعام الحياة (بلخو) ولعله (البلح) وماء الحياة (ميلامو) ولعله ماءٌ مقدس يرشان بطريقة سحرية لستين مرة وهو عدد مقدس وسحري في ان.

وفي اسطورة / تعويذة السن السومرية يظهر السحر واضحاً.. وهناك أمثلة اخرى عديدة.

٢. العرافة

العرافة في أبسط تعريف لها هي (التنبؤ بالغيب)، واذا كان السحر ينطلق من وجود قوى خارجية يمكنه السيطرة عليها فإن العرافة تنطلق من فكرة وجود قوى داخلية (عند العراف) يمكنها ان تلتقط إشارات الكون والطبيعة وغيرها لتكتشف بها ما سيحدث من أحداث.

ولعل أقدم عرّاف سومري هو ملك سبار قبل الطوفان (إنمين دور انكي) الذي تعلم العرافة من الإله انكي فعينه عارفاً لفنونها ومعلماً لها واعتبر حامي العرافين، وكذلك بطل الطوفان زيوسدرا . ويذكر ان أورنانشة أول حاكم لكش كان عرّافاً (انظر الأحمد ١٩٨٨ : ٦٩).

وكان العرّاف قارئ خطوط وإشارات بامكانه تأويلها بالشكل الذي يراه لمعرفة ما سيحصل في المستقبل .

وسمى السومريون العرّاف (آزي I. Zi) وتعني (الذي يعرف) وهو ما يقابل في الأكدية (بارو) الذي اعتبر أحد أنواع الكهنة المتخصصين عند السومريين والأكديين معاً .

وبصورة عامة يمكن تقسيم العرافة السومرية حسب مصدر نشوئها الى الاقسام التالية :

١ . عرافة الطبيعة وقراءة حركاتها وتبدلاتها ولعل أهم جزء في هذه العرافة هي قراءة السماء وظواهرها والنجوم وحركاتها وهو ما يعرف بالتنجيم الذي سنفرد له فقرة كاملة .

اما بقية أشكال وخطوط وإشارات الطبيعة المعبر عنها بالبرق والزلازل والبراكين والفيضانات وخطوط الجبال والسهول وحركة المياه فقد كانت مصدر الهام العرافين لكي يعرفوا بها مصائر الناس والبلدان .

٢ . عرافة الحيوان وقراءة ما يصدر عنه من حركات عفوية في وقت معين وهناك نوع آخر يعتني بقراءة الأجنة والولادات المشوهة عند الحيوان ليستدل بها على حدوث أمور مستقبلية .

وأهم أنواع هذه العرافة قراءة أحشاء الحيوانات التي تُذبح بمناسبة ما وبصورة خاصة قراءة خطوط وتغيرات الكبد (Hepatoscopy) فمثلاً عندما تختفي المرارة من الكبد فإن ذلك يعني اشارة لكارثة تخص الملك أو البلاد وهكذا .

٣ . عرافة الانسان وتشمل قراءة شكل الانسان وخطوط وجهه ويده وقدمه وجسده وحركاته بل والولادات المشوهة له وطبيعة الأجنّة المسقطة منه .

٤ . العرافة العملية وهي العرافة الاصطناعية التي تعتمد على بعض الاعمال التي يقوم بها العراف لينتج خطوطاً وأشكالاً يقرأ بها ما سيحصل في المستقبل . وقد عرف السومريون نوعين من هذه العرافة وهما سكب الزيت في الماء ثم مراقبة حركة الزيت وهو يطفو على الماء ويشكل حلقاته ومنها يعرف الفأل الحسن من الفأل السيء ، أما النوع الثاني فهو قراءة حركة الدخان المتصاعد من المبخرة .

لقد كان الإله (أوتو) إله الشمس ، والإله (أشكر) هما اللذان يرعيان طقوس العرافة وكان العرافون يتوسلونهما عند إجراء طقوس العرافة .

ولم تكن العرافة محرّمةً بل كان الشخص الذي يقوم بها من نوع خاص يجب توفر بعض الصفات الخاصة به ، وكان العراف يرافق الملوك والامراء ويقرأ لهم طالعهم .

وجاءت أقدم نصوص العرافة من العصر السومري القديم بعناوين مختلفة هي :

- إذا كانت مدينة على ارتفاع معين .
- عندما الإله آن وانليل
- إذا ضرب أو بنى .

٣. التنجيم

التنجيم Astrology هو الوجه السحري والشعبي لعلم الفلك Asronomy . ولم يبدأ التنجيم بداية سحرية بل كان في بدايته محاولةً من الانسان النيوليثي لرصد الكواكب والنجوم في السماء وتحديد أوقات سقوط المطر وهبوب الرياح وتبذل الفصول « ولعل فكرة قياس الزمن والتقويم ، ولا سيما التقويم الشمسي ، أوحتها للأنسان الدورة الزراعية ، إذ يمكن قياس طول السنة الشمسية من وقت بذر الى وقت بذر آخر او من حصاد إلى حصاد آخر ولعل انسان ذلك العصر استعان في ضبط مثل هذه الدورات والمواسم وتعاقبها ومواعيدها باقترانها بطلوع بعض النجوم والكواكب ، على نحو ما يمارسه الفلاحون الآن في العراق وفي غير العراق » (باقر ١٩٧٣ : ٢٠١) .

ولما كانت تقلبات الجو (وعلامتها الكواكب والنجوم) تؤثر على مصادر الغذاء بهذا الشكل فلذلك أصبح « ارتباط مصير الملوك بالتقلبات الجوية راجعاً الى أن الكهنة والحكام

الذين مارسوا سلطاتهم السياسية والدينية خلال الفترات التي سبقت ظهور نظام الري كانوا مسؤولين مسؤولية مباشرة عن توفير الغذاء لمجتمعاتهم ولذلك فان النقص الذي يحصل في كميات الغذاء ينعكسُ سلبياً علي الحكام وعلى مصيرهم ولذلك أصبحت حركة الكواكب علامات دالة على مستقبل البلدان وحكامها ، ، (رشيد ١٩٨٧ : ٩).

ولعل أول المظاهر التنجيمية والفلكية في الدين السومري هو تقسيم السماء الى مسالك إلهية أو طرق معينة بأسماء عظام الآلهة السومريين فقد اطلق على خط الاعتدال السماوي طريق آن ويقع شماله خط الشمال وهو طريق إنليل إما جنوبه فخط الجنوب وسمي بطريق إنكي (ايا) .

ومنحت الآلهة الكبيرة أرقاماً رمزية ذات طابع فلكي ، ولعل أهم إنجاز قدمه السومريون للفلك والتنجيم هو إدخالهم النظام الستيني السومري على النظام الرياضي الفلكي . وهذا النظام يصلح للأشكال الدائرية والمقوسة وهو ما كان يحتاجه التنجيم ليتحول الى علم فلك يقوم على الرصد والقياس وتنظيم الجداول .

النصوص التنجيمية السومرية

ظهرت النصوص التنجيمية والفلكية السومرية أثناء تكون دويلات المدن السومرية وكانت النصوص التنجيمية منها بشكل خاص على شكل نصوص فأل وعرافة ، وقد اشتهرت مدينة سبار (مدينة الاله الشمس) بمثل هذه النصوص واهتمامها الفريد بالطب والتنجيم . وكذلك مدينة أور (مدينة الاله القمر) . وتخبرنا المكتشفات الاثرية بوجود نصين تنجيميين مهمين يعودان إلى الفترة السومرية هما :

١ . نص (حينما آنو إنليل Enúma Anu Enlil (EAE)

وهو نص تنجيمي لأغراض الفأل يرى عددٌ من الباحثين أنه يعود الى ما قبل الفترة الأكدية السرجونية ، ويرى آخرون انه يعود الى هذه الفترة ولكنه مكتوبٌ باللغة السومرية ويعتبر هذا النص من أكثر النصوص التنيجيمية قدماً وقد جمعت معه نصوص اخرى تكمله وظهرت على شكل سلسلة نصوص تنجيمية نقتطف منها هذا المقطع «اذا حدث خسوف في شهر سيوان في اليوم الرابع عشر وكان الإله القمر في ظلامه الدامس على الجانب الشرقي من فوق ، والنور على الجانب الغربي من تحت ، وهبت ريح الشمال في

ليلة المراقبة الاولى وخفت في منتصف ليلة المراقبة . . فسيعطي الإله القمر ذو الظلام الدامس على الجانب الشرقي من الأعلى وذو النور على الجانب الغربي من تحت قراراً لمدينة اور وملك اور .

(أما بالنسبة) لملك أور فسيقاومه ابنه ، أما بالنسبة للأبن الذي سيقاوم أباه فيقبض عليه شمش (اله الشمس) وسيموت لعقوقه والده ويسعتلي العرش ابن الملك الذي لم يعلن عنه للملوكية ، ، (ساكز : ١٩٧٩ : ٥٢٥).

وبوضح هذا النص علاقة بين مصير مدينة وسكان وملك أور وخسوف القمر والانواء الجوية ، وقد كان المنجمون في ذلك الوقت يقرأون مصائر الناس والملوك والمدن والدول من حركة الكواكب لارتباط حركة الافلاك بالزراعة والغذاء ولأن الآلهة هي التي تتحكم بهذه الكواكب ولذلك يقدسون غضبها ورضاها من خلال هذه الكواكب ولأن الملوك على صلة مع الآلهة فلا شك (في نظرهم) ان هناك علاقة بين الكواكب ومصائر الملوك .

٢ . نص المشتري (ساگميگار) Sagmegar tablet

وهو من النصوص الفلكية الاقتصادية السومرية من عصر الملك السومري شولكي وهو ابن الملك اورنمّو من سلالة اور الثالثة وقد دوّن اسم الملك و« على يسار اللوح دونت سنوات حكم الملك ، ثم أسماء الشهر واليوم في الشهر وفي بضع الحالات عبارة تتعلق بهذه الأمور الثلاثة وللأسف فان الكسر الذي فيه لا يعطينا تعريفاً كاملاً به لكنه يسجل سنوات ظهور واختفاء المشتري ، ، (Walker 1982) .

وتوجد خلف اللوح تسجيلات تنجيمية وتاريخ مختصر للملك السومري شولگي « شولكي ابن اورنمو ملك جميع البلاد أخذ كرهينة بضائع البلد العدو ، لقد سلب كرهينة ملكية ايساجيل وبابل ، ، (Ibid)

ويقول القسم الآخر من النص « لقد فعل ما لا يحمد عقباه وسلب ملكية ايساجيل وبابل كرهينة ، ، (Ibid) .

ولأن اللوح الذي جاءت فيه هذه المعلومات هو لوح يخص كوكب المشتري الذي يسمى بالسومرية (ساگميگر) واسمه وعلامته الدالة عليه وما يحمل من معلومات لذا يعتقد أن شيئاً ما قد حصل للملك شولگي مع وقت وظهور واختفاء هذا الكوكب

خصوصاً ان شولكي سلب كرهينة ملكية ايساجيل وبابل .

الآلهة وأيام الاسبوع وابراج السماء

اتبع السومريون النظام القمري في تقويمهم وقسّموا السنة الى اثني عشر شهراً قمرياً وقسّموا الشهر القمري إلى أربعة اسابيع بحسب حركة القمر وقسموا الأسبوع الى سبعة أيام .

ولم تصل اسماءٌ ثابتة للأشهر السومرية القمرية بل كانت كل مدينة سومرية تتخذ تقويماً خاصاً وأشهراً خاصة « وقد تمكن الباحثون حتى الوقت الحاضر تثبيت هويتها بصورة كاملة هي خمسة تقاويم وتعود الى المدن التالية : لكش ودريهم (صيلوش دكان) واوما ، نفّر واور وبالتأكيد هناك تقاويم اخرى غير التي ذكرناها لم تسنح الفرصة بعد للتعرف عليها وذلك لأن تنقيباتنا لم تشمل جميع المناطق الآثارية ، ، (رشيد ١٩٦٨)

وقد عرف السومريون كبس الأشهر القمرية ليتلافوا النقص الواضح في الزمن قياساً للسنة الشمسية . ولذلك كانوا يضعون أسماء اشهر مضافة بعد سنوات محسوبة .

أما أيام الاسبوع فقد أطلق السومريون عليها أسماء الآلهة والكواكب المرتبطة بها وأخذ عنهم البابليون هذا وما زال الى اليوم نظامنا في تسميةأيام الاسبوع مرتبطاً بالكواكب وهي كما يلي :

أيام الاسبوع	الكوكب الخاص به	الإسم السومري للكوكب	الإله السومري الخاص به
الأحد	الشمس	أوتو	أوتو
الإثنين	القمر	سو أين	ننار
الثلاثاء	المريخ	آن	آن
الأربعاء	عطارد	گو إود	إنكي
الخميس	المشتري	سگميگار	إنليل
الجمعة	الزهرة	نانسي أنّا	إنانا
السبت	زحل	تور دش (جيّنا)	ننورتا

جدول (١١)
أيام الأسبوع السومرية وكواكبها وآلهتها

ولذلك كان المنجمون عندما يقيمون طقوسهم ويحاولون قراءة النجوم في يوم معين فانهم كانوا يتوسلون إله ذلك اليوم ونجم ذلك اليوم لكي يتمكنوا من قراءة دقيقة، وكذلك كانوا يأخذون بنظر الإعتبار الإله الخاص بالمدينة التي هم فيها فاذا توافقّ إله مدينة ما مع يومه في الأسبوع فإن ذلك يعتبر الحالة المثالية لعلم المنجمين .

والسومريون هم الذين قسّموا السماء إلى إثني عشر برجاً سماوياً على أساس حركة القمر فيه خلال السنة ووقوع نجوم بعينها في هذه البروج والدليل علي ذلك بدء البروج من ٢١ آذار من السنة وعلى التوالي حيث ٢١ / آذار هو بداية السنة السومرية وهو يوم الاعتدال الربيعي حيث كانت تقام إحتفالات رأس السنة السومرية .

ولتسهيل معرفتهم بالأبراج أطلقوا عليها اسماء الآلهة أو رموزها الحيوانية واستعملوا النجوم التي تقع في كل برج كنقاط دالة لانها لا تغير موقعها سريعاً وبذلك كانت البروج في بدايتها عند السومريين أشبه بخطوط الطول والعرض السماوية .

ولكنها استخدمت فيما بعد، وبسبب ربط المصائر بالنجوم، لأغراض تنجيمية وما زالت الى يومنا هذا تستخدم بهذا الشكل .

وقد أسموا مثلاً برج الثور (گو) ، وبرج السرطان (ناگار) وبرج العقرب (گر) وبرج القوس (بابل) وبرج الجدي (ماش) . . وهكذا .

وقد طوّر البابليون فكرة الأبراج السماوية واستخدموها بشكل أوسع في الحقلين التنجيمي والفلكي .

الزقورات كمراصد فلكية وتنجيمية

استعمل الفلكيون والمنجمون السومريون الزقورات العالية كمراصد لمراقبة حركة الأفلاك والنجوم، وكانت هناك غرفة عالية تستخدم لمراقبة النجوم تسمى (بيت المراقبة) أو (بت تمرتي) .

وواضح أن سبب اتخاذ الزقورات كمراصد كان ارتفاعها الذي قد يصل الى (٧٢ قدم) ولارتباطها بالآلهة التي كانت لها صلة بالكواكب والنجوم كما عرفنا .

٤. تفسير الأحلام

آخر طقوس وممارسات الاسرار هو تفسير الأحلام الذي كانت الالهة (نانشة) مسؤولة عنه بالدرجة الاساس، وتخصصت به الالهة (مامو) ابنة اله الشمس (اوتو) وكلمة (مامو) بالسومرية تعني الحلم

وكان الكاهن المسؤول عن تفسير الأحلام هوالسائل (شائيلو) والكاهنة المسؤولة عنه هي السائلة (شائيلتو)

وكان تفسير الأحلام يحضى بأهمية خاصة عند الملوك والامراء، أما الكهنة الذين يعملون فيه فهم من ذوي الامتيازات الروحية الخاصة.

ارتبطت الأحلام بالليل وكانت كلمة مامو، مامود تعني الليل والحلم في الوقت نفسه، أما كملة (ماش جي) فتعني نتاج الليل وتدل على الحلم ايضاً.

هناك نوعان من تفسير الأحلام الأول بواسطة الإلهام (إلهامي) والثاني بواسطة الاستنتاج (إستنتاجي).

كان تفسير الأحلام الإلهامي هو الأقدم وقد ارتبط بالآلهة حيث كان يعتقد ان الآلهة تختار الحلم صيغةً لنقل ما تريد الى انسان ما تختاره هو. فعلى سبيل المثال يرى زيوسدرا حلماً يرسله له الإله إنكي ليتجنب دمار الطوفان وفي النسخة البابلية يقول الإله إيا (اني أريتُ اتراخاسيس حلماً، وهكذا تعلمّ سر الآلهة).

أي إن تفسير الحلم كان سراً إلهياً يعلّمه إله الحكمة لمن يشاء وقد كان «مثل هذا الاعتقاد بالإيحاءات الإلهية في الحلم قديمٌ جداً في بلاد الرافدين القديمة. وأقدم مثل عنها جاء في «مسلة النسور» الشهيرة العائدة اليملك لگش (اي اناتوم) الأول في نحوسنة ٢٤٥٠ ق.م في صراعه ضدّ أوما وهو يروي كيف أن الإله ننكرصو ظهر له في نومه لكي يطمئنه بهذه العبارات عن النتيجة السعيدة للحرب: حتى كيش لن تساند اوّما. فالأله أوتو سينحاز اليك،» (بوتيرو ١٩٩٠ : ١٤٦).

وتظهر الإلهة گشتن أنا في أسطورة موت دموزي ونزوله الى العالم الزسفل كمفسرة أحلام من الطراز الرفيع فهي تؤول حلم دموزي (راجع أساطير ومراثي دموزي

في هذا الكتاب . الفصل الثاني) حيث يذكر دموزي ما يقرب من (١٢) مفردة حلمية هي (الأسد، القصبة ، الاشجار، الماء، المخضّة، كاس الشراب، العصا، النسر، الباز، العنزات، الخراف، حظيرة الغنم) فتقوم گشتن أنا وهي اخت دموزي بتفسير حلمه وتأويل هذه المفردات واحدة تلو الأخرى :

« إن حلمك غير حميد ذلك الذي اخبرتني به

إن تفسير الأسل الذي يرتفع حولك يعني

إن مجرمين يقومون ويهاجمونك

وإن القصبة التي تقوم وحدها تحني رأسها لك

تعني أمك التي ولدت وسوف تخفض رأسها من أجلك

أما القصب القائم مزدوجاً وتنزع منه واحدةً يعني

أنا وأنت وواحدٌ منا سوف ينزع من الحياة

أما الاشجار العالية فتعني الظلام الذي ستغرق فيه

أما موقدك فسينطفى

ستسقط كأسك من المشجب وتضيع عصاك

وتموت طيورك وعنزاتك وشياهك

وحظائرك سيعم بها الخراب

وستمزق مخضة لبنك ويندلق لبنها

ويحطم كوبك »

ولعل حلم گوديا وتفسيره من قبل الإلهة نانشة خير مثل على التفسير الإلهامي فحين يحلم گوديا بحلم يذهب إلى الإلهة نانشة ويسمّيها (مفسرة الآلهة وأم الرؤى والأحلام) ويروي لها حلمه كما يلي :

« في منامي - رجل

كالسماء في عظم جرمه، كالأرض في عظم جرمه ،

هو رأسه رأس إله

جناحاه جناحا طائر امدوجود

قائمتاه قائمتا عفريت طوفان

عن يمينه وشماله اسدان يربضان

أعطاني الأمر بتعمير بيته

لا أرى ماذا يريد

الشمس طلعت لي من الأفق

أمرأة – من هي ليست تكون ! من هي تكون !

وضعت على الرأس

أمسكت قصبة اللوح الفضية المضيئة باليد

أسندت لوح نجم على الركبة

تتشاور معه

ثم، بطلٌ

لوى الذراع، أمسك كتلةً من جحر اللازورد

للمنزل، رسم مخططاً عليها

أمامي سلة مقدسة زُرعت ،

قالب قرميد مقدس أقيم مستوياً ،

قرميد القدر وضع في قالب القرميد من أجلي ،

في عوسجة «إلداج» المزورعة أمامي،

عصافير «تيبو» ما برحت تغرد طرباً .

ومهر حمار نبيل ، «اليد اليمنى» لمليكي ، كان يضرب

الأرض بقائمته نافذ الصبر ،

(كريمر ١٩٨٦ : ٤٦ -٤٧) .

هذا الحلم الجميل بوصفه هو الذي حلمه كوديا وطلب من آلهته نانشة التي يرى أنها أمه بتفسير هذا الحلم ، وبعد أن سمعت نانشه الحلم قامت بتفسيره :

« يا راعي ، أنا منامك سأفسر :

الرجل العظيم الجرم كالسماء ، العظيم الجرم كالأرض

ورأسه رأس اله

وجناحاه جناحا طائر امدوجود ،

وقائمتاه قائمتا عفريت طوفان

وعن يمينه وشماله اسدان يربضان

إن هذا لهو أخي ننجرسو

أن تعمّر له معبد أنينو

الشمس التي طلعت لك من الأفق ، هي إلهك

ننجشزيدا

مثل الشمس طلع لك من الأفق

العذراء التي وضعت . . على الرأس ،

وامسكت قصبة اللوح الفضية المضيئة باليد

وأسندت لوح نجم على الركبة

تتشاور معه

إن هذه لهي أختي ندابا

لكي تعمر البيت طبقا للنجوم المقدسة

دعتك

ثم ، بطل -

لوى الذراع ، امسك كتلةً من حجر اللازورد

إن هذا نندوب يرسم مخطط البيت عليها

السلة المقدسة التي زُرعت أمامك

قالب القرميد المقدس الذي أُقيم مستوياً ،

قرميد القدر الذي وضع في قالب القرميد

إن هذا قرميد أنينو الذي يقاوم . .

في عوسجة إلداج المزروعة أمامك ،

عصافير تيبو ما برحت تغرد طرباً

في أثناء تعمير البيت ، لن يأتي الرقاد والحلو الى عينيك

مهر الحمار النبيل ، اليد اليمنى لمليكك ، الذي كان يضرب الأرض

بقائمته نافذ الصبر

إن هذا أنت ، كمهر الحمار النبيل سوف تضرب الأرض في أنينو ، ،

(كريمر ١٩٨٦ : ٤٧ - ٤٩).

إن هذا التأويل الحلمي يعتبر واحداً من أقدم ما ذكره التاريخ وهو يشير بوضوح الى تأويل إلهي ذي طبيعة الهامية . . ولننظر الى گوديا العظيم الذي كان يحلو له ان يتشبه بالحمار بسبب حبه للعمل وتواضعه أمام شعبه وهكذا كانت الإلهة نانشة تراه .

ويمكن ان نضع تفسير الإلهة (ننسون) أم گلگامش لحلم ولدها في نفس السياق وكذلك حلم أنكيدو الذي كان نذيراً بمرضه ثم موته .

أما النوع الثاني فهو تفسير الأحلام الإستنتاجي فهو الذي يعتمد على القدرة

التأويلية لكاهن أو لكاهنة الشائيلو/ الشائيلتو على فك الرموز والصور الحلمية ووضعها في سياق الواقع، ولا شك ان هناك ما يشبه الثوابت التي درج الكهنة على وضعها نصب أعينهم وقد ذكرها بالتفصيل لاحقاً الكهنة البابليون والآشوريون الذين وضعوا ما يشبه القواميس الكبيرة لتفسير الأحلام والتي تبدأ فقراتها هكذا « اذا حلم أحدٌ ب . . فأن . . » وجاء أقدمها من حوالي ١٧٠٠ ق.م ولا شك أن مصادره الأولى سومرية، ومثال ذلك :

«إذا حلم أحد خلال نومه بأن المدينة كلها تسقط عليه، وبأنه يطلق صرخات ويسمعونه : فسيكون لهذا الرجل نحسٌ يلازمه طول حياته .

«إذا حلم انسان بأنه ياكل لحم كلب : استهلال، رغبة غير متحققة .

إذا تبول في جدول ماء : لن تزدهر غلته »

«بوتيرو ١٩٩٠ : ١٥٢ -١٥٥ » .

تصنّف الأحلام التي ظهرت في النصوص العراقية القديمة ومنها السومرية تصنيفاً يختلف عن تصنيف تفسير الأحلام وعلى الشكل التالي :

١ . أحلام تظهر بها الآلهة ارادتها والتي قد تحتاج الى تفسير أو لا تحتاج .

٢ . أحلام تعكس وضع الحالم العقلي وسلامته الروحية والجسدية .

٣ . أحلام تنبؤية

وقد أخضع المفسرون هذه الأحلام لطرقهم الإلهامية والاستنتاجية ولكننا بالتأكيد سنجد جهداً عظيماً في تراثهم هذا، وعلى علم السميولوجيا الذي يعتني بدرس وفحص هذه الاشارات والرموز ان يقوم بدور واضح في فحص هذا التراث واستنتاج العلاقات الخاصة بين المدلولات والدالات في شريحة نفسية وروحية مثل نصوص الأحلام ونصوص تفسير الأحلام السومرية منها بشكل خاص والعراقية القديمة بشكل عام لانها تمثل أقدم المدونات السميولوجية ذات البعد الروحي والنفسي والديني في الوقت نفسه .

الفهارس

١ - فهرس المراجع
٢ - فهرس الجداول والمخططات
٣-فهرس الأشكال والصور
٤ - فهرس المحتويات

١. فهرس المراجع

المراجع العربية

١ . *الأحمد ، د. سامي سعيد :* ١٩٧٨ **العراق القديم** - الجزء الأول العراق حتى العصر الأكدي . كلية الآداب - جامعة بغداد - بغداد

٢ . *الأحمد، د. سامي سعيد :* ١٩٨٨ **المعتقدات الدينية في العراق القديم** ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد .

٣ . *ابراهيم ، نجيب ميخائيل :* ١٩٦١ **مصر والشرق الأدنى** - الجزء السادس - حضارة العراق القديمة المكتبة التاريخية ، دار المعارف بمصر ، القاهرة .

٤ . *ابراهيم د. نبيلة :* ١٩٧٩ **الاسطورة** ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام العراقية . الموسوعة الصغيرة ، بغداد .

٥ . *اذزارد ، د. وجماعته :* ١٩٨٧ **قاموس الآلهة الأساطير** ، ترجمة محمد وحيد خياطة . مكتبة سومر . حلب - السلمانية .

٦ . *اليـاد ، مرسيا :* ١٩٨٧أ **اسطورة العود الأبدي** ترجمة نهاد خياطة . دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر . دمشق .

٧ . *اليـاد ، مرسيا :* ١٩٨٧ ب **المقدس والدنيوي** - رمزية الطقس والاسطورة ترجمة نهاد خياطة . العربي للطباعة والنشر والتوزيع . دمشق .

٨ . *اليـاد ، مرسيا :* ١٩٩١ **مظاهر الأسطورة** ترجمة نهاد خياطة . دار كنعان للدراسات والنشر . دمشق .

٩ . *اليـاد، مرسيا :* ١٩٩٤ البحث عن الأصول ، تاريخ الأديان . ترجمة اسامة خليل **مجلة اصول** . فبراير ، القاهرة .

١٠ . *بـارو ، اندريه :* ١٩٧٩ **سومر . فنونها وحضاريها** . تقديم اندريه مالرو . ترجمة وتعليق د. عيسى سلمان وسليم طه التكريتي . وزارة الأعلام بغداد .

١١ . باقـــــــر ، طـه : **مـقـدمـة في تاريخ الحـضـارات القـديمة** ، ، الجزء الأول . دار البيان . بغداد ، دار الثقافة ، بيروت .
١٩٧٣

١٢ . بـاقـــــــر ، طـه : **ملحمة كلكامش** الطبعة الرابعة ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، بغدا د .
١٩٨١

١٣ . برهيـــــيـــه ، اميل : **تاريخ الفلسفلة – الفلسفة الهلنستية والرومانية** ، ، ترجمـة جـورج طرابيش . دار الطليعـة للطبـاعـة والنشر ، بيروت .
١٩٨٢

١٤ . بشـــــور ، د. وديع : **الميثولوجيا السورية – اساطير آرام** . الطبعة الثانية دار الفكر ، بيروت .
١٩٨٩

١٥ . بوتيــــرو ، جـــان : **الديانة عند البابلين** ، ، ترجمـة د. وليـد الجـادر جامعة بغداد ، بغداد .
١٩٧٠

١٦ . بوتيـــــرو ، جـــان : **بلاد الرافدين – الكتابة، العقل ، الالهة** – ترجمة الأب البير أبونا . مـراجعة د. وليد الجادر ، دائرة الشؤون والثقافة العامة ، بغداد .
١٩٩٠

١٧ . بيــبي ، جـيـوفـري : **البحث عن دلمون** . ترجـمـة أحـمـد عـبـيـدلي ، دلمون للنشر نيقوسيا . قبرص
١٩٨٢

١٨ . آل تاجـر ، علي مـحـمـد : **الرؤية التشكيلية المعاصرة لملحمة الخليقة البابلية** . (رسالة ماجستير) كلية الفنون الجميلة ، جامعة بغداد .
١٩٩١

١٩ . تـويـنــي ، أرنـولـد : **تاريخ البشرية** الجزء الأول ترجمة د. نقولا زياده الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت .
١٩٨١

٢٠ . تيــــريني ، طيـب : **الفكر العربي في بواكيره وآفاقه** الجزء الثاني دار دمشق، دمشق ، بيروت .
١٩٨٢

٢١ . حـبي ، سليم ملحم: **منهل الشـرائع** دار الفـارس للطبـاعـة والنشـر والتوزيع ، بيروت .
ب.ت

٢٢ . حـنـون ، نـائـل : **عقائد ما بعد الموت** . دائرة الشؤون الثقافية العامة بغداد .
١٩٨٦

٢٣ . الحـــــوراني ، يوسف : 1978 **البنية الذهنية الحضارية في الشرق المتوسطي الآسيوي القديم**، ، دار النهار للنشر ، بيروت .

٢٤ . الحـــــوراني ، يوسف : 1994 **جماليات الحكمة في التراث الثقافي البابلي** ، ، دار النهار ، بيروت .

٢٥ . رشـــيــد، د . فــوزي : 1968 نصوص إدارية من العصر السومري الحديث **مجلة سومر** المجلد ٢٤ . دائرة الآثار العامة . بغداد .

٢٦ . رشـــيــد ، د . فــوزي : 1972 **قواعد اللغة السومرية** ، وزارة الأعلام ، مديرية الثقافية العامة ، بغداد .

٢٧ . رشـــيــد ، د . فــوزي : 1981 خلق الانسان في الملاحم السومرية والبابلية . **مجلة آفاق عربية** العدد ٩ السنة ٦ آيار ، بغداد .

٢٨ . رشـــيــد، د . فــوزي : 1985 **حضارة العراق** الجزء الأول – الفصل الخامس (المعتقدات الدينية)، بغداد .

٢٩ . رشـــيــد، د . فــوزي : 1987 **دراسات في الفلك عند العرب** الجزء الأول – (فضل البابليين في علم الفلك جامعة بغداد ، مركز احياء التراث العلمي العربي .

٣٠ . رو ، جــــــورج : 1984 **العراق القديم** ، ترجمة وتعليق حسين علوان حسين، منشورات وزارة الثقافة والأعلام العراقية . سلسلة الكتب المترجمة (٢٧) ، بغداد .

٣١ . روثن ، مـــارگـــريت : 1980 **علوم البابليين** تعريب وايضاحات د . يوسف حبي . دار الرشيد للنشر . بغداد .

٣٢ . زايبـــــرت، إلزه : 1988 **رمز الراعي في بلاد الرافدين**. ترجمة محمد وحيد خياطة العربي للطباعة والنشر ، دمشق

٣٣ . زيدان ، عـــبــد الكريم : 1964 **الوجيز في أصول الفقه**. مطبعة سلمان الأعظمي ، بغداد .

٣٤ . ســـاكـــز، هاري : 1989 **عظمة بابل**. ترجمة وتعليق أ . د ، د . عامر سليمان، الموصل .

٣٥ . *السواح، فراس :* **مغامرة العقل الأولى** الطبعة السادسة سومر للدراسات والنشر والتوزيع . نيقوسيا . قبرص . ١٩٨٦

٣٦ . *السواح ، فراس :* **لغز عشتار**. دار علاء الدين ، دمشق ١٩٩٣

٣٧ . *السواح ، فراس :* **دين الأنسان**. دار علاء الدين ، دمشق . ١٩٩٤

٣٨ . *سيدا ، د. عبد الباسط :* **من الوعي الاسطوري الى بدايات التفكير الفلسفي النظري**. دار الحصاد للنشر والتوزيع ، دمشق . ١٩٩٥

٣٩ . *الشّواف ، قاسم :* **ديوان الأساطير** - سومر واكاد وآشور - الكتاب الأول . تقديم واشراف أدونيس . دار الساقي . لندن ١٩٩٦

٤٠ . *الشوك، علي :* **من روائع الشعر السومري** منشورات الجمل . المانيا . ١٩٩٢

٤١ . *عبد الرحمن ، عبد المالك* **عبادة الاله شمش في حضارة وادي الرافدين** رسالة ماجستير ، كلية الآداب . قسم الآثار . جامعة بغداد . ١٩٧٥ يونس.

٤٢ . *عقراوي ، ثلماستيان:* **المرأة دورها ومكانتها في حضارة وادي الرفدين** منشورات وزارة الثقافة والفنون ، بغداد . ١٩٧٨

٤٣ . *علي ، د. فاضل عبد الواحد :* ١٩٧٥ **الطوفان** جامعة بغداد ، بغداد .

٤٤ . *علي ، د. فاضل عبد الواحد :* ١٩٨٩ **من الواح سومر الى التوراة** دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد .

٤٥ . *فالنكشتاين ، أ. :* ترتيلة أريدو **مجلة سومر** الجزء الثاني ، المجلد السابع . مديرية الآثار العامة ، بغداد . ١٩٥١

٤٦ . *فرانكفورت ، هـ. وآخرون:* ١٩٨٠ **ما قبل الفلسفة** ترجمة جبرا ابراهيم جبرا. المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط٢ ، بيروت .

٤٧ . فريزر ، جيمس : ب.ت — **أدونيس أو تموز** – دراسة في الأساطير والأديان الشرقية . ترجمة جبرا إبراهيم جبرا . الطبعة الثانية .

٤٨ . كريمر ، صموئيل نوح : ب.ت — **السومريون** ترجمة د. فيصل الوائلي منشورات وكالة المطبوعات ، الكويت .

٤٩ . كريمر ، صموئيل نوح : ١٩٥٧ — **من ألواح سومر** ترجمة طه باقر . مراجعة د. احمد فخري . المثنى في بغداد ، الخانجي في القاهرة بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة وانلشر

٥٠ . كريمر ، صموئيل نوح : ١٩٧١ — **الأساطير السومرية** ترجمة يوسف داود عبدالقادر نشر جمعية المترجمين العراقيين . بغداد .

٥١ . كريمر ، صموئيل نوح : ١٩٨٦ — **طقوس الجنس المقدس عند السومريين (انانا ودموزي)** . ترجمة نهاد خياطة . الغربي للطباعة والنشر والتوزيع . دمشق .

٥٢ . الماجدي ، خزعل : ١٩٩٠ — **سفر سومر** دار عشتار للنشر والتوزيع ، بغداد

٥٣ . الماجدي ، خزعل : ١٩٩٢أ — عاد والسومريون **مجلة ألف باء** العدد ١٢٥٨ في ٤/ ١١/ ١٩٩٢ . بغداد

٥٤ . الماجدي ، خزعل : ١٩٩٢ب — حول رموز القرآن الكريم . **جريدة الجمهورية** العدد ٨٣٣٤ في ٨/ ١١/ ١٩٩٢

٥٥ . الماجدي ، خزعل : ١٩٩٥ — اقنعة عشتار التي لا تنتهي . **مجلة عمّان** العدد (١٢) عمان .

٥٦ . الماجدي ، خزعل : ١٩٩٦ — **الطب وعلاقته بالسحر والاسطورة والدين في تراث وادي الرافدين** رسالة دكتوراه باشراف الدكتور فوزي رشيد . معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا . بغداد .

٥٧ . الماجدي ، خزعل : ١٩٩٧أ — **أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ** منشورات دار الشروق . عمان .

٥٨ . *الماجـــدي ، خـــزعل :* **جذور الديانة المندائية** . منشورات مكتبة المنصور ، ١٩٩٧ ب بغداد

٥٩ . *الماجـــدي، خـــزعل :* **مثولوجيا الاردن القديم** ، منشورات وزارة السياحة ١٩٩٧ ج والآثار في الاردن . عمان .

٦٠ . *مـــورتكـات ، انطـوان :* **تموز** ترجـمـة د. توفـيق سليـمـان . دار المجلد ١٩٨٥ دمشق .

٦١ . *النعـيمي ، راجحـة خضـر :* **الأعياد في العراق القديم** رسالة ماجستير قسم الآثار ١٩٧٥ كلية الآداب ، جامعة بغداد .

٦٢ . *النعـيمي ، راجحـة خضـر :* أعياد رأس السنة البابلية **مجلة سومر** ج١ ، ج٢ ١٩٩٠ الدائرة والآثار ، المجلد ٤٧ .

٦٣ . *الـوردي ، بهـــاء الديـن :* **حول رموز القرآن الكريم** الدار البيضاء . ١٩٨٣

المراجع الأجنبية

1. Bali , litt , 1913 : **Chiness and Sumerians .**

2. Burrows, s.j 1932 : problems of the Abzu . **Orientalia Commentaril penriodici pontificri.** Instituti Biblici Rome .

3. Dally . s 1989 : **Myths from mesopotamia** . oxford

4. Dhorome , E and Dussaud , R 1949 : **Les Religions** . orietales ed . Mona 1 et 2 press Universitaires . paris.

5. Dossin , G 1957 : Le sumerion , Langue savante et religieuse . **Bullet de la calss des letters** et des science morales et politiques , 5, serie t . xl III Bruxelles .

6. Grayson , A 1969 : **Bobylonian Theogony** ANET Third Edition .

7. Hallow , W.W. 1964 : **The standard Bride** Chicago .

8. Harris, R. 1964 : **The Naditu women** Chicago

9. Heidel, Alaxander 1963 : **The Babylonian Gensis** phoemix Book. Chicago

10. Hinz, Walther 1972 : **The lost of world of Elam** Translated by Jennifer Barnes . London

11. Jacobson , Thorkild 1970 : **Toward the Image of lammuz and other essays on Mesopotamian history and culture** Edite by william L. Moran , Harvard University Massachausetts.

12. King . L.W. 1899 : **Babylonian Religon and mythology** London.

13. Kramer, S.N : 1963 : **The Sumerians** Chicago

14. Peoble , A: 1914 : **PBS** Vol 1V / 1 pp 7 -70 .
PBS Vol V/1 pis LXXXXVI , LXXXVII

15. pritchard J.B: 1969 : **Ancient Near East Texts (ANET)** 3rd Edition, princeton University press.

16. Reiner , E: 1961 : The Eteological Myth of the seven sages **Orientalia** No 5. 30 .

17. Roberts, J.J.M : 1972 : **The Earliest semetic panthion** - Astudy of the semitic Dieties Attested in Mesopotamia befor Ur III Batimore .

18. Tallgvist , knut: 1938 : Akkadische Gottenpithita **Studia Orientalia** VII . Helsinki

19. Thomson , G : 1961 : **Die erston philosophen** Berlin

20. Thoro and Dangan : 1922 : **Revue d' Assyriologie** No. 19.

21. Van Buren, E.D 1930 : **Clay Figurines of Babyloniya and Assyria** ed yale University press .

22. Waddel, L.A : 1930 : **Sumerian origins of Egyption civilza-tion** Landon

23. Walker , christopher 1982 : Episodes in the history of Babbylonian , Astronomy , **society of Mesopotamian studies** , Toronto .

24. Wooly. c. Leonard 1963 : **Excavation at Ur** . London .

25. Wooly , C. leondard 1965 : **Ur of the chaldess** . New York .

فهرس المخططات والجداول

فهرس الصور والأشكال

٢٣. السلطة : رموزها .
٢٤. إنليل : رمزه نهاية الألف الثاني ق . م .
٢٥. إنليل : تمثاله مطلي باللون الأحمر .
٢٦. التشييد والبناء : رمز .
٢٧. إياهو : رمز الحمامة السماوية .
٢٨. إنكي : رموزه .
٢٩. ننخرساج : رمزها .
٣٠. ننخرساج : صورتها .
٣١. كاتوم دوك : صورتها .
٣٢. ننخرساج من هيئة إلهة العين .
٣٣. نركال رمزه .
٣٤. نانا : رمزه .
٣٥. نانا : صورته .
٣٦. ننكال تمثالها .
٣٧. ننورتا : رموزه .
٣٨. ننكرسو : رموزه .
٣٩. باو : التاج الأوزي .
٤٠. باو : رمزها
٤١. باو وإشخارا : رمزاهما .
٤٢. باو : إلهة الطب والزراعة .
٤٣. أوتو : رمزه نهاية الألف الخامس ق . م .
٤٤. أوتو : رمزاه منذ العصر الأكدي ومابعده .
٤٥. إنانا : رموزها الأربعة .
٤٦. إنانا : قطيع ثيران وعجلان يخرجان من حظيرة يحيط بهما رمزا إنانا .

٤٧ . إنانا : مع أسدها كإلهة حرب .

٤٨ . إنانا : رمز اسمها واسم (آن) .

٤٩ . إنانا : الشمس المجنحة والطليب المجنح (رمز آشور) .

٥٠ . العالم الأسفل : رمزه .

٥١ . أرشكيگال : صورة .

٥٢ . أشخارا : رمزها .

٥٣ . إشكر (أدد) : رمزه .

٥٤ . ننگشزيدا : رمزاه .

٥٥ . ننگشزيدا : يقود مع دموزي الأمير گوديا نحو آلهة متوجة .

٥٦ . أمدوكد (زو) : صورتها ورموزها .

٥٧ . الشياطين السومرية : هواوا ، شيطان ، مذبح العبن الحاشدة ، رمز العين الحاسدة ، رمز الشياطين السبعة (سبيتو) .

٥٨ . الجن الطيبة : لاما الأنثى ، أدو الذكر ، نيراح (نيراه) .

٥٩ . الكائنات الخرافية : الإنسان العقرب ، الإنسان السمكة ، الإنسان الثور ، الإنسان الكلب المجنح ، الإنسان الطير ، الماعز السمكة ، التنين (موش . خوش) .

٦٠ . إنكي : تتدفق المياه من كتفيه والسمك يصعد عليها .

٦١ . آبو : مع زوجته .

٦٢ . عناصر الفردوس التوراتي في رقيم سرمري .

٦٣ . أشنان : رمزها .

٦٤ . دموزي : رمزه .

٦٥ . ننسون : أم دموزي وگلگامس .

٦٦ . نانشة : رمزها .

٦٧ . ننمار : رمزها .

٦٨ . الفأس : ورمز العمل ورمز إنليل .

٦٩. إنانا : مع آن.

٧٠. إنانا : تقديم الهدايا لها من قبل دموزي وأتباعه .

٧١. إنانا : مع دموزي.

٧٢. الزواج المقدس : كاهن وكاهنة يأخذان دور دموزي وإنانا .

٧٣. الزواج المقدس : كاهن وكاهنة بدور دموزي وإنانا/ نفّر.

٧٤. الزواج المقدس : كاهن وكاهنة بدور دموزي وإنانا/ سوسة.

٧٥. الزواج المقدس : كاهن وكاهنة بدور دموزي وإنانا.

٧٦. إنانا : إلهة الجنس/ أور.

٧٧. الزواج المقدس : كاهن وكاهنة بدور دموزي وإنانا.

٧٨. الزواج المقدس : كاهن وكاهنة بدور دموزي وإنانا.

٧٩. الزواج المقدس : رجل وامرأة فوق جذع شجرة والحاجانبهما الحية/ تبة كاورا.

٨٠. إنانا : كإلهة محاربه.

٨١. إنانا وإرشكيگال : محاطتان برموزهما على إناء مرمري .

٨٢. الكاهن نسني والحارس أبيخ : ماري / النصف الأول من الألف الثالث ق.م.

٨٣. كاهن سومري يمسك إناءً ويؤدي طقساً.

٨٤. كاهن أو متعبد سومري قديم من عصر البعيد ربما - يمثل كورليل .

٨٥. آلهة وكهنة وكاهنات من سومر/ معبد تل أسمر (آبو).

٨٦. معبد أوروك البكر : إعادة بناء.

٨٧. رمز بوابة المعبد : حوالي ٣٤٧٥ق.م.

٨٨. معبد الطبقة السادسة في أريدو .

٨٩. معبدان من تبة كاورا.

٩٠. معبد إنانا في أوروك.

٩١. المعبد المربع (آبو) في كل أسمر.

٩٢. زقورة آن في أوروك.

٩٣ . المعبد البيضوي في خفاجي .

٩٤ . معابد إلهة القمر (سين) .

٩٥ . معبد الإلهة نني زازا في ماري .

٩٦ . معبد زقورة إنانا في أور .

٩٧ . الطحان ايدي ناروم وهو يصلي .

٩٨ . متعبد سومري وهو في حالة ركوع .

٩٩ . متعبدون ذاهبون الى معبد الإلهة إنانا .

١٠٠ . الموقد المقدس : وهو رمز الإلهين نسكو وننكشزيدا .

١٠١ . طقس سكب السوائل .

١٠٢ . إناء سكب السوائل .

١٠٣ . كاهنان بينهما الإناء المقدس .

١٠٤ . عين الإلهة الطاردة للشر .

١٠٥ . تماثيل إلهة العين الطاردة للشر في معبد تل براك .

المحتويات



متون سومر

الكتاب الأول

التاريخ ◆ الميثولوجيا ◆ اللاهوت ◆ الطقوس

يقدّم هذا الكتاب عرضاً وتحليلاً موسعاً لأربعة أركان أساسية من الحضارة السومرية التي هي أول حضارة بشرية في العصور التاريخية وهذه الأركان هي :

١ . التاريخ : حيث يتابع المؤلف الأصول الأولى للسومريين ويتقصّى هجراتهم ويعرض لتطورهم التاريخي من القرية إلى المدينة إلى الدولة إلى الامبراطورية .

٢ . المثولوجيا : حيث يصنّف الآلهة والأساطير السومرية على أسس علمية جديدة ، ويعرضها ويحلّلها ويكشف ما تحمله في أعماقها من كنوزٍ فكرية وروحية كثيرة .

٣ . اللاهوت : حيث يقدّم دراسة معمّقة للأفكار والعقائد الدينية السومرية عبر (١٢) ثيمة رئيسية ، ويربطها بأساطيرها وطقوسها المناسبة .

٤ . الطقوس : حيث يقدّم عرضاً للطقوس والشعائر اليومية والمناسبات والدورية ولشعائر الأسرار (السحر ، العرافة ، التنجم ، تفسير الأحلام)

إن هذا الكتاب يجعلنا أمام مشهد فريد لسومر وحضارتها ، حيث الأصول الروحية والمادية الأولى للإنسان .

(الناشر)



المملكة الأردنية الهاشمية - عمان / وسط البلد
خلف مطعم القدس / ص . ب ٧٧٧٢ - هاتف ٤٦٣٨٦٨٨
فاكس ٤٦٥٧٤٤٥ ◆ منشورات العام ١٩٩٨ م
◆ الغلاف : زهير أبو شايب .